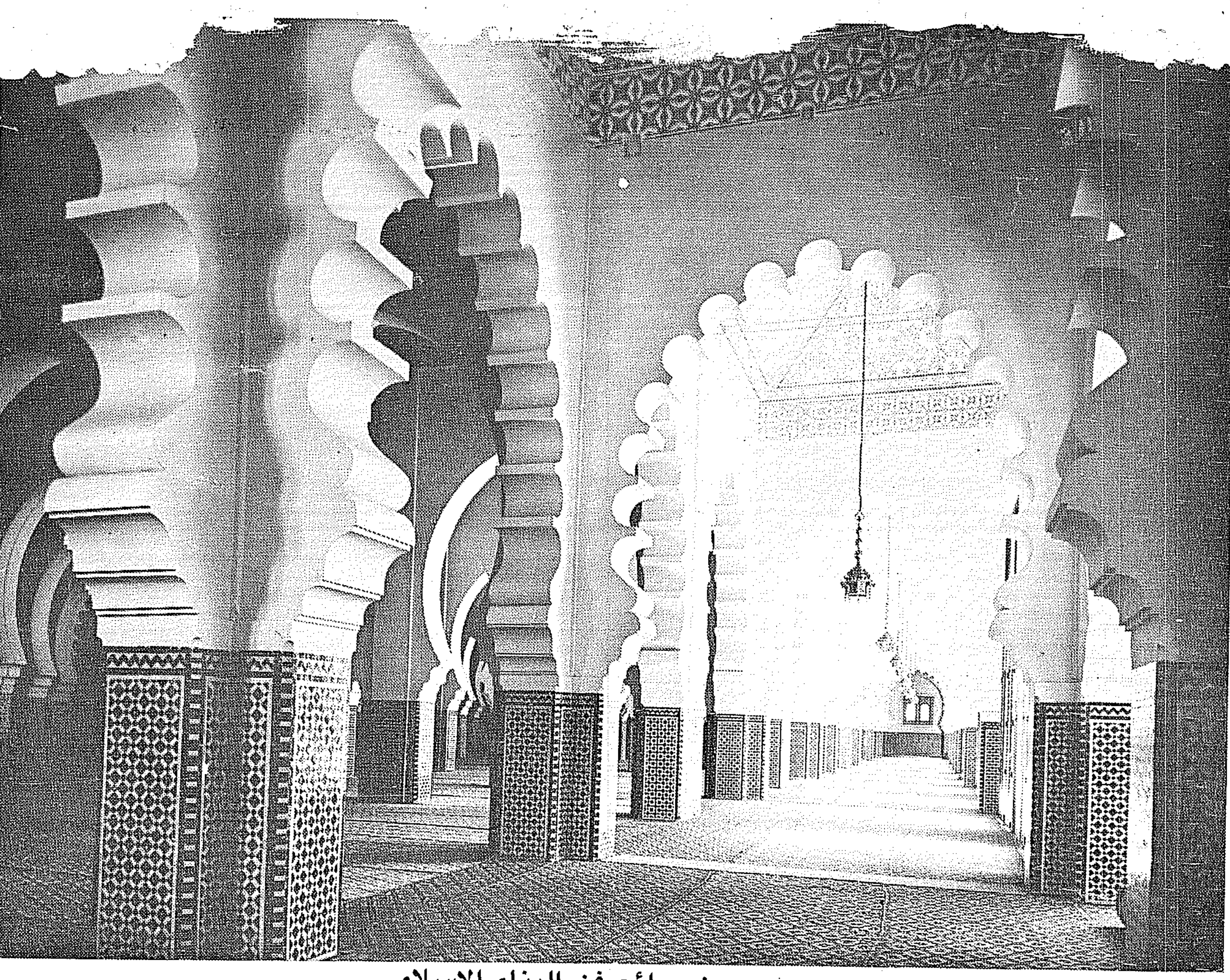
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

عدد الهجرة الممتاز

هدية العدد : براعم الإيمان

مسجد قباء



من روائع فن البناء الاسلامي



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٣ ● محرم ١٤٠١ هـ ● نوفمبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة



صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

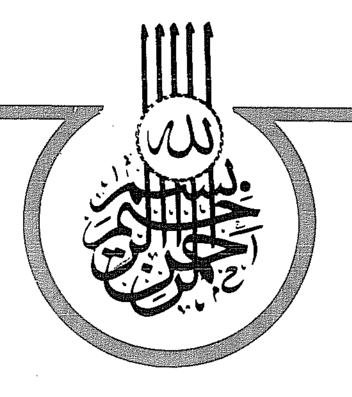
● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الهجرة رمز لحقيقة الاسلام

حادث هجرة رسول الاسلام – محمد صلى الله عليه وسلم – وصحبه الذين آمنوا بدعوته من مكة الى المدينة ، حادث جدير – الى ابعد حدود الجدارة – بالفحص والتأمل ، لأن معانيه تمتد مع الزمن ، مشعل هداية ، وسبيل نصر ، وطريق عزة ومجد ، وفقه ما يوحي به هذا الحادث ووضعه موضع الهداية والعمل ، هو التمجيد الصحيح لحقيقة الاسلام ، والتكريم الحق للمبادئ العليا التي نادى بها رسول الاسلام ، وضحى هو وصحبه في سبيل إقرارها .

لقد كانت الهجرة إكراها للمؤمنين على إهدار مصالحهم ، والتضحية بأموالهم ، والنجاة بأشخاصهم ، وقد ساروا في طريقهم الى المدينة وهم مستباحون ، قد يؤكلون في اول الطريق او في نهايته ، ويشعرون كذلك بأنهم يسيرون نحو مستقبل مبهم ، لا يدرون ما يتمخض عنه من هموم وأحزان ، ولا يقدر على تلك الهجرة الا المؤمنون الصادقون .

ولقد سبقت الهجرة بحملة إيذاء متنوع ، شنها المشركون على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين برسالته ، فقد لقى الرسول الكريم من قومه اشد الجحود والايذاء ، ليصدوه عن تبليغ دعوة ربه عملا بقول عمه أبي لهب : خذوا على يديه ، قبل ان تجتمع العرب عليه . وتلك طبيعة النفوس العليلة ، والقلوب المريضة ، ازاء كل من يعتمد الحق ، ويدعو اليه ، وينجح في تقريره ، ويصبر ويصابر لاقراره وتمكينه . وقد تنبأ «ورقة بن نوفل » بهذا الايذاء قبل حدوثه اعتمادا على معرفة هذه الحقيقة في طبائع الناس ، فلما عرض عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – امر النزلة الاولى للوحي ، كان مما قال له : « ياليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال الرسول : او مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودى » وقد افصح القران الكريم عن هذا المعنى في قوله تعالى :(**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الانعام/٣٣ .

واما الايذاء الذي نزل بالصحابة رضوان عليهم . فقد كان امتدادا

لمناهضة رسول الله ، ومصادرة دعوته ، وكبت رسالته ، وقد قابل الصحابة هذا الايذاء بثبات وقوة احتمال ، فتكونت منهم دعامات ركينة ، صلبة الايمان ، تصلح ان تكون مادة الاسلام الاولى التي يبنى منها صرحه الشامخ ، ويقيم عليها عماده العتيد ، ولهذا حين فرضت الهجرة المبدئية عليهم لم تكن – في عرف الاسلام – هجرة يشار اليها بالاعتبار والتقدير والمثوبة الا اذا نبعت من هجرة قلبية ، تعتمل في نفس صاحبها النية الصادقة في نصرة الاسلام واعلاء كلمته . يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « انما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » (رواه البخاري ومسلم)

وما تحدث القرآن عن الهجرة وآثارها من سعة في الارزاق ، وتمكين للدين ، الا مقرونة بالاخلاص فيها لله : **(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون)** النحل/٤١

ذلك لان عون الله للعباد مقدر على قدر نياتهم ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر عون الله له ، وقد دبر رسول الاسلام لهجرته كل اسباب النجاح التي يمكن ان يقوم بها ، من نشر الاسلام بين اهل المدينة قبل الهجرة ، واتخاذ السرية الكاملة لصيانة خطواته ، وخدعة المشركين ليلة المؤامرة، بأمره عليا بأن ينام في فراشه ، ويتدثر ببرده ، فكلما نظروا من فروج الباب يرون النائم . فيظنون انه النبي عليه الصلاة والسلام ، واستخفائه هو وصاحبه في غار ثور ثلاث ليال ، واتخاذه دليلا أمينا من المشركين ليرحل بهما بعد ثلاث .

وكان من الممكن ان يخسف الله بالمشركين حين تآمروا على حياة الرسول ولكن يأبى الله الا ان يكون النصر نتيجة العمل من جانب المؤمنين ، حتى يكون الاخذ بالاسباب سنة مطردة الى يوم الدين في كل صراع بين الكفر والايمان ، فكانت الهجرة قفزة الى الوراء ، استكمالا لأسباب النجاح . في بيئة أفعم جوها بكل وسائل القوة من الايمان والحب والايثار ، وهي بيئة الانصار الذين قال الله فيهم : **(والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/٩ .

وقد وضعت الهجرة المعالم الواضحة في بيان ان الاسلام حقيقة لا صورة ، وان الذين يحملون حقيقة الاسلام يستطيعون ان ينتصروا بها على جميع الحقائق المنتشرة في العالم ، اما من يحملون صورة الاسلام فقط فهم عاجزون عن الانتصار لانهم لا يستطيعون التغلب على شهواتهم ، ولا يقدرون على

الثبات على الحق عند الابتلاء والامتحان ، ولهذا ربط الله بين المؤمنين الذين حملوا حقيقة الاسلام من انصار ومهاجرين برباط الولاية والنصرة ، وقطع هذه الولاية بينهم وبين المؤمنين الذين حملوا صورة الاسلام ، فقعدوا عن الهجرة في ابانها مع قدرتهم عليها :(**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**) الانفال/٧٢ .

وفي سيرة المهاجرين العطرة ما يدل على ان حقيقة الاسلام تهزم جميع الحقائق وتتغلب عليها مهما كانت هذه الحقائق وثيقة الصلة بالعواطف والاحاسيس والمشاعر .

هاجر صهيب ــ رضى الله عنه ــ فلما كان في الطريق ، اعترضته جماعة من مشركي مكة وقالوا له : اتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، وهنا قامت المعركة بين حقيقة الاسلام وحب النفس والمال ، ولكن حقيقة الاسلام انتصرت ، وقال صهيب : ارأيتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، قال : فاني قد جعلت لكم مالي !! وهكذا انطلق صهيب بدينه متجردا من ماله . فرحا مسرورا بانتصار حقيقة الاسلام لديه على حقيقة حب المال . ولما علم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأمره قال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

وخرج ابو سلمة وزوجه وولده الصغير مهاجرا ، فلما رآه رجال من بني المغيرة قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك قد غلبتنا عليها ، ارأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده ، واخذوها منه !! واخذ بنو عبد الاسد ولده الصغير !! وهنا اصطدمت حقيقة الاسلام بحقيقة حب الزوج والولد في نفس ابي سلمة فانتصرت حقيقة الاسلام ، وترك ابو سلمة زوجه وولده الصغير ، ومضى في هجرته يبتغي اعزاز دينه .

وهكذا حولت حقيقة الاسلام ــ لدى المهاجرين والانصار الهزيمة الى نصر ، والظلام الى نور ، والفوضى الى امن ونظام ، فعاش بها المسلمون في منعة من اعدائهم ، وفي أمن وطمأنينة على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وفي حرية يعتز بها دينهم ، وفي طهر ونظافة في اخلاقهم .

وان وعد الله بالنصر والفتح في الدنيا والمثوبة في الآخرة محصور في هذه الحقيقة ، وذلك

قوله تعالى :(**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**) آل عمران/١٣٩ :(**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**

يعبدونني لا يشركون بي شيئا) النور / ٥٥ .

وقد عاش المسلمون مدة من الزمن معتصمين بايمانهم عاملين بتعاليم دينهم ، ففتحت لهم المشارق والمغارب ، وعلت بهم كلمة الله في الارض ، وعاش الناس في ظل الاسلام ينعمون بعدالة شاملة ، وحضارة نظيفة ، فلما ركنوا الى شهواتهم ، واتخذوا الاسلام مجرد شعار ، أفلسوا في الروح والقوة المعنوية ، وهانوا على أعدائهم !

لقد اجتمع سبع دول عربية لمحاربة الصهيونية سنة ١٩٤٨ وكانت هذه الدول عليلة الروح أطفأت المادية الاوروبية في قلوبها شعلة الجهاد ، وحببت اليها المفاسد ، فكانت الحرب صراعا بين صورة الاسلام في هذه الدول وحقيقة التنظيم والقوة في الصهيونية وكانت النتيجة المحتومة هي انهزام العرب ، واستيلاء اليهود على فلسطين ، ومازال المسلمون والعرب – حتى اليوم – يعانون من الآثار المريرة لهذا الانهزام !! ولا سبيل للنصر الا بحقيقة الاسلام يقيمها العرب في نفوسهم . ويطبقونها في جميع شئون حياتهم ، لتقودهم الى الكفاح الصادق ، والعمل الجاد ، وكل ما سوى ذلك صرخة في واد ، ونفخة في رماد .

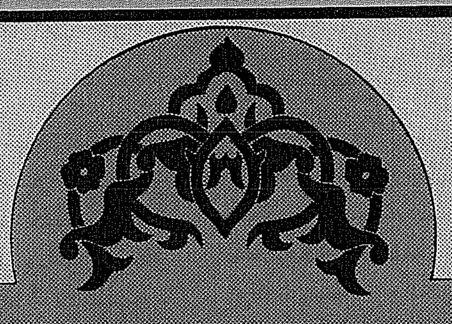
إن العوامل التي ساقت المهاجرين الى الهجرة من بلدهم تاركين كل ما يملكون ، مفارقين جميع ما يحبون ، والتي دفعت الانصار لمبايعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – على حمايته كما يحمون نساءهم وأبناءهم ، هي الايمان بالله ، والحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، وما أحوج العرب والمسلمين في هذا العصر الى تلك العوامل ، لينقذوا حاضرهم ، ويصونوا مصيرهم ، ويبنوا حياتهم على الجد والنشاط ، والطهر والصلاح ، وليحرسوا المثل العليا وحدها في عالم مليء بالشهوات والمآثم :(**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** الحج / ٤٠ .

ومطلع القرن الخامس عشر الهجري ، يذكرنا بالمآسي التي نزلت بنا في القرن الرابع عشر الهجري نتيجة انصرافنا عن منهج الله واتباعنا لمناهج من صنع الناس ، فاستبدلنا بالخير السوء والشر ، وبالوحدة التمزق والفرقة وبالعزة الهوان والمذلة . وبالصراط المستقيم السبل المنحرفة ، والطرق المعوجة .

ومن حقنا على أنفسنا ومن حق الله علينا أن نجعل مطلع القرن الخامس عشر الهجري بدء عودنا الصحيح الى الاسلام ليعيد الله لنا عزتنا التي أضعناها . وكرامتنا التي أفنيناها ، فهو سبحانه وتعالى – ولي المؤمنين يخرجهم من الظلمات الى النور . وفق الله المسلمين الى اتباع صراطه المستقيم .

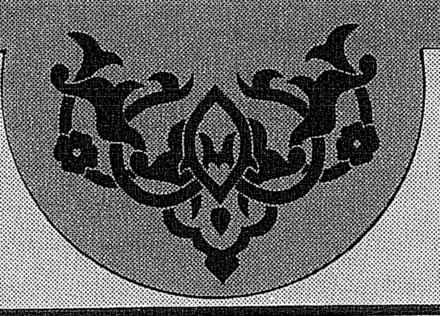
رئيس التحرير

محمد الأباصيري



القرآن الكريم

في مطلع القرن الخامس عشر الهجري



للأستاذ/عبدالحميد السائح

جميل جدا أن تهتم المؤتمرات واللقاءات والجماعات الاسلامية على المستويين الرسمي والشعبي، بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، لأنه يمثل فترة من الزمن قد مضت، سجل علينا فيها ما اكتسبناه وما جنيناه، وستحاسبنا الاجيال على ذلك لنأخذ نصيبنا من التقدير أو التكدير، جزاء وفاقا، وأخيرا سيحاسبنا العليم الخبير، سبحانه، على كل ما قدمناه، ضمن القاعدة العادلة، الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، كما ورد في الأثر، وكما قال سبحانه: **(هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون)** يونس/٥٢، ولقوله: **(هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)** الأعراف/١٤٧، وقوله عز شأنه: **(ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا)** الكهف/٤٩.

كما يمثل مطلع القرن الجديد آمالا مرجوة في فترة قادمة من الزمن، نتلافى فيها تقصيرنا، ونعد فيها لمستقبلنا، ونخطط فيها لوقف التدهور الرهيب، ونمنع فيها مسيرة الأخطار المتلاحقة، كما نخطط لمدارج النهضة والتطور والتقدم.

لقد حضرت بعض جلسات لمؤسسات تخطط لمطلع ذلك القرن، كما اطلعت على مخططات أعدت من مؤسسات أخرى، وكلها تدور حول كنوز مدفونة، يراد إبرازها، أو إزالة ما علق ببعض تراثنا، من أغلفة حجبت حقيقته، أو شوهت معالمه، أو إحداث معالم ثقافية نكمل فيها مشاريعنا، ونظهر فيها آثار اهتمامنا بحضارتنا، ومصادر أمجادنا، أو مؤتمرات، تشكل مواسم ثقافية، تجلي واقعنا، وتشرح عللنا وأمراضنا، وتوضح واجباتنا، وتنجلي عن مخططات واضحة وآراء راجحة، ندفع بها ما يحيط بنا من أخطار، وما تتعرض له أمتنا من دواهي ونكبات، ويدون كل ذلك في سجلات مطبوعة نتداولها في مختلف مجتمعاتنا، التي يشملها القرن الخامس عشر الهجري، بجميع أبعاده، ويصيبها خيره، أو يلحقها شره وضره، وذلك للتنفيذ أو الاعتبار.

واقعنا الآن

وإذا نظرنا إلى واقع الأمة العربية والاسلامية ، في الوقت الحاضر ، أينما اتجهنا ، لا نجد فيها ما يسر الخاطر ، ولا ما يبهج الناظر ، ولا تبشر المقدمات الظاهرة بنتائج أحسن ، على المدى القريب على الأقل ، إذا استثنينا مواقع تتطلع إليها الاعناق ، لتستقر وتسير على طريق الهدى والرشاد .

نجد في مجتمعاتنا تخاذلا وتفككا ، وأنانية وانحرافا ، كل كيان مستأثر بالمحافظة على شخصيته ، والحرص على وضعيته ، لا يقبل دمجا ولا اندماجا ، ولا يقبل وحدة ولا اتحادا ، مع أن سبيل الخلاص يكمن في التجمع ، لا في التفرق .

وحينما نتحدث عن الاستعمار يوم كان مخيما على أوضاعنا ظاهرا وعلنا ، نتهمه بأنه جزأ أوطاننا ، وقضى على وحدتنا ، وفرق شملنا ، وهذه تهمة صحيحة ، لأن الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه ، لا يريد لنا خيرا ، ولا يطمئن لوحدتنا وتقاربنا ، بل إنه يعتبر كل ما يؤدي إلى تفاهمنا ، نذير شر عليه ، ودليل يقظة وتنبه لمخططاته وإفساد مؤامراته .

والغريب في واقعنا أننا نتمسك بجرائم الاستعمار ونعض عليها بالنواجذ ، ونقرر في مؤتمراتنا ، وخطاباتنا ، أن السبيل الوحيد لدرء الأخطار عنا هو توحيد قوانا ، وتجميع شملنا ، والقضاء على شرذمتنا . وعند محاولة التنفيذ نبتعد عن كل ما قررناه ، ونتمسك بكل ما ألفيناه ، ويمثل واقعنا قول الله سبحانه : **(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)** البقرة/ ١٧٠ .

والعلة المتأصلة فينا أننا ورثنا عن الاستعمار أفكارا صارت منا كأنها حقائق خالدة ، وقواعد ثابتة ، لا تغيير فيها ولا تبديل .

وكلنا يردد قول الله سبحانه : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد/ ١١ . والكل تقريبا يصرون على ما يخفون في أنفسهم ، والمتاجرة بألفاظ براقة ترضي بها الجماهير ، وتخفف من نقمتها وتذمرها .

وهذا الوضع المزري والمؤلم ، يقابله وضع آخر ، تجد فيه أفرادا أو جماعات يتحسسون الآلام ، ويبحثون عن طريق الخلاص ، ومن هؤلاء من يرون الخير في العودة إلى أصول حضارتنا ، وجذور تراثنا ، ومع أن هذا هو الطريق الأصوب والسبيل الأرشد ، لكنه غير محدد بأهداف دقيقة وقواعد متينة ، ومسالك رصينة ، ولا يكفي أن نقول مثلا : القرآن مرجعنا والحديث مرشدنا ، لأن باب التأويل والتحريف ، قد دخله بعضنا وأخذ يتصرف بغير انضباط ، مما ينذر بخطر كبير ، لذلك يجب وضع مخطط ، يتضمن أصولا لا ينازع فيها ، وقواعد لا تمسها يد التغيير

والتبديل ولا التأويل .

وقد عرف أعداؤنا تمكن تلك العلل فينا ، أو أنهم مهدوا السبل لتغلغلها ، تأمينا لمصالحهم وأهدافهم ، فأحكموا المؤامرات واغتالوا الأوطان والمقدسات ، وطعنونا في كل ما يمس كرامتنا ، ومشاعرنا ، حتى استولوا على القدس والخليل وسائر الديار ، وعرضوا الأقصى والمسجد الابراهيمي لمظاهر التبذل ، ويحاولون الاستيلاء على كل ذلك من غير حرج ، وشرورهم وأطماعهم تمتد إلى ما وراء ذلك أيضا ، حتى لا تستثنى مكة المكرمة ، ولا المدينة المنورة ، والشواهد على كل ذلك تتكرر كل يوم وتظهر على المسرح ، من غير خجل ولا استحياء ، وكأننا نضع على عيوننا ما يحجب عنها الحقيقة ، وإن كان الخطر ماثلا ، والنكبات متوالية .

وهذه لبنان ومحنتها ، وهذه فلسطين ومخيماتها ، وهذه المستوطنات المتناثرة ، وهذه الحفريات المتواصلة ، وهذه الاستملاكات والاعتداءات المتكررة في القدس والمسجد الأقصى والخليل والمسجد الابراهيمي ، ونابلس وجنين ، وأريحا وما دون ذلك وما حوله ، كلها شهود ناطقة ، بل محذرات منذرات ، وهذه تصريحات زعماء الصهيونية ، وألاعيب السياسة الأميركية ، واستخفاف بعض الحكام بالأمة العربية ومن ورائها الأمة الاسلامية ، وكل ذلك ينادي ويستصرخ أولئك الذين أطبقوا جفونهم أن عليهم أن يفتحوها ليشاهدوا المآسي والمخازي ، ويتحركوا قبل أن يدق ناقوس الخطر ، أبواب بيوتهم ونوافذها ، وقبل أن يقول الواحد منهم ، أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

نعم الله علينا كثيرة

إننا إذا أردنا أن نحتفي بمطلع القرن الخامس عشر الهجري فيجب أن نخطط لأعمال ناجعة ووسائل سليمة ، لازالة العار ، ودفع الأذى والضرر عن كل عربي ومسلم يصيبه أثر « مطلع القرن الخامس عشر الهجري » وأن نلتزم فعلا بتنفيذ ما قررناه ونقرره ، ويجب أن نأخذ في اعتبارنا ما أنعم الله به علينا ، ماديا ومعنويا ، عربيا وإسلاميا .

أنعم الله علينا بالمواقع الاستراتيجية ، التي لها أهميتها عالميا ، بين قارات آسيا وأوروبا وافريقيا ، والتي يتصارع الأغيار — على اختلاف منازعهم — من أجل الاستيلاء عليها .

وأنعم علينا بالبترول ، والبوتاس ، والفوسفات ، والمعادن المتنوعة الوفيرة ، ليكون كل ذلك ، سلاحا نستعمله للحفاظ على وجودنا ، ودرء الخطر عن إخواننا ، وليحقق الكفاية والحاجة الماسة للأمة بكاملها ، ولا يجوز أن يستأثر بهذه الخيرات فريق من الأمة ، قضت ظروفه أن يعيش على تلك البقعة من الأرض دون غيرها ، ويحرم منها

الفريق الآخر .

ونحن نرى الأعداء ، ولو تظاهروا بمظهر الأصدقاء ، يخططون من أجل نهبها والتصرف بها حالا أو مآلا .

وأنعم علينا بنعم كثيرة وفيرة ، وكما قال سبحانه : **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ابراهيم/ ٣٤ .

نعمة القرآن الكريم

لكن هناك نعمة أجل وأعظم من كل ما ذكر ، أجل من المواقع الاستراتيجية وأخطر من منابع البترول ، ومصادر المعادن كلها ، ذلك أن المواقع قد يكون هناك بديل عنها ، وقد يشاركها غيرها في امتيازاتها ، وينابيع البترول ومصادر المعادن ليست الوحيدة في هذا العالم ، وقد تتوصل الحضارة الحديثة ، والتكنولوجيا المتقدمة ، الى بديل أو أبدال عنها ، وقد ينفد معين المعادن ، ولو بعد حين ، لكن هناك نعمة لا ينفد معينها ، ولا يمكن إيجاد بديل عنها ، ولم نقدرها حق قدرها ، ولو قدرناها ما أنزلناها منزلتها الجديرة بها ، ولو تحدثنا عنها لما أوفيناهاحقها ، تلك هي نعمة القرآن ، الذي لا يقدر قدره ، ولا يدرك عظمته ، إلا من قذف الله في قلبه نور الايمان ، واستطاع أن يدرك ما في القرآن من عظمة خارقة ، تفوق كل المبتكرات والمخترعات ، انزلها على قلب رسول كريم ، حمل الدعوة ، وأنار المشعل ، فحطم الأصنام ، وقضى على عبادة الأوثان ، حجرية أو بشرية ، وحفظ للانسان كرامته وحرمته وحريته ، ودعاه إلى استعمال عقله ، واستكناه سر وجوده ، والتأمل فيما خلق الله ، في الأرض ، وفي السماء ، وفيما تحت الأرض ، والبحار ، وفيما فوق السماء ، كل ذلك من خلق الله وإبداعه ، وفيه أسرار ، والاطلاع عليها ، وإدراك أهميتها يحتاج إلى دأب ، ومثابرة ، بحيث يستمر العلماء في بحوثهم ، والمخترعون في اختراعاتهم ، والمفكرون في إبداعاتهم ، وكل هؤلاء وأولئك ، كلما تغلغلوا في علم ومعرفة ، كلما ازدادوا شعورا بالعجز ، وضعف أمام قوة ، وجهل أمام معرفة واسعة ، وليس هذا الذي أقول خيالا أو شعرا ، أو نظريات فلسفية ، وإنما هي حقائق الأمور تتجلى للمؤمنين ، الذين يؤمنون بالغيب ، والذين إذا تليت عليهم آيات ربهم زادتهم إيمانا ، والذين يشعرون بأن ربهم مطلع عليهم ولو كان عملهم في أعمق أعماق البحار ، كما قال سبحانه ـ على لسان لقمان لابنه : **(يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير)** لقمان/ ١٦ .

ولذلك قال سبحانه : **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** فاطر/ ٢٨ .

وقد ذكر الخبراء ، تعليقا على هذه الآية ـ بعد استعراض تباين الثمرات

والجبال والناس والدواب والأنعام ، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين في تلك الأحوال جميعها وحدة في الأصل ، فالثمرات من ماء واحد ، والجبال من صهارة واحدة ، وكذلك اختلاف الألوان ، والناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطف التي تنشأ منها ، ولو فحصت بالمجاهر القوية ، فانها في مظاهرها لا تشير الى شيء مما تكنه من أوجه الاختلاف ، وإنما هي دقائق وأسرار تحتويها في داخلها (جيناتها) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى الخصائص الوراثية الكافية في جراثيم النبات والحيوان والانسان تحافظ على فطرتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء .

وأحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات .

وقد علق على الآية صاحب المصحف الميسر ، بقوله : لأنهم هم الذين يدركون دقة صنعه سبحانه .

فاذا استعرضنا تلك النعم التي أنعم الله بها علينا أدركنا أن علينا واجب الشكر له سبحانه ، على ما أنعم وتفضل ، ولا أقصد بالشكر ترداد الكلمات والألفاظ فقط ، وإنما أقصد الشكر لله سبحانه بأفعالنا وأقوالنا وأعمالنا ، ومشاريعنا ومشاعرنا ، وسلوكنا وتصرفاتنا ، بحيث نكون صورة صحيحة صادقة لتعاليم الاسلام والقرآن ، وكان شعارنا الصدق في أقوالنا ، والأمانة في أعمالنا ، والتناصح في سلوكنا ، والصبر على ما يصيبنا ، والتنبه لأخطائنا ، والسير قدما لاصلاح أحوالنا ، والأعداد العلمي الكافي الوافي لأجيالنا أن يتسلموا الأمانة ، ويسيروا على درب العزة والكرامة ، والنهضة المستمرة ، والقوة العامة الشاملة .

فاذا فعلنا ذلك ، وقمنا بما ذكر نكون قد أدينا واجب النعم ، والله سبحانه يقول : **(لئن شكرتم لأزيدنكم)** ابراهيم/٧ . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم واحمد .

هذه العقيدة الواضحة ، وهذه الطريق البيضاء الناصعة ، وهذا الايمان الراسخ ، إذا ثبتت جذوره ، وتأصلت قواه ، نبني حينئذ أمة الأمجاد والبطولات كما بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأكرمون ومن سار على دربهم من الأخيار الأطهار المؤمنين المخلصين ، وهي أمجاد لا حد لنشاطاتها ، ولا نهاية لطموحاتها ، ولا وقفة في تجاربها وبحوثها ، كما استلهموا ذلك كله من القرآن الكريم الذي **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** فصلت/٤٢ . وقال سبحانه : **(يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا)** النساء/١٧٤ . وقال عز شأنه : **(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين)** الشعراء/١٩٢ ـ ١٩٥ . وقال

سبحانه : (**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**) الزخرف/ ٤٣ ، ٤٤ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر هنا الصيت والشرف ، وقال تعالى : (**لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون**) الأنبياء/ ١٠ . وفي المصحف الميسر ، إنه فخر لك ولقومك ، لأنه بلسانهم ، وسيبقى ذكرهم ، ما بقي لسانهم .

وقال سبحانه : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الأنبياء/ ١٠٧ .

وكل هذا يتطلب من المسلمين أن يقتبسوا من كتاب الله ، وسنة رسول الله ، ما يحقق رحمة العالمين وإنقاذهم من الشر والفساد .

اهتمام المسلمين بالقرآن

وليس من قبيل المصادفة أن المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، الذي انعقد سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م حينما بحث فيما ينبغي عمله ، في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، أن يشير إلى القرآن الكريم والعناية بالقرآن الكريم ، والتعلق بالقرآن الكريم ، كما أن الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي في الجزائر الذي تم سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م حينما تحدث عن القرن الخامس عشر الهجري والحضارة الاسلامية ، وقد ساهم فيه علماء مسلمون ومستشرقون ، وطرحوا تصوراتهم وتطلعاتهم إلى آفاق المستقبل ، عسى أن يكون فيه تجديد لأمر الاسلام ، كان القرآن الكريم مركز كل أحاديثهم ، ومبعث انطلاقاتهم ، ومهوى أفئدتهم ، وقرروا تأليف لجنة من علماء المسلمين تناط بهم مهمة تقديم جديد للقرآن الكريم يأخذ في اعتباره ، العلوم الكونية الصحيحة المعاصرة .

وفي القرآن الكريم آيات خالدة ، وأصول هائلة ، وقواعد مدهشة ، إذا وعتها العقول أدركت القوة الخارقة ، قوة الخالق العظيم ، وانساقت إلى الايمان بالله العلي الكبير ، ونبذت كل ضروب الكفر والشرك والالحاد بجميع أنواعه ووسائله ، قال تعالى : (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**) يونس/ ١٠١ .

ولا ريب أن العاقل الذي يتجرد عن الهوى ويستعمل عقله وفكره ويتأمل بما في هذا الكون العجيب ، من نظام وابداع ، يتوصل ـ لا محالة ـ إلى الايمان بوجود الله ، وقد اهتدى كثير من العلماء نتيجة بحوثهم العلمية ، واستعمال عقولهم ، إلى الايمان بوجود الله العظيم .

وان قول الله سبحانه : (**ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون**) الطور/ ٣٥ ، ٣٦ . فيه دليل إلزامي يجعل الانسان العاقل منساقا إلى الايمان بوجود الله ، لأنه إذا استعمل

عقله واستدل بما يشاهد في هذا الكون ، من أن كل موجود يحتاج إلى من يوجده ، وكل مسبب يحتاج إلى سبب . فالعمارة لابد لها من موجد يوجدها والشجر والنبات لا يظهر ولا يوجد إلا بعد غرس النبتة الأولى ، والانسان لا يوجد إلا بعد عملية التلقيح بين الرجل والمرأة ، وهكذا ، فكيف يمكن ان يوجد هذا العالم وما فيه من شموس وأقمار من غير موجد يوجده ؟ إن ذلك مستحيل في عرف العقلاء ، والبشر لم يزعموا أنهم خلقوا السموات والأرض وما فيهما فكان ذلك دليلا إلزاميا على الاعتراف بوجود الله .

وإن « ديكارت » باعث الفلسفة الحديثة يستدل على وجود الله بما تضمنته هذه الآية ، يبدأ ديكارت دليله من الشك في كل شيء ثم يستطرد فيقول : ولكنني لو شككت في كل شيء فاني لن أستطيع أن أشك في أنني أفكر ، وما دمت أفكر فأنا شيء موجود .

وهكذا يثبت ديكارت أنه موجود ، وينتقل من حقيقة وجوده إلى التسليم بأنه لم يخلق نفسه ، ويقول : لأنني لو كنت خالق نفسي لجهزتها بكل الكمال الذي ينقصها ..

ويخلص ديكارت إلى أنه يلزم من ذلك أن يكون خالق الكون هو الله الواحد الأحد القادر الكامل .

ويزداد ذلك الموقف قوة وثباتا إذا انتبهت تلك العقول إلى ما في القرآن الكريم من إرشادات أو مضمونات لحقائق علمية أصبحت معروفة في الكون ، وما كان الناس يدرون من أمرها شيئا ثابتا مقنعا ، فاذا تنبهوا لذلك وأحاطوا به علما ، ازدادوا إيمانا ويقينا ، وجذبتهم تلك الحقائق العلمية ، مع ما في القرآن من إرشادات وتنبيهات ، إلى أن ينقذوا البشرية من أخطارها ، وينتزعوا عوامل دمارها وتهديمها ، بالأخذ بما في القرآن ، من مبادئ سامية ، وتطبيق ما يهدف إليه القرآن من شرائع حكيمة قويمة .

أمثلة من الأدلة العلمية

وإذا كان القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته ، الحجة الساطعة على أئمة البلاغة وفرسان الفصاحة من العرب ، فانه بالنسبة لغير العرب لا تقوم هذه النواحي حجة عليهم ، ولا تقنعهم بأنه تنزيل من رب العالمين . ولكن حينما نعرض عليهم مثل قوله تعالى : **(وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها)** ١٢ / فاطر .

وقوله سبحانه : **(مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)** الرحمن ١٩ / ٢٢ .

وكان الرأي المعروف عند العرب وعند غير العرب ، أن الحلية واللؤلؤ والمرجان ونحوها إنما تخرج من الماء المالح ، وكان المفسرون يفسرون

الآيات المذكورة بأن المقصود أنه يخرج من أحدهما .

ولكن العلم والواقع أثبتا أخيرا أن اللؤلؤ كما يستخرج من أنواع معينة من البحر ، يستخرج أيضا من أنواع معينة أخرى ، فتوجد اللآلىء في المياه العذبة ، في انكلترا واسكتلندا وويلز ، واليابان وتشيكوسلوفاكيا الخ .

ويوجد الياقوت أيضا في الرواسب النهرية في (موجوك) بالقرب من (ماندلاس) في بورما العليا ، ومن الأحجار شبه الكريمة ، التي تستعمل في الزينة حجر التوباز ، وتوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ، ومنتشرة في البرازيل وفي روسيا ــ الاورال وسيبريا ــ الخ ..

وهذه الحقائق والمكتشفات أثبتت بصورة يقينية أن الحلية واللؤلؤة وأمثالها تستخرج من الأنهار العذبة ، كما تستخرج من البحر المالح ، مما يشهد بأن هذا القرآن من عند الله سبحانه ، وقد أعلمنا بذلك منذ نزوله ، كما هو ظاهر من نصوص الآيات . ويقول « موريس بوكاي » ، الطبيب الفرنسي : كيف أمكن لمحمد عليه السلام أن يتناول قبل أربعة عشر قرنا ، حقائق علمية في القرآن الكريم ، لم يكتشفها إلا التقدم العلمي ، في القرون الحديثة ، لو لم يكن القرآن وحيا منزلا ، لا شك فيه ، ولا ارتياب في نصوصه .

ومن الأمثلة أيضا ، قوله تعالى : **(فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)** يونس/٩٢ .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ، ليراه الناس ، ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم ، لمن كان يعتبر نفسه إلها ، ويقول لقومه الخانعين ، ليس لكم من إله غيري .

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى : **(ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)** النور/٤٣ .

وهذه الآية سبقت ركب العلم في عدة أمور أشرنا إليها ، وإلى آيات أخرى من القرآن الكريم ، وأوضحنا وجه الاعجاز فيها ، وكيف أثبت العلم صحة ما ورد في القرآن مع أنه عند نزوله ما كانت تعرف تلك المعاني التي أشارت إليها الآيات ، لا في الجزيرة العربية ، ولا في غيرها ، مما يشهد بأن القرآن الكريم تنزيل من حميد مجيد .

نبذة عن القرآن الكريم

القرآن الكريم أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليحرر النفوس من أغلالها ، والعقول من قيودها ، ويطهر المجتمعات من الخرافات والأوهام ، والعادات المتوارثة ، المبنية على التقليد الأعمى ، ويقضي على تقديس وعبادة البشر ، كما أنقذ

الانسانية من عبادة الحجر ، ويهدي الناس إلى سنن الرشاد ، ويعلمهم الكتاب والحكمة والسداد ، وينقذهم من مهاوي الضلالة ، ويرفعهم إلى درجة يرشدون فيها غيرهم من الأمم ، إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم ، في العاجل والآجل ، وقد جمع أسمى المبادئ وأقوم المناهج وأفضل النظم ، واشتمل على كل ما يحتاجه البشر من العقائد والعبادات ، والآداب والمعاملات ، وقد كفلت تلك التعاليم إنشاء الفرد الكامل والأسرة الفاضلة والمجتمع الصالح ، والحكومة العادلة ، والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدالة ويرفع الظلم ويدفع العدوان ، ويجعل الناس سواسية في أحكامه ، لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، ولا بين مسلم وغير مسلم ، وطريق التفاضل بين الناس هو تقوى الله ، والعمل الصالح .

ولكن في ضوء هذا القرآن العظيم ، وهذه المبادئ السامية يحتاج المسلمون إلى وضع منهج عملي واضح ، وتحديد مبادئ لا يختلف عليها ، ولا يمس جانبها ، لأنها من القرآن أساسية ، ومن العقيدة تمس جوهرها ، وفيما عدا ذلك يترك لكل شعب ومناخ ، أن يختار ما يناسبه ويتلاءم مع ظروفه ، ويكون أيسر عليه تنفيذا وأسهل عليه تطبيقا .

فلا يجوز العبث بأركان الاسلام ، ولا يجوز البحث في أعداد الصلوات المفروضة ، ولا يجوز التخلي عن الجهاد ، ولا يجوز سلوك مسالك المهانة والذلة ، ولا يجوز الأغراق في الترف والملذات ، ولا يجوز تعريض الأمة للهلاك ، ولا يجوز تمكين الآخرين من أعداء الله أن يتحكموا في رقاب المؤمنين ، ويعذبوا المواطنين ويعتدوا على المقدسات .

قال تعالى : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون/ ٨ .

وقال سبحانه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الأنفال/ ٦٠ .

وقال عز شأنه : **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان)** النساء/ ٧٥ .

الخلق والعلم في آيات القرآن الكريم

وفي القرآن الكريم آيتان تحملان مبدأين عظيمين ومنهجين متلاقيين :

الأولى : قوله تعالى : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم/ ٤ .

الثانية : قوله سبحانه : **(وقل رب زدني علما)** طه/ ١١٤ .

ففي الأولى نهج أخلاقي واضح ، لا درجات فيه ولا مراحل ، إما أن يكون الانسان ذا خلق رفيع ، فيكون صادقا في أقواله وأعماله ، وأمينا في كل أحواله ، موفيا بالوعد ، ملتزما بالعهد ، قائما بالواجب ، شاعرا بما

عليه من مسئوليات ، وحينئذ يتمتع بثمرات استقامته ، ونتائج تصرفاته ، في الدنيا ، توفيقا وهناء وسعادة ، وفي الآخرة جنات خالدات ، ونعما متواصلات .

واما ألا يكون كذلك فلا يتمتع بتلك الثمرات ، لا في دنياه ولا في آخراه ، ومن هذا المنطلق قال الفقهاء : الخيانة لا تتجزأ ، فمن خان في القليل خان في الكثير ، ولعل هذا هو هدف الحديث الشريف ، حينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده**) رواه الشيخان . أي أن من يسرق البيضة قد يتدرج حتى يسرق الدجاجة فأكثر منها فتقطع يده الخ ..

ولذلك لا ينبغي للانسان ان يتهاون في أية خيانة يرتكبها ، ولا في أية معصية يقترفها ، حتى لا يقدم على ما هو اكبر منها ، كما لا يجوز للمجتمع أن يسكت عن المعاصي تستشرى ، دون أن يحرك الناس ساكنا ، ودون أن يأمروا بالمعروف أو ينهوا عن المنكر ، وأخرج الأمام مالك عن صفوان بن سليم ، قلنا : يارسول الله « أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم ، فقيل له ، أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال نعم ، قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا » .

وأخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رفعه : « يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب » .

وهذان الحديثان وأمثالهما يدلان على كبر الأثم في الكذب ، لخطره ، ونتائجه السيئة ، قال تعالى : (**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**) النحل/ ١٠٥ ، كما أن الحديث الثاني يدل على خطر الخيانة وكبر اثمها ، مما يستدعي تجنب هاتين الخصلتين ، وكل خصلة سيئة مماثلة لهما أو دونهما ، حتى لا نبتعد عن الخلق الحسن ، وأن الله سبحانه وصف رسوله الكريم بالخلق العظيم ، وهو الأسوة الصالحة ، والقدوة الحسنة ، والأمام الأعظم ، لنقتدي به في سمو خلقه وكمال سلوكه .

وأما الآية الثانية ، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن الانسان في مقام العلم ، لا يصل إلى المنتهى ، لأنه لا حد له ، ولا يبلغ مرحلة الاكتفاء ، ولذلك كان ارشاد الله سبحانه لرسوله الكريم أن يقول : (**رب زدني علما**) ، وهذا يعني أن الانسان مهما بلغ في العلم ، من رتبة سامية فان عند الله مقاما أعظم ، ودرجة اكبر ، مما يوحي إلى الانسان أن يتواضع وأن يشعر بما يهدف اليه قوله سبحانه : (**نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم**) يوسف/ ٧٦ .

ولذلك فان أئمة الاسلام في معظم العصور كانوا يدأبون على البحث والاستقراء والتجارب والاستنباط ، لأنهم يعتبرون ذلك ضربا من ضروب العبادات والقربات إلى الله سبحانه ، ويستمرون كذلك إلى أن يقعدهم

العجز أو الموت .

وكانوا لا يكتمون علما ، ولا يدخرون حقيقة ، يخفونها عمن سواهم ، لأن إرشاد البشرية ونفعها غاية لهم ، « وخير الناس أنفعهم للناس » ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . رواه الطبراني .

ومن حسن حظ الانسان ان يكون مهيأ لقضاء مصالح العباد ، وأن يكون سبيلا لتفريج الكرب ، وإزالة الغموم والهموم عمن سواه ، وأن يكون بابا يفتح على أي خير لأي فرد من أفراد البشرية ، قريبا أو بعيدا ، صديقا أو عدوا موافقا أو مخالفا ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لبعض أصحابه : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، أو خير من الدنيا وما فيها » . وقال أيضا : « إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة » رواه الطبراني ، وروى الترمذي وأحمد وأبو داود عن عمر بن مرة قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك ياأبا فلان ؟ فقلت : حديثا أخبرك به ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » .

وأن الامام أبا حنيفة عليه الرضوان سئل مرة بم بلغت ما بلغت إليه ؟ قال : لأني لا أستنكف الاستفادة ممن هو دوني ، ولا إفادة من هو فوقي .

وأنا أعرف شيوخا مرموقين من علماء الأزهر الأجلاء أو أئمته وكانوا أعلاما ، ومع هذا فانهم يجلسون مجالس التلامذة في حلقات أساتذتهم ، اعترافا منهم بالحاجة إلى المزيد من العلم والتزود بالمعرفة .

وكان المرحوم شيخ الاسلام ابن تيمية يؤلف الكتب ويبحث ويدرس ، وهو يرسف في قيود السجن (نتيجة وشاية بعض الحاسدين ذوى الأهواء والأغراض) وقد ترك وراءه ـ رحمه الله ـ ثروة ضخمة من مختلف أنواع العلوم ، في القرآن والحديث والفتاوي ، والرد على الفرق المنحرفة ، وشئون إسلامية أخرى ، منها الدعوة الاسلامية والسياسة الشرعية وغير ذلك ..

ولشيخ الاسلام ابن تيمية أربعون حديثا رواها بسنده هو ، وكان من تلك الأحاديث ، الحادي عشر ، والثاني عشر والثامن عشر ، والسابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون والأربعون ، في سنده من شيوخه سيدات فاضلات ، وقال في روايته للحديث الثامن والثلاثين ، اخبرتنا الشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة .. قراءة عليها وانا اسمع الخ .. وفي روايته للحديث التاسع والثلاثين قال : اخبرتنا الصالحة العابدة المجتهدة ام احمد زينب مكي .. وفاطمة بنت علي بن عساكر قراءة عليهم الخ ..

وقال في روايته للحديث الأربعين اخبرتنا الشيخة الصالحة ام محمد زينب بنت احمد .. المقدسية قراءة

عليها وانا اسمع الخ .

وذلك كله يدل على ما كانت تتمتع به المرأة المسلمة في ذلك العهد من مكانة علمية مرموقة ، في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اخبرني شيخي الجليل المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي ، مفتي الديار المصرية سابقا ، في حلقة درسه ، في المسجد الحسيني بالقاهرة ، حينما كان يدرسنا ، كتاب الهداية في الفقه الحنفي ، أن صاحب كتاب « بدائع الصنائع » أبو بكر بن مسعود بن احمد الكاساني ، من اهل حلب ، ويلقب بسلطان العلماء ، كان لا يوقع على الفتوى ، الا اذا وقعتها قبله زوجته ، لوثوقه بها ، وبتضلعها في العلم والفتوى .

مما يدلنا دلالة واضحة على أن التوسع في العلوم والبحوث الدينية والمزيد منها شأن العلماء من الرجال والنساء .

واذا كان هذا شأن العلماء في العلوم الدينية ، وما يتصل بها ، فانه يجب دينا ، أن يهيأ للأمة كل ما تحتاجه من علوم وعلماء ، ومختبرات في أي شأن من الشئون التي نحتاجها لتأمين مصالحها ، سواء في الطب او في الهندسة أو في علوم الحرب والجهاد وألاته ، على اختلافها وتطورها .

وقد ذكر حجة الاسلام الغزالي ، وغيره من أئمة المسلمين أن من فروض الكفاية أن يهيأ للأمة جميع ما تحتاجه من كل علوم الدنيا ومتعلقاتها ، ومثل ذلك انشاء المصانع الحربية والمدنية للصناعات الثقيلة والخفيفة ، وليس من مقتضى أحكام القرآن ولا من مستلزمات شريعة الاسلام أن يتوسع المترفون بشراء القصور الفخمة ، والتطاول في البنيان والعمران ، لمزيد من مكاسبهم الشخصية ، أو لتحقيق ملذاتهم وانحرافاتهم ، والأمة بأمس الحاجة إلى مصنع يؤمن لها بعض حاجاتها الضرورية ، خصوصا ، ما توفر به وسائل الدفاع عن دينها وقرآنها ووجودها ومقدساتها . ومن ذلك يتبين أن الضروري من العلوم نوعان :

١ ــ علوم شرعية إلهية تستند إلى كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبصر الناس بأمور دينهم وتوضح لهم الحلال من الحرام ، ووسائل التعبد الصحيحة .

٢ ــ علوم دنيوية يحتاجها المجتمع ولا يستغني عنها .

وأن كل من يسعى أو يساعد في تأمين حاجات الأمة ، في أي ميدان من الميادين الاقتصادية أو العسكرية أو أي ميدان آخر ، وتكون نيته صالحة وهدفه إرضاء الله ، يستحق من الله على ذلك العمل وذلك المقصد الشريف الأجر الكبير والثواب العظيم .

ماذا يجب في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ؟

واعتقد أنه لا يجوز للمسلمين في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

أن يبقوا عالة على غيرهم ، في ما يحتاجون إليه ، من الأبرة حتى الصاروخ ، ومن رغيف الخبز حتى بناء القصور ، ويجب عليهم أن يحققوا ما هدف إليه القرآن وتعاليم الاسلام ، من بناء أمة قوية ، في أخلاقها ، قوية في علومها ، قوية في مصانعها ، قوية في استعداداتها ، على مختلف المستويات والميادين ، وأن تكون قوانينهم ومجتمعاتهم صورة صادقة لما في القرآن الكريم وسيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . فاذا وصلنا إلى هذا المستوى وأدركنا هذا القدر من الواجب ، ونفذنا ما يطلب منا ، فلا يعقل أن نسكت على هذه المخازي ، التي تمثل على المسارح الدولية ، والتي توجه صباح كل يوم ومساءه ، طعنات نجلاء ، للعزة الاسلامية والعربية ، في فلسطين ولبنان ، وسائر المناطق العالمية الأخرى ، والتي يستخف فيها عدونا الصهيوني ، ومن يسانده من الدول الكبرى ، وغيرها من الدول الاستعمارية قديما وحديثا .

ولابد أن نستمر في تزويد الأمة ، بما يربطها بماضيها المجيد ، وتراثها التليد ، وتذكيرها بواجباتها ، خصوصا في هذه المرحلة الخطيرة من حياتنا ، حتى يهيئ الله لهذه الأمة من تقذف به مبادئه الاسلامية الصحيحة إلى قمة المجد والسؤدد ، فيسير ويقود الأمة الى طريق الجهاد والأنقاذ والشرف .

وعلينا أن نستلهم من القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ما يكون خطة لنا في مطلع القرن الجديد ، ونتذكر قوله سبحانه .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) الممتحنة/٨ ، ٩ .

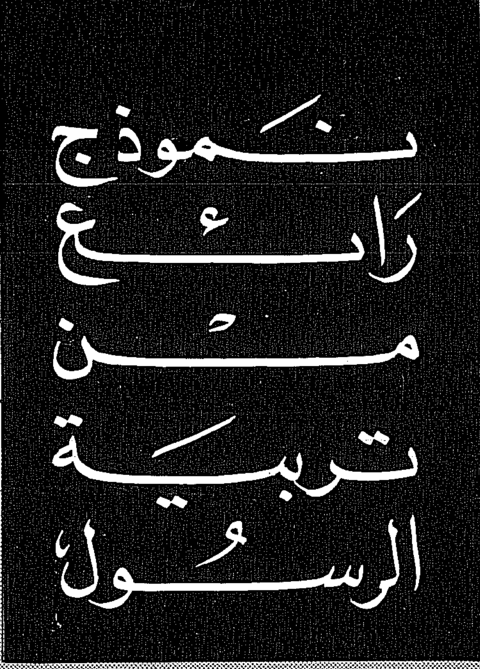
وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » رواه اصحاب السنن .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد » رواه النسائي .

فكيف بمن يقاتل دفاعا عن كل ذلك ؟

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا لازالة مظاهر الذلة والخزي والعار ، الذي هو لاحق بكل عربي ومسلم ، مادامت القدس والديار المقدسة تحت الاحتلال ، ومادام المسجد الأقصى والمسجد الابراهيمي أسيرين ، ومادام السكان المستضعفون يعانون من ظلم الأعداء سواء كانوا في السجون ، أم خارج السجون .

وإن لله عبادا إذا أرادوا أراد ، وإذا اتجهوا إليه ونصروه نصرهم وأيدهم وأعانهم .



كيف تكون المجتمع الإسلامي بالمدينة

للأستاذ : علي القاضي

في عصرنا الحاضر اصبحت الهجرة شيئا عاديا مألوفا وسريعا بسبب عوامل كثيرة ، ومع ذلك فانها بالنسبة للفارين من وجه الظلم والطغيان مشكلة كبيرة ، تتعاون الدول على حلها ، أو على الاسهام في حل المشكلات الناجمة عنها ، حتى تخفف من متاعبها ، وآثارها .

لكننا لا نستطيع ان نقيس الماضي بالحاضر ، إن الهجرة في القديم كانت شيئا يكاد يكون نادرا ، لقد كان حب الوطن متمكنا في قلب كل فرد من افراد هذه البيئة ، الأهل والأصدقاء وذكريات الطفولة والصبا والمال والمتاع ، كل ذلك يترك الى بيئة جديدة ليس فيها شيء من ذلك ، وفيها جو مختلف ، وطقس مخالف ، وأسلوب في الحياة جديد ، كل هذا كان يؤثر في كل فرد من ابناء المهاجرين الى المدينة .

ولقد كانت الدولة الاسلامية الناشئة في حاجة الى المهاجرين من مكة ليتوطد سلطان الاسلام فيها ، وبخاصة وأن المدينة بها يهود ومشركون ومنافقون ، ويحيط بها قوى الأعراب حول المدينة ، ويترصد بهم كفار قريش الذين أقضت الهجرة مضاجعهم ، فمضوا يخططون للقضاء على الاسلام بالمدينة

ولقد منع القرآن الكريم المسلمين القادرين على الهجرة من الاقامة مع المشركين في مكة لان الاقامة معهم فيها تكثير لعدوهم ، ثم ان المشركين ينتفعون بجهود المسلمين في الصناعة والزراعة ، ومن يدري فربما اضطروهم الى المشاركة معهم في حروبهم ضد المسلمين كما حدث في معركة بدر ، بالاضافة الى تعرضهم للفتنة من قبل الكفار لصرفهم عن دينهم .

وقد ادت الهجرة المستمرة الى تنوع سكان المدينة ، اذ اصبح فيها – الى جانب سكانها الأصليين – المهاجرون من قريش والقبائل العربية الأخرى ، وبذلك ارسيت قواعد المجتمع المدني الجديد على اساس روابط العقيدة التي استعلت على ارتباطات القبيلة وعصبيتها وسائر الروابط الأخرى .

المهــاجرون :

خرج المسلمون من مكة مهاجرين الى المدينة فرارا بدينهم ، وليكونوا ـ مع الأنصار ـ المجتمع الاسلامي الأول ، وقد تركوا أهلهم وثرواتهم بمكة ، وجاءوا الى المدينة وليس معهم الا ايمانهم ، ولم تكن لهم مهارة في الزراعة والصناعة ، ولم تكن معهم رؤوس اموال يستخدمونها في التجارة التي يجيدونها .

ومع ان المدينة بلد زراعي وخيراته كثيرة الا ان الحروب المتوالية التي استمرت ١٢٠ عاما اكلت الأخضر واليابس ، وجعلت الحياة المعيشية شاقة ، ولقد اصاب الجهد كل المهاجرين ومن الأمثلة التي تدل على حالتهم مصعب بن عمير الشاب الذي كان مرفها في مكة فأصبح في المدينة لا يجد ما يستتر به ، وعلي بن ابي طالب الذي اخذ يعمل في بستان يهودي كلما نزع دلوا نال تمرة ، حتى نال حفنة ، فرجع فرحا بما نال ..

وحتى النبي صلوات الله عليه لم يسلم من ذلك ، خرج مرة من بيته فوجد أبا بكر وعمر فقال لهما ما أخرجكما ؟ فقالا : الجوع ، فقال عليه السلام : وما أخرجني الا الجوع ، وجاءه رجل مرة وقال : يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبي عليه السلام لأصحابه : ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب لأهله وقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا ، فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية ، واتفقا على ان يطعماه طعام الصبية .

ومما ضاعف من مشكلة المهاجرين في المدينة انها كانت في هذه الفترة موبوءة بحمى الملاريا ، فلم تمض أيام من وصولهم إلى المدينة حتى مرض بها بعض الصحابة ، ومنهم أبو بكر وبلال وعامر موليا أبي بكر ، وكان لذلك اثره النفسي على نفوس المهاجرين ، فقد استوخموا جو المدينة ، وبدأوا يحنون الى مكة ، وبدأ النزوع الفطري الى الوطن والأهل يراودهم صباح مساء .

وكانت هذه مشكلة جديدة عالجها النبي عليه السلام بأسلوبه الخاص ، فقد كان يصبر أصحابه على احتمال الشدة ، وكان يقول لهم : « لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من امتي إلا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ، ولا يدعها رغبة عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه » رواه مسلم ، ومن ناحية اخرى كان يلجأ الى ربه قائلا : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل حماها وأجعلها بالجحفة » ، رواه البخاري .

وكان إذا أتى بأول التمر قال . « اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ، اللهم ان ابراهيم عبدك ونبيك وخليلك ، واني عبدك ونبيك ، وانه

دعاك لمكة ، وأنا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » ، رواه مسلم ، وطلب من ربه ان يجعل بالمدينة ضعفي ما جعل بمكة من البركة .

وقد ارتفعت روح المسلمين المعنوية ، وبدأوا يتركون التفكير في مكة ، ما فيها ، ومن فيها ، ويقبلون على الدعوة ينشرونها ، وانصرفت نفوسهم اليها انصرافا تاما .. لقد جاءوا الى المدينة ليقيموا المجتمع الاسلامي ، ثم ينطلقوا إلى آفاق الدنيا لاخراج الناس من الظلمات الى النور .

تكوين المجتمع الاسلامي :

أصبح المسلمون في المدينة القوة الاساسية ، ولذلك فقد كان لا بد من وضع دعائم لهذا المجتمع الجديد ، دعائم تتلاءم مع الأسس الاسلامية ، والنبي عليه السلام ترك مكة بما فيها ومن فيها ، وجاء إلى المدينة ليجد فيها البذرة الصالحة ليؤسس المجتمع الأسلامي الجديد .

وقد أقام النبي عليه الصلاة والسلام المجتمع الجديد على ثلاثة أسس :

الأساس الأول : صلة المؤمنين بربهم الذي خلقهم وكرمهم واختارهم لأداء رسالة الاسلام وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ونشر العدل والأمن والسلام بين ربوعها ... ولذلك فقد كان اول شيء يفعله النبي عليه الصلاة والسلام في اي مكان يحل به هو بناء المسجد ، وقد أقام في قباء أربعة أيام فبنى بها مسجد قباء ، كما اقام في منتصف الطريق بين قباء والمدينة حين ادركته صلاة الجمعة مسجدا في بني سالم بن عوف ، وهكذا بنى مسجده حيث بركت ناقته وقد اشترك النبي عليه السلام مع اصحابه في حمل الأحجار على كواهلهم مما كان له الأثر الكبير في حماستهم ، كان عليه الصلاة والسلام كأحدهم ، ويكره ان يتميز عليهم ، مما جعل بعضهم يرتجز :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة
فاغفر للانصار والمهاجرة

فيرد عليهم النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ذلك .

والاسلام لا يهمه المظهر وانما يهمه المضمون ، ولذلك فقد كانت أعمدة المسجد من جذوع النخل ، وسقفه كان من جريد النخل ، وفراشه الحصباء والرمال ، وكل هذه الاشياء متوفرة في بيئة المدينة ، وهذا البناء البسيط هو الذي ربى المسلمين الأوائل وكون شخصياتهم وزكى نفوسهم ، ثم هو مكان لأقامة الصلاة جماعة ولتلقي العلم ، والمسجد يوحد الصفوف ويهذب النفوس ، ويوقظ القلوب ، وفيه تحل المشكلات ، ومنه تنبعث كلمة الحق في كل اسبوع مرة ويؤذن للصلاة عند كل حادث جلل ، فيجتمع المسلمون ويتشاورون ويقررون ما يرون انه صالح لهم في دينهم ودنياهم ، وقد اتخذ النبي عليه الصلاة والسلام مسجده النبوي مقرا

للقيادة يعد فيه الخطط العسكرية ، ويربي فيه المجاهدين ، ويصدر فيه القرارات والوصايا ... وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد ، وتعقد الرايات والاعلام والبنود للمجاهدين في المسجد وتوزع فيه الأسلحة والمعدات ، وكان اصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر وكان المجاهدون العائدون من الغزوات والسرايا يعودون الى المسجد ، وفيه تضمد جروح المصابين .

وكان المسجد الى جانب ذلك — منزلا لأهل الصفة — وهم من فقراء المهاجرين الذين لا أهل لهم ولا مال — وقد استمر تدفق المهاجرين الى المدينة حتى غزوة الخندق حيث كان الكثيرون منهم يستقرون في المدينة الى جانب الوفود الكثيرة التي طرقت المدينة آنذاك ، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من المدينة ، وقد زاد اهل الصفة على السبعين ، وكان ابو هريرة عريف اهل الصفة ، وكان واسطة بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ... وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتفقد اهل الصفة بنفسه ، يزورهم ، ويطمئن عليهم ، ويعود مرضاهم ، يفرقهم إذا جاء الليل على اصحابه ، وتتعشى طائفة منهم معه ، واذا اتته هدية ارسل اليهم وأصاب شيئا منها حتى جاء الله بالغنى .

وأول خطبة خطبها النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة ترينا القيم التي كان الرسول صلوات الله عليه يربي اصحابه عليها ، وهي وصلهم بالله تعالى وصلا كاملا ... **روى البيهقي** عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة انه قال بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه : « أما بعد ايها الناس : فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه — ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه — : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وأتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ، فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقي نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم » .

الأساس الثاني :

الأساس الثاني : وحدة المؤمنين ، وازالة ما بينهم من فوارق ، وبناء القوة الاسلامية الجديدة على الحب والتعاون والأمن .

وقد قام النبي عليه الصلاة والسلام أولا بتوحيد الأوس والخزرج وسماهم الأنصار ، بعد ان استمرت الحروب بينهم أكثر من مائة عام ، وقد من الله تعالى عليهم بهذه النعمة في قوله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله**

عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) آل عمران/١٠٣ .

ثم قام النبي – عليه الصلاة والسلام – بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبذلك قضى على مشكلات المهاجرين ، ووحد الجماعة المؤمنة ، وبذلك سقطت جميع الفوارق البشرية ، ووصل بهذا التآخي في العقيدة إلى مقام أسمى من أخوة الدم ... وهذه المؤاخاة كانت حقيقة كاملة ، لا شعارا يرفع بين الناس ، كانت عملا يرتبط بالدماء والأموال ، والنبي الكريم لا يتميز على أحد من هذه الجماعة بأية ميزة ، كما بتميز الزعماء والرؤساء في مجتمعاتنا المعاصرة بل والمجتمعات القديمة أيضا .

وقد كانت هذه الأخوة الكاملة من أكبر نعم الله تعالى على المؤمنين ، لأن المحبة وتآلف القلوب لا يمكن ان تنال إلا بفضل من الله ونعمة ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : **(وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** الأنفال/٦٣

ومن هنا فقد كان الحب أساس المجتمع المدني إلى الحد الذي وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم وأحمد .

ومن هنا لم نجد الصراع الطبقي ولا الاستعلاء ولا الحقد والحسد ، لأن المسلمين سواسية كأسنان المشط .

وقد لقي هذا المجتمع كثيرا من الفتن والدسائس من اليهود والمنافقين الذين كانوا يحاولون التفريق بين المهاجرين من ناحية ، وبين الأوس والخزرج من ناحية أخرى ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام كان يثير فيهم الايمان فور وقوع الفتنة ، فيثوبون إلى رشدهم ، ويرجعون عما كانوا فيه ، ويدركون خطورة اعدائهم الذين يحاولون بث الفتنة بين صفوف الجماعة المؤمنة ، ليستفيدوا هم من وراء ذلك الاستفادة التي يرجونها .

الاساس الثالث :

الاساس الثالث صلة المجتمع الاسلامي الجديد بالمجتمعات الاخرى ، ويتمثل هذا في المعاهدة التي عقدت بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين اليهود الذين يسكنون المدينة .

واليهود أهل كتاب ، وكانوا ينتظرون ذلك النبي ، وكانوا يقولون للأوس والخزرج إذا اشتد الجدل : يوشك ان يبعث الله نبيا فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، ومع ذلك فقد كفروا بمحمد عليه الصلاة

والسلام حينما أرسله الله تعالى .
وقد مد النبي صلوات الله عليه يده إلى اليهود ، وعقد معهم معاهدة ، فلليهود دينهم ، وبين اليهود والمسلمين النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وبينهم النصح والبر دون الأثم .. الخ .

وهذه المعاهدة تظهر حرية العبادة وكفالتها لكل فريق ، ووحدة الامة المسلمة ، والمساواة في الحقوق ، وتأسيس المجتمع الاسلامي ، ومكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ، وحماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما ، وعلى اليهود أن يسهموا في نفقات الدولة ، وان يتعاونوا مع المسلمين لدرء الخطر ، وأن يشتركوا في القتال لصد العدوان ، وأن ينصر من يظلم منهم ، ولا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا حماية لآثم أو ظالم ..

وقد أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام رفضه الحاسم لموالاة كفار قريش ، وحرم إسداء أي عون لهم ، فلا يجير أحد ما لا لقريش ، ولا يحول دونه على مؤمن .

وهكذا استطاع النبي الكريم أن يربي المجتمع الذي استطاع أن يحمل الرسالة كاملة وأن يربي جيلا على مثل الاسلام وقيمه ، يستطيع أن ينشر هذه الرسالة في العالم ، بما فيها من قيم وأخلاق ، جعلت الكاتب الامريكي د . « مايكل هارت » صاحب كتاب **المائة الاوائل** يأتي بعد اربعة عشر قرنا لينادي باعلى صوته : « إن محمدا هو أول مائة رجل في العالم في درجة تأثيره على حياة البشرية كما وكيفا ، طولا وعرضا وعمقا » ، ويقول مبررا سبب اختياره لرسول الاسلام ليكون الاول في مائة أهم رجال التاريخ : « إن اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعظم نجاح على المستويين الديني والدنيوي » ، ثم يستمر قائلا : إن محمدا هو الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكامها ، وآمنت بها شعوب باسرها في حياته ، ولانه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية لها .. ثم يقول :

« إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم ، في بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء ، المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس ، وبيزنطة ، وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ولكنه في

حالة الرسالة المحمدية ليس كذلك ، فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق وسوريا الى آخر الشاطيء الافريقي غربا ، إلى السودان جنوبا ، وبقيت أمة واحدة ، تتكلم لسانا واحدا إلى الان ، فهناك اليوم وبعد اربعة عشر قرنا خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار قياس أثر الرسالة ، أي استمرارها الزمني ، وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

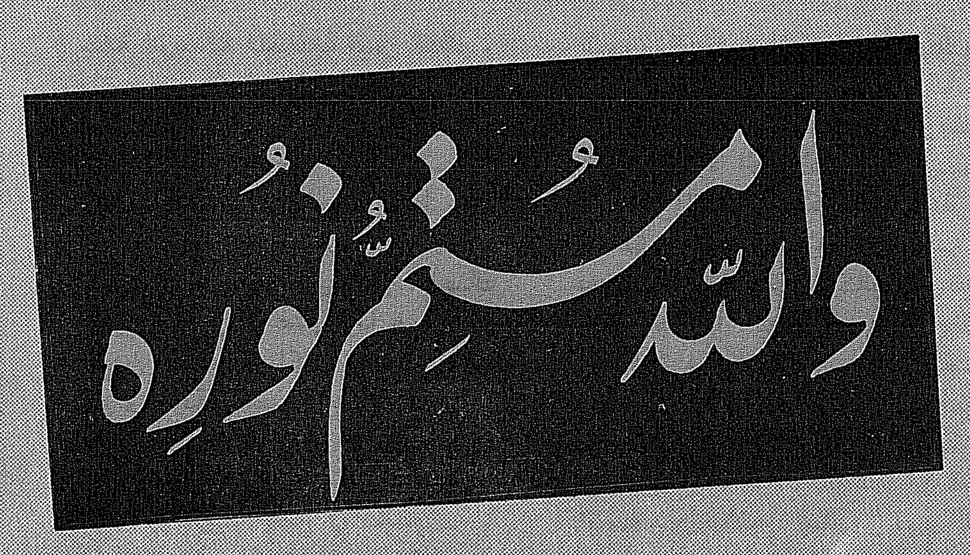
كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقي برمته كاملا دون تحوير كل هذا الزمن ، سوى القران الذي نقله محمد ، الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل .

وهكذا نجد ان فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي ، قد بدأت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، **ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فاني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاخلاق في التاريخ الانساني .**

خاتمة :

لقد كان عمر بن الخطاب ثاقب الرأي نافذ البصيرة حين اختار الهجرة لتكون بداية للتاريخ الاسلامي ، فموت النبي مثلا ـ على اهميته ـ هو حدث إنساني ، لكن الهجرة كانت ميلادا جديدا لدعوة الاسلام وظهور الدولة ، لقد كانت الهجرة خروجا من الحصار المفروض على الدعوة الاسلامية ، وبهذا الخروج الايجابي انكسر الحصار ، وانطلق الاسلام يؤسس دولته ، بعدها راح ينشر طاقاته كالشمس على الناس جميعا ، يهدي الحيارى وينقذ الضالين من أنفسهم ، كما ينقذ بعضهم من بعض ، وسار المسلمون بعد الهجرة من التفرق إلى الوحدة ، ومن قيم الجاهلية وأخلاقها الى قيم الاسلام وأخلاقه ، ينشرون دين الله ولا يخشون فيه لومة لائم ، ولا طغيان طاغ ، ولقد قال واحد منهم هو **ربعي ابن عامر** الذي أرسله سعد قبل معركة القادسية رسولا الى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ـ وهو في عنفوان قوته وجبروته ـ قال له في عزة المؤمن ردا على سؤاله ما جاء بكم : « ان الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الاديان إلى عدل الاسلام » .

والان ، ونحن نحتفل بحلول القرن الخامس عشر الهجري ، على هجرة النبي الكريم ، فاننا نريد ان نهاجر مرة اخرى إلى الله ، حتى يمكننا أن ننشىء المجتمع الأسلامي الجديد ، الذي يستطيع أن يتوجه برسالته في هذه الحياة ، فيخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وينشر بينهم رسالة الحق والامن ، فيسعد المسلمون ويسعد معهم هذا المجتمع الانساني الحائر .



للاستاذ عبدالحفيظ فرغلي علي القرني

لماذا خلق الله الكون ؟
يتكفل الحق سبحانه وتعالى بالاجابة على هذا السؤال فيقول في سورة المؤمنون » /١١٥/ ١١٦ **(افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)** ويقول في سورة « الانبياء » ١٦ **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين)** ويقول في سورة ص ٢٧ **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)** ويزداد الأمر وضوحا بقوله تعالى في سورة الذاريات ٥٦ **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** .

ومن اجل هذه الغاية ارسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان خاتمهم سيدنا محمد بن عبدالله الذي ادى الامانة ، وبلغ الرسالة ، وهدى الامة ، وكشف الغمة ، وترك من بعده منهجا واضحا وطريقا مستقيما . وكانت رسالته للناس كافة انتشر نورها في ارجاء الارض ، وحمل اصحابه الاوفياء من بعده اعباء هذه الرسالة مخلصين فاقاموا دولة الاسلام على هدى من الله ونور ، وظلت قوية ما شاء الله حتى غير الناس وبدلوا .

العالم اليوم .. نظرة الى العالم اليوم ، ونظرة الى واقع المسلمين الان ، لا تجد كلتا النظرتين تفترقان في الارتداد في حسرة والم . هذا العالم المضطرب المفتون الذي يموج بالفساد والشر ، ويمتلىء بالفتن والمؤامرات ، ويتلظى بالسعار المحموم واشعال نار

الخصومات في كل مكان ، فما تنتهي حرب في قطر حتى تندلع في قطر اخر ، ومن وراء ذلك من يتعمد اشعال هذه النيران لتثرى مصانع الدمار ، وتكتنز جيوب مجرمي الحرب وتجار الصراع ، وما عليهم اذا تناثرت من وراء ذلك الاشلاء ، وتمزقت الاجسام ، وجرت الدماء انهارا في ربوع الارض .

وليس الامر قاصرا على ذلك ، فهناك متآمرون اخرون يغتالون الاخلاق كما يغتالون الناس ، ويقتلون القيم كما يقتلون الانفس ، وكما تجري الدماء انهارا بفعل الصواريخ والقنابل والبارود ، تخرب الذمم ، وتموت النوازع الخيرة ، وتصرع المعاني الفاضلة بفعل ما يقدم للناس باسم التطور ، والتقدم ، والفن ، مما يعرض عيانا بيانا في وسائل اللهو والمجون والخلاعة ، وفيما تتبناه الادوات التي تشرف عليها الحكومات من اذاعة وتليفزيون وصحافة ومسرح ، وغيرها من الوسائل التي اصبحت في كل دار ، وفي متناول كل يد ، وتحت كل سمع وبصر ، وبدلا من ان الناس كانوا يذهبون الى اماكن اللهو والمجون في خفية وترقب ، اصبحت هذه الوسائل تقربها لهم سهلة ميسورة ممهورة بخاتم الدول في جسارة وعلانية وتفنن .

ولقد شاع الالحاد الى درجة اصبح المثقفون يتباهون به امام الناس ، ولو كان في غير الامة الاسلامية لهان الامر ، فغير المسلمين من اصحاب الديانات الاخرى قد غيروا دينهم ومسخوه ، وشوهوا تعاليمه من قديم ، ودمغهم القران في غير موضع بذلك ، ولن يكون من وراء ذلك الا الضلال الذي ظهر في عدة صور مختلفة ، تسمى مرة بالشيوعية ، ومرة بالوجودية ، ومرة بالفوضوية ، والى غير هذه المسميات التي ما انزل الله بها من سلطان .

وقد تصارعت هذه المذاهب فيما بينها ، وادى تصارعها الى تمزيق الوجدان الانساني ، واغتيال ما تبقى في الانسان من روح ، حتى اصبح الذي يدين باحد هذه المذاهب شلوا ممسوخا ، لا حياة فيه، ولا قيمة له ، انه شبح انسان يردد ما يقال له دون ان يفهم له معنى ، او يقيم عليه دليل ، وهكذا شاع الالحاد شيوعا انعكس اثره في تصرفات الناس انعكاسا ظاهرا ، فمن الواضح ان العقيدة النظيفة تعكس اثرها النظيف في الانسان الذي يدين بها ، فلا يتصرف الا التصرف الذي يرفعه الى المستوى اللائق به في نظر هذه العقيدة . والعكس صحيح .

الشيوعية تقتل الضمائر : استمع الى ما تقوله الشيوعية لاتباعها ، انها تقول لهم : ان الاخلاق وهم ، والضمير وهم ، والتاريخ وهم ، وهي بذلك تحول بين الشعوب وتاريخها حتى لا تتعلم مما مر ويمر بها من تجارب ، وتحول بينها وبين ضميرها حتى لا يستيقظ فيصرعها ، يقول العقاد في كتابه **افيون الشعوب :** « كما تعوق الماركسية اصلاح

الشعوب تتسرب الى ضمائر الافراد فتعوق اصلاحهم ، وتصرفهم حتى عن محاولة الاصلاح بالوسيلة التي تم بها كل اصلاح ، وهي وسيلة الندم ومحاسبة النفس وعرفان الخطأ والعمل على اجتنابه .. فمن قديم الزمن لم يعرف الانسان سبيلا الى اصلاح عيوبه غير محاسبة النفس والعودة عليها باللائمة في حالة التقصير . اما الماركسية فهي تهدم هذا الاساس الذي لا قوام للاخلاق بغيره ، وتقول للمذنبين والمقصرين انكم جميعا ابرياء من التهمة منزهون من الوصمة لان اللوم كله على المجتمع في عجز العاجز وفساد الفاسد ...

والوجودية : وانظر الى ما تقوله الوجودية لاتباعها . انها تقول لهم انهم الهة هذا الوجود اذا اهتدوا الى وجودهم بانفسهم واكتشفوا ذواتهم عن طريق الثورة الوجدانية التي تزلزل الكيان ، او المحنة العارمة التي توقظ الوجدان ، وهم اذا حققوا ذلك حق لهم ان يفعلوا ما يشاءون ولا حساب عليهم ، بل انها تقول لهم احيانا : انهم لا صلة بينهم وبين هذا الوجود الذي ينتسبون اليه ، انهم عدم ، انهم غير موجودين ، واسمع نشيدهم الذي يقول : اتحسب انك روح ضائع ؟ اتحسب انك روح ؟ انت غلطان . انت لست بروح . انت لست بضائع . انت عدم . انت غير موجود .

وهكذا الى اخر هذا الخلط الذي لا يخرج الا من عقل فارغ ، وفكر خاو .

لقد شاع مثل هذه المذاهب في شتى البقاع ، واصبحت « مودة » العصر التي يتباهى بها الناس ، وينتحلها كثير من المثقفين ، حتى وصلت العدوى بكل اسف الى بعض المسلمين في ربوع الديار الاسلامية .

مظاهر ذلك بين المسلمين :

اصبحنا نرى هذه المذاهب — ان لم تكن معتنقة بالفعل — تقليدا اعمى ، وانسياقا في التيار ، وخوفا من ان يوصم الانسان بوصمة التأخر والرجعية ونرى مظاهرها في التحلل من العبادات والشعائر ، وعدم الالتزام بحدود الاوامر والنواهي . فالتقصير في الصلاة اصبح امرا شائعا ، والافطار في رمضان اصبح تقليدا شائعا ، وبخاصة بين طوائف كثيرة من المثقفين شعارهم « الدين المعاملة »... « والله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » .. وهذا كلام ان صح من جانب فهو خطأ من جوانب ، وهو اشبه بقول من يتلو : **(لا تقربوا الصلاة)** « النساء / ٤٣ » دون ان يكمل الاية . والرد على ذلك سهل ميسور ، فالاسلام له اركانه ، والايمان له شروطه وواجباته ، وبدونها لا يكون الانسان مسلما او مؤمنا .

ولئن اختبرت مثل هذا الشخص وجدته خاليا من كل فضيلة ، فهو انسان شهواني ، اناني ، حاسد ، حاقد ، متطلع لما في ايدي الناس ، متتبع لعوراتهم ، متقص للشهوات من كل سبيل ، غشاش خداع ، الى غير ذلك من الصفات السيئة ، فقد فرضت الفرائض لتهذب الناس ،

وترفع من مستوى اخلاقهم ، ولقد قال جل شأنه : **(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** « العنكبوت /٤٥ » وقال في حق الصيام : **(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** « البقرة/١٨٣ » والتقوى هي جماع الفضائل .

تظاهر الاعداء على الاسلام : انها مؤامرة محبوكة الاطراف ، تظاهرت فيها الصهيونية ، والصليبية ، والشيوعية على ان تفسد على المسلمين دينهم ، لانهم لا يطيقون ان يروا الاسلام قائما بسلطانه ، يتحدى ذلك الباطل المصنوع ، ويقف بمثله الرائعة وقيمه النبيلة ، يوضح للناس طرق الخير ، ويحذرهم من طرق الشر ، حاول هذا الثلاثي الرهيب ان يحارب الاسلام في ابنائه ، حتى يصبحوا اجساما بدون روح ، وظلالا بدون حياة ، عن طريق تشكيكهم في دينهم ، وتهوين امر العبادات في نظرهم ، وماذا يبقى للمسلم بعد ان هانت عليه عقيدته وفرط في شعائر دينه ؟ !

شيوع الفساد في الارض : شاع الفساد اذن في ربوع الارض شرقيها وغربيها ، وزاد من ضراوة ذلك سلطان العلم الذي وضع في يد قوم لا خلاق لهم ، ولا يعترفون بسلطان الاخلاق ، ووازع الضمير ، ودوافع الخير ، فزاد تسلطهم وجبروتهم ، واعتقدوا ان الدنيا لهم وحدهم ، وليس في الوجود غيرهم ، فمن حقهم استعباد الشعوب الضعيفة ، واستغلال خيراتها ، ونهب مقدراتها ، كما تسول لهم بذلك شياطينهم وأهواء نفوسهم . وفلسفوا الاخلاق بناء على ذلك ، فسوغوا لانفسهم ما لم يسوغوه للاخرين ، وهكذا ينبغي ان تكون — في نظرهم — اخلاق الغالب غير اخلاق المغلوب . وقد صدق الشاعر الذي يصور ذلك بقوله :

قتل فرد واحد جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

لقد ملكوا في ايديهم سلطان المال ، وسلطان العلم ، فكيف لا يزدادون علوا وفسادا ؟ : لقد اصبح العالم بهذه الصورة ، وبسبب ما اخترع من الات الدمار المتطورة ، التي يتنافس في انتاجها الشرق والغرب على السواء — اصبح على فوهة بركان ، ولقد نسي هؤلاء ما صوره القران الكريم في ذلك في سورة يونس : **(حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون)** « يونس/٢٤ » .

غفلة المسلمين : لقد نام المسلمون عن واجبهم ، وغفلوا عن تعاليم دينهم ، وانساقوا في تيار الغرب ، يتلهون بما يقدمه لهم ، من ملذات مبتكرة ، يعرضها لهم بشتى صنوف المغريات ، حتى غرقوا في ذلك الى اذانهم ، ناسين ما يجره الترف

على اصحابه من وبال (**واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**) « الاسراء/١٦ » .

وربما أخر هذا المصير ان هناك بقية من روح تتمثل في قلة من المؤمنين ، ما زالوا يضرعون الى الله بالدعاء ان يكشف عن المسلمين هذا السوء ، وان ينقذهم من هذه المتاهة التي ضلوا فيها ، وليس لها من دون الله كاشفة . على ان هناك نذرا موجهة للمسلمين تهيب بهم ان يفيقوا مما هم فيه ، ويتداركوا امورهم قبل ان يستفحل الداء ، ويعز الدواء ، هذه النذر تظهر في تلك الكوارث التي تجتاح بلادهم ، فليس هناك اشد من ان يستفحل الكفر فيدوس بجحافله بلاد الاسلام ، يطؤها بدباباته ، ويصليها بمدافعه وصواريخه وطائراته نارا حامية ، تقوض البنيان ، وتحرق العمران ، وتهلك البلدان ، وتشوي الابدان ، انظر الى ما فعلته الشيوعية بالامس في القرم الاسلامية وغيرها وما تفعله اليوم في افغانستان ، وما ستفعله غدا وبعد غد في غير ذلك ان لم يصح المسلمون من نومهم ويفيقوا من غفلتهم .

هل تحب ان تعرف صورة مما تفعله الشيوعية في البلاد الاسلامية ؟ اقرأ ما كتبه **العقاد** رحمه الله عما فعله هؤلاء البرابرة في القرم الاسلامية : « لقد استباحوا المساجد ، واتخذوا منها مسارح للهو ، واصطبلات للخيل ، وحظائر للاغنام ، وجمعوا نسخ القران والاحاديث النبوية واحرقوها في الميادين العامة ، وبطشوا بكل من يتوقعون منه المقاومة ، ونكلوا بالشبان الاقوياء ، ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين ، فاقفرت الديار ، واجدبت المزارع ، وعمت المجاعة ، واشتدت قسوة الجوع على الناس ، حتى اكلت الام ولدها ، وهي تبكي عليه ، ثم نظروا شزرا الى المحسنين الذين خفوا لانقاذ المنكوبين ، فاتهموهم بالادخار ، والوقوف من السلطة موقف المتحدي الذي يأخذ بايدي ضحاياها ، فقتلوهم لانهم يطعمون الجياع ، ويعطفون على الادمية ان يمسخها الجوع مسخ الضواري والسباع ..

واسمع ما تذيعه اذاعات العالم اليوم عما يجري في افغانستان . انه مما يندى له الجبين ان يؤمن بهذا الفكر الملعون مسلمون في بلادنا العربية ــ وربما امتدت يدهم الى السلطة ــ فتوقع ما شاء لك ان تتوقع ، مما نرجو الله في خشوع ورهبة ان يجنبنا ويلاته ، وان ينقذنا من تبعاته .

أمل في الله : وبعد ، فهل سيظل وضع العالم على هذا ؟ وهل ينتشر الكفر والضلال بهذه الصورة المروعة ، ولا شيء يوقفه عند حده ؟ هل حقت كلمة الله على الانسان فتخلى عنه ، وتركه للوحوش الضارية تتخطفه ، وتفتك به دون هوادة او رحمة ؟ وهل مات الضمير الانساني نهائيا فلم يعد يوقظه ذلك الصراخ المتفجر من صدور المعذبين ، وحناجر

الضعفاء والمساكين ؟ وهل استسلم الناس تماما الى هذه الشهوات الجارفة التي توشك ان تسوقهم الى هاوية لا يدركون لها قرارا ؟ وهل اشتد الظلام الى درجة لا تسمح ببصيص من نور ، يبدد هذه الغياهب ، ويكشف تلك الدياجير ؟

كلا ، لا بد لهذا الليل من اخر ، ولقد جاء في الحكم : ان اشد الساعات حلكة اقربها الى طلوع الفجر .

لقد ضل الناس وازداد ضلالهم ، ولا بد ان تحق سنة الله في الكون **(سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)** « الاحزاب/٦٢ » فاما الدمار واما العافية .

ولنا امل قوي في الله ان تكون العافية ان شاء الله ، ذلك اننا ما زلنا امة الرسول الخاتم الذي ارسله الله رحمة للعالمين ، وارسله للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورسالته باقية الى يوم الدين .

لا بد لهذه الظلمات ان تنجاب بنور الله ، ولا بد لهذه الغمة ان يكشفها سلطان الله ، ولا بد لهذا الباطل ان ينزاح امام صوت الحق المجلجل الذي وعد الله به **(يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** « التوبة/٣٢ ، ٣٣ » .

(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون : « الصف/٨ ، ٩ » .

ان هذه ايات كونية لم تنزل في القران ليقال انها تحققت في الماضي وكفى ، كلا ، فالقران حكم باق ، وماض الى يوم القيامة ، ولا بد ان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ولن يرضى الله لهؤلاء الضالين ـ على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم ـ ان يظلوا سادرين في ضلالهم ، يدوسون باقدامهم الكافرة كل كلمة طيبة ، وكل مثل اعلى ، وكل قيمة عليا .

لا بد لهؤلاء ان يندثروا وتحق كلمة الله عليهم ، كما حقت على كثيرين من غيرهم ، وقفوا في وجه الحق ، وتحدوا صوته ، وحاولوا ان يخمدوه بباطلهم ، وفي التاريخ منذ ان قامت الدنيا شواهد صادقة على ذلك ، ولئن نجوا وقتا فلن ينجوا طول الوقت . هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

واجب المسلمين : اما والمسلمون بهذا الوضع المزري الراهن فلا ، لأن منهج الله يقضي فيما يحكيه جل وعلا **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)** « الحج /٤٠ » بعد قوله تعالى في سورة الحج : **(ان الله يدافع عن الذين امنوا)** « الاية /٣٨ » فلا بد من عودة الايمان الى القلوب اولا ... لا بد من عودة الايمان ، وقد بدأت تباشير ذلك تظهر في الافاق في صورة تدعو الى التفاؤل ،

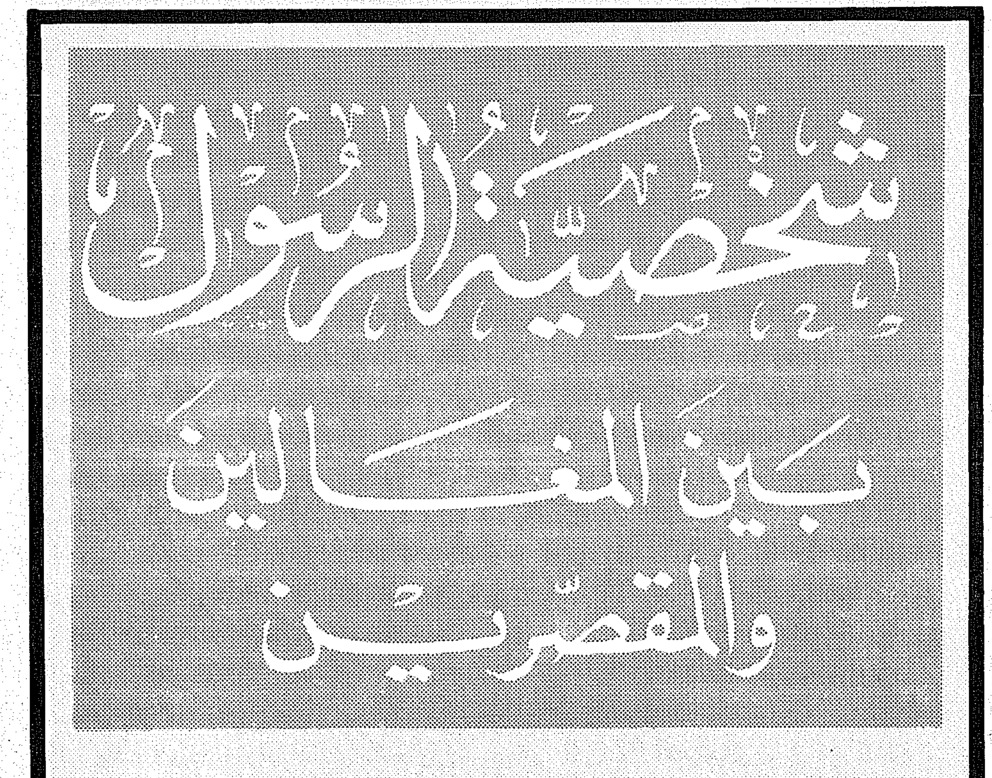
حتى في صفوف الاعداء الذين يتربصون بالاسلام الدوائر ، فما زلنا نسمع عن صيحات الاسلام تعلن بين الحين والحين ، وما زالت الانباء تحمل الينا كل يوم نبأ عن مسلم جديد يعلن اسلامه عن عقيدة راسخة ، ودراسة مستفيضة ، وما زالت الاخبار تتوالى بتصريحات العلماء ينفرون من ذلك الوضع الشائن الذي يعلي من شأن المادة ، ويعلنون بان الكون له اله قادر مدبر عظيم . يقول « جون جلين » وهو رائد فضاء امريكي : « .... هل المصادفات وحدها هي التي صنعت ذلك ؟ ان هذه المجرات تسير طبقا لنظام محكم بديع . وهذا قليل من كثير مما شاهدته في رحلتي ، لا شك ان هناك الها ، وان قوة ما قد وضعت هذه الاشياء في مداراتها واجرتها بنظام وإحكام » ..

ويضع « أ . كريس موريسون » رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك في كتابه المترجم الى العربية : العلم يدعو الى الايمان ، امثلة عديدة مقنعة بوجود الله وقدرته وعظمته وانه لا اله الا هو وحده .

هل سمعتم عن المسلمين البلاليين في امريكا ؟ انهم ينسبون انفسهم الى « بلال بن ابي رباح » مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقدر تعدادهم حسب احصائية في عام ١٩٧٤ م بمليونين ونصف مليون ، يملكون ثلاث محطات للاذاعة ، وصحيفة رسمية اسمها : « محمد يتكلم » ولهم جيش من الشباب مدرب على حمل السلاح ، ينتظم في تشكيلات عسكرية ، تسمى « ثمار الاسلام » ويعتقدون ان واجب المسلم الا يلقي سلاحه ابدا ، وشعارهم قوله تعالى : **(ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)** « النساء/١٠٢ » .

هناك مزيد من المعلومات حول هذه الجماعة الاسلامية وجماعة شقيقة لها في امريكا ايضا اسمها : جماعة المسلمين الحنيفيين ـ في مقال بمجلة الازهر العدد التذكاري جمادي الاولى ١٣٩٩ هـ لسماحة الشيخ عبدالله ابن علي المحمود . ولئن ظهر الحق في بلاد لا تدين بالاسلام ، فهو في ربوعه ودياره اولى بالظهور والانجلاء باذن الله .

ان نور الاسلام وشيك بعودته مرة اخرى ليعم الافاق ، ويصلح ما فيها من فساد ، ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ان رسالة الاسلام باقية لانه الدين الخالد الذي اختاره الله للبشر ، ولا بد من عودته قويا قاهرا لكل ظلام الارض وضلالها ، وسيتحقق بمشيئة الله وعد الله للمؤمنين فيما تقرره سورة النور **(وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)** « النور/٥٥ » .



للاستاذ عبدالكريم الخطيب

(١)

لا ننتظر من اعداء الاسلام المتعصبين والمبشرين ، ولا من أعداء الدين عموما من الماديين والملحدين ـ لا ننتظر من هؤلاء وأولئك جميعا ان يقولوا كلمة الحق في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه مبعوث من عند الله تعالى برسالة سماوية ، تحقق لمن يؤمنون بها ويستقيمون على هديها ، الأمن والسلام ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، بل إن أحسنهم قولا في رسول الله أنه واحد من آحاد العرب المصلحين الذين حاولوا أن يغيروا من بعض العادات والتقاليد السيئة التي شاعت في الجزيرة العربية ، مثل قتل الأولاد خشية الفقر ، ووأد البنات خوف العار والفضيحة ، ومثل عدوان الأقوياء على الضعفاء .. والنهب ، والسرقة . الى غير ذلك مما كان شائعا في حياة الجاهليين ، وقد حاول العقلاء من الحكماء والشعراء الذين كان لهم دور واضح في تهجين تلك العادات ، والدعوة الى هجرها ، والانسلاخ منها ، كما نرى ذلك في معلقة زهير بن أبي سلمى ، وخطب قس بن ساعدة الايادي ، ومأثورات أكثم بن صيفي وغيرهم ، مما يعد من مأثور القول ،

ومحاسن الكلم .

وليس يعنينا كثيرا ان نقف عند مفتريات أعداء الاسلام ورسول الاسلام ويكفي أنها صادرة من قلوب حاقدة ، ومن نفوس محملة بالضغينة ، فلا ينتظر من أصحابها ــ والحال كذلك ــ إلا إعلان الحرب على عدوهم ، ورميه بكل سلاح يقع لأيديهم ، وإن المسلم ــ أي مسلم ــ يكون على حذر ، واتهام لكل ما يصدر من العدو ولو غطى ظاهره بألوان براقة من الخداع والتضليل .

(٢)

ولكن الذي نريد أن نعرضه هنا ونحذر المسلمين منه اشد التحذير ، هو ما يصدر من بعض المنتسبين للاسلام ، والقائمين على مجموعات كبيرة من المسلمين مقام المعلمين ، والمربين ، والمرشدين ، حيث يتلقى عنهم أتباعهم كل ما يقولون بثقة وايمان ، واستسلام ، دون أن تثور في أنفسهم ثائرة شك ، ولو كان ذلك متصلا بالعقيدة ومناقضاً للتوحيد ، بل ومصادما للبدهيات !!

ولما كان من معتقدات كثير من شيوخ المتصوفة ، القول بوحدة الوجود ، وبالحلول وبالتناسخ الأمر الذي يجعل كل العوالم في وحدة واحدة ، يطلقون عليها كلمة الله ، التي تطلق على كل شيء ، وعلى أي شيء ، من جماد ، ونبات ، وحيوان ، ونجم ، وشمس وقمر ، فكل شيء إله ، وكل الأشياء الموجودة في العالم السفلي أو العلوي آلهة في إله يجمع الموجودات كلها .

ومن هذه الوحدة تولد القول بالحلول ، بمعنى ان يحل الله تعالى ، في اي كائن ، من صخر ، أونهر ، أو شجر ، أو حيوان ، أوانسان ، فيكون هذا الكائن هو الإله المعبود ، وتلك هي عقيدة كثير من طوائف الهنود ، عباد بوذا ، أو البقر ، أو الأنهار ، والجبال كما هي عقيدة النصارى في المسيح عيسى ابن مريم ، وفي أن الله قد تجسد في جسد المسيح ، وحل اللاهوت في الناسوت كما يزعمون .. وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. لقد وسع كرسيه السموات والأرض ، فكيف يسع ذاته جسد انسان ؟

وعن القول بالحلول ، تولد مذهب التناسخ ، بمعنى انه إذا مات الكائن الحي ، نسخ جسده ، وظلت روحه هائمة تبحث عن جسد ملائم لها فتحل فيه .. وإنه لا بأس ــ على هذا المذهب الضال ــ أن تحل روح انسان في إنسان ؛ أو حيوان .. فاذا فارقت الجسد الذي حلت فيه انتقلت الى جسد آخر .. وهكذا يستمر هذا الدور أبد الدهر !!

(٣)

ومن مذاهب وحدة الوجود ، والحلول ، والتناسخ ، نشأ عند اكثر فرق المتصوفة من المسلمين ، الاعتقاد في الأقطاب ، والبدلاء ، والنجباء ، بأن روح الله حلت فيهم ، وأنهم لهذا هم المتصرفون في الوجود ، القائمون مقام الله في

التقدير والتدبير .

ويكفي ان نسوق هنا مقالة لشيخ من شيوخ المتصوفة ، هو « جمال الدين محمد ، ابو المواهب الشاذلي » يقول في كتابه : « قوانين حكم إشراقية » ما نصه ، وهو يتحدث عن صاحب الوقت :«هو رحمة العباد » وسحابة ماطرة في سائر البلاد !! وجوده في الوجود ، حياة لروح الوجود الكلية ، وبنفس نفسه يمد الله العوالم العلوية والسفلية ، ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل ناظر مقصده .. »

هذا هو معتقد الصوفية في بعض المخلوقات ، التي استولدوها من خيالهم ، وأقاموها مقام الله تعالى في تصريف الوجود ، والقيام على حفظه ..

وإذ كان المتصوفة من المؤمنين بالله ، وبرسول الله ـ على أية صورة من صور الايمان ـ فانهم وهم يجرون وراءهم ألوف الألوف من المسلمين في كل أفق من آفاق الاسلام لم ينسوا وقد رفعوا أصحاب الوقت من الأقطاب والأبدال ، والنقباء إلى مقام الألوهية ، أو ما يقرب من هذا المقام حسب درجاتهم ـ لم ينسوا أن يجعلوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ مكانا مع هؤلاء المتصرفين في الوجود خلقا وأمرا ، ونفعا وضرا .. فابتدعوا للرسول الكريم ما يعرف عندهم بـ (الحقيقة المحمدية) التي أخرجوا بها رسول الله من عالم البشر فجعلوه النور الذي خلق منه العرش ، والكرسي ، والملائكة ، ثم سائر المخلوقات علويها وسفليها .. ومن هذا النور المحمدي ، جاء الرسل والأنبياء وبهذا النور اهتدى المهتدون مستشهدين لهذا بقوله تعالى : **(نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء)** سورة النور : ٣٥ وبقوله سبحانه : **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)** (سورة النور ٤٠) فجعلوا نور الله هو النور المحمدي كذبا وافتراء : **(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)** سورة الكهف : ٥ .

(٤)

وقد سد الله الطريق على هؤلاء المغالين في رسول الله عليه الصلاة والسلام الخارجين به على ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من بيان كاشف عن رسول الله ، وأنه بشر من عباد الله المرسلين ، وذلك سدا للذرائع التي يتذرع بها الذين يفترون على الله الكذب ويدعون لرسوله ما ليس له ، وليكون هذا البيان المبين عن رسول الله ، وعن بشريته ، حجة يقذف بها في وجه الباطل والمبطلين ، حتى تظل ذات رسول الله في وقاية من هذه المفتريات وتلك التخرصات التي تخرج من أفواه شيطانية لا ترقب في الله ، ولا في رسوله ، ولا في المؤمنين الا ولاذمة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما أمره به ربه ان يبلغه الناس : **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي الى انما إلهكم اله واحد)** سورة الكهف : ١١٠ .

فالرسول بصريح هذا القول الكريم بشر من أبناء آدم قد اختاره الله لرسالته

وأوحى اليه أنه الاله الواحد ، لا شريك له .
ويقول له سبحانه : **(قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)** سورة الاسراء : ٩٣ ، ويقول له الحق جل شأنه : **(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** (الأعراف : ١٨٨)
ويقول له تبارك اسمه : **(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)** (القصص : ٥٦)
فلقد مات أبناء رسول الله وبناته بين يديه ، ولم تبق من بناته الا فاطمة ــ رضي الله عنها ــ وما ملك من أمر الله في أولاده شيئا ، حتى إنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين مات آخر ولد له ، وهو ابراهيم ، ولفظ انفاسه بين يديه ، لم يملك إلا أن قال : « إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب » !!
بل إن الله تعالى قرر للمؤمنين ما حكم به في عباده وأن محمدا داخل في هذا الحكم ، وهو الموت فقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : **(إنك ميت وإنهم ميتون)** (سورة الزمر : ٣٠ .
ثم إن الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لم يدع لنفسه ــ في ظاهر امره وباطنه ــ شيئا يخرجه من عالم البشر ، ولم يكن له من زخرف الحياة وزينتها ما يحوزه الملوك والسلاطين مما يبهر أعين الناس حتى يروا في الملوك والسلاطين انهم من طينة غير طينة البشر !!
فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه أعرابي من البادية ، لبعض شأنه ، فلمادنا من رسول الله طلع عليه من جلال النبوة ما بهره وزلزل كيانه ، فما كان من الرسول الكريم الا ان هدأ روعه بتلك الكلمات الوادعة فيقول له : « هون عليك ، فاني لست بملك .. إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد » !! (والقديد لقيمات جافة) .
وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما اطرى النصارى المسيح ابن مريم انما انا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله ، (صحيحا البخاري ومسلم) .
وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : « دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل وقال للوزان : « زن وارجح ، فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها ، فجذب النبي يده وقال : « هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك ، انما انا رجل منكم » ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها .. فقال : « صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله » !!
وفي كتاب « الشفا » للقاضي عياض : أنه صلى الله عليه وسلم ، كان إذا جلس للأكل جلس متوفزا ــ اي منتصبا ــ على الأرض لا ينصب له خوان ، ولا يتكىء على أريكة او نحوها ، وكان يقول : « إنما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس

كما يجلس العبد » .
ويقول ــ صلوات الله وسلامه عليه : « إنما انا بشر وإنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم أفصح من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هي قطعة من النار ، فليحملها أو يذرها » (صحيحا البخاري ومسلم) .

(٥)

فهذا هو رسول الله ، كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وكما تحدث هو عن نفسه في سنته المطهرة ، انه ليس إلا بشرا من البشر ، وان كان بما أنعم الله عليه على قمة البشرية ، وعلى أكمل صورة للبشر : **(قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك)** الانعام/ ٥٠ وهذا الثوب البشري الذي لبسه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعاش فيه من مولده إلى ان لحق بالرفيق الأعلى ــ هذا الثوب هو الذي يدعو إلى التأسي به ، والسير على خطواته ، ولو كان من غير عالمنا البشري ، لمانزعت نوازعنا إلى الاقتداء والتأسي به ، فما من إنسان ــ أيا كان ــ أن يتأسى بالملائكة مثلا ، او ينهج نهجهم لأنهم من عالم غير عالمه ، ومن جنس غير جنسه .
فالذين أخرجوا محمدا ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ من عالم البشر بما صوروه من خيالاتهم المريضة ، وأوهامهم الباطلة ــ إنما ارادوا أن يقيموا سدا بين محمد ، وبين المؤمنين بالله ورسوله ، وأن يقطعوا حبائل النسب والقربى بين المؤمنين وبينه .. فهو صلوات الله وسلامه عليه كما صوروه لا صلة له بنا ، ولا عاطفة بيننا وبينه .

إن أعظم العظمة في محمد صلوات الله وسلامه عليه ــ أنه بشر ، وأنه ممتد النسب ، في البشرية إلى آدم ، وأنه في ثوب البشرية استطاع أن يعلو على الضعف الانساني وان يقهر ظلام الطين الذي خلق الانسان منه ، وان يحيل الظلام نورا يضيء ما تغشى الانسانية من ظلمات الجهل والضلال ، ويكشف للناس الطريق الى عالم الحق ، الى الله رب العالمين .

إن بشرية محمد ، وما بلغ بها من فضل الله ورعايته من كمال وجلال ــ لشهادة « قائمة » بين الناس ، تحدثهم أطيب الحديث وأصدقه عن الكمال والجلال المودع في الانسان ، والمنطوى في كيانه ، وإن الطريق لمفتوح أمام الانسان ــ كل انسان ــ الى التحليق في آفاق الكمال إلى ما لا نهاية ، على قدر ما يبذل من جهد ، للاستعلاء على نزعاته واهوائه .. وإنه بقدر ما تعلو همة الانسان ــ وبقدر ما يمد بصره الى السماء ، ويفتح قلبه لأنوار الحق ، يكون ارتفاعه وعلوه عن عالم التراب .. **(ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها)** سورة الشمس : ٧ ــ ١٠ .

(٦)

ومن عجب ان يقرأ المتصوفة كتاب الله ويطلعوا على سنة رسول الله ، ثم ينطقوا بهذا الزور والبهتان على رسول الله ، فيحرمون الانسانية من هذا النموذج الكامل من أبنائها ..

يقول المتصوفة : ان أول ما خلق الله قبضة من نور ، فقال لها : كوني محمدا ، فكانت محمدا ثم كان من محمد كل ما في هذا الوجود علوه وسفله » .

يقول شيخ الصوفية « ابن عربي » الملقب عندهم بالشيخ الاكبر ، في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أبدعه الله ـ سبحانه وتعالى ، حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية ، حيث لا أين ، ولا بين قال له : انا الملك وانت الملك ، وانا المدبر وانت الفلك ، وساقيمك فيما يتكون عنك ، سايسا ومدبرا ، وناهيا وآمرا تعطيها مما اعطيتك ، وتكون فيها كما انا فيك ! فلست سواك كما لست سواي ، فانت صفاتي فيهم واسمائي .. فتفصد اي محمد عرقا حياء .. فكان ذلك العرق الطاهر ماء وهو الماء الذي نبأبه الحق تعالى في صحيح الانباء فقال : **(وكان عرشه على الماء)** سورة هود : ٧ .

ونسأل المتصوفة اتباع شيخهم الاكبر ابن عربي :

ماذا لله بعد هذا ، وقد أسلم لمحمد الأمر كله ، له صفات الله وأسماؤه .. وهو ليس سوى محمد ، ومحمد ليس سوى الله ؟

ثم اين كان الله ، ولا عرش له إلا بعد وجود محمد ، وما تصبب منه من عرق ، أقام الله عليه عرشه ؟

ان الملاحدة يقولون في الله غير هذا القول المجرد من كل منطق ..

ثم يمضي ابن عربي ، في هذا الضلال بلا حياء ، فيقول :

« ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح ، فظهر الملأ الاعلى ، وهو بالنظر الأجلي فكان صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع المخلوقات ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس .

« فخلق الله من ذلك النور المنبعث منه صلى الله عليه وسلم ، العرش ، وجعله مستواه وجعل الملأ الأعلى وغيره محتواه » . (من كتاب عنقاء مغرب لابن عربي ص : ٤٠)

وان هذا الشيطان الرجيم ، ليكثر من الصلاة على النبي ، خداعا ، وتضليلا للمؤمنين وان محمدا الذي يتحدث عنه هو محمد الذي يعرفه المسلمون ، والذي يصلون عليه !!

وكم للشيطان من مكايد ومضلات ؟

والذي يعرفه المسلمون عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم أنه مولود من مواليد قريش ، ولد في مكة ، من أبوين هما عبدالله وآمنة بنت وهب ، وأرضع في بني سعد ، من حليمة السعدية ، وأنه عاش بين أهله ، وأترابه ، صبيا وشابا ، لم يخرج عما عليه قومه ، الا بما عرف عنه من عفة ، ومن صدق ، وأمانة كما كان

يتحلى بشيء من هذا عقلاء قومه وحكماؤهم .. حتى اذا اصطفاه الله لحمل رسالته الخاتمة ، اهمه هذا الأمر العظيم أن يواجه قومه بترك عبادة الأصنام ، حتى نزل عليه قوله تعالى : **(يا أيها المدثر . قم فانذر)** (سورة المدثر : ١ ـ ٢) فامتثل امر ربه ، وأذن في الناس بكلمة التوحيد ، واحتمل في ذلك ما تنوء به الجبال ، حتى أذن له ربه بالهجرة من البلد الحرام فهاجر الى المدينة ، وهاجر اليها اصحابه واقام دولة الاسلام ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا ..

كل هذا ، ومحمد ، هو محمد ، البشر والرسول ، يفرح ويحزن ، وييسر ويتألم ، ويصح ويمرض ، ويجوع ويشبع .. الى غير ذلك من العوارض التي تعرض للناس ..

ويقول أحد شيوخ الصوفية ، المسمى « الدباغ » «(من كتابه الا بريز ، جزء ٢ ص : ٨٤) « اعلم ان أنوار المكونات كلها عرش ، وفرش ، وسماوات وارضين وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها اذا جمعت كلها ، وجدت من بعض نور محمد وان مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت » !!

(٧)

ولا ندري لم سكت المسلمون ، وعلماء المسلمين ، عن هذا الكفر والالحاد ، الذي يدعى المسلمون الى الايمان به ، وإقامة دينهم عليه ؟

واي جهاد ابر عند الله من هذا الجهاد الذي يحمي المسلمين من أن يفتنوا في دين الله ، والله تعالى يقول : **(والفتنة اشد من القتل)** (سورة البقرة : ١٩١) وهل شرع الجهاد في الاسلام وصار فرضا على المسلمين ، الا حماية للمسلمين من اعداء الله ، الذين لو تمكنوا منهم لأفسدوا حياتهم ، وفتنوهم في دينهم ! لا ادري لماذا لم يعلنها المسلمون حربا عامة شاملة ، يضحون فيها بالأنفس والأموال ، لدفع هذه المفتريات التي تخفي وجه رسول الله عن المسلمين ، وتقطع كل صلة بينهم وبينه ، وهم يرونه من عالم غير عالمهم ، وفي عالم غير العالم الذي هم فيه كما يصوره هذا الخيال المريض الذي يهب على المسلمين من عالم المتصوفة !! اذلك لان علماء المسلمين قدروا أن هذا كذب مفضوح ، ينادي على نفسه وعلى القائلين به ، بالخزي وان هذا وحده كاف للرد على هذه المفتريات ؟ وهذا ، وان كان صحيحا فان الواقع يشير الى ان كثيرا من المسلمين قد وقعوا ضحايا لهذا الضلال ولن ينقذهم من هذا الا حملة عامة شاملة من علماء الاسلام للكشف عن وجه هذا الباطل ، بكل لسان وفي كل مقام .

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر اولو الالباب) (آخر سورة ابراهيم) .

الترابط بين
وصلته بالنسخ

للأستاذ / محمد العفيفي

١ ـ الترابط بين النسخ وأسباب النزول :

سنحاول في هذا الفصل ـ بعون الله ـ أن نربط قضية النسخ في القرآن والسنة ، بقضية أسباب النزول ، وقضية نزول القرآن منجما ، وما أدى إليه ذلك من ترتيب آياته وسوره ، على هدى الوحي الالهي .

ذلك أن هذه القضايا الثلاث السابقة ، تعمل جميعا ، على تنسيق الحركة القرآنية المعجزة ، مع بيان كل ما هو عام وما هو خاص في حياة البشر بكل مكان وزمان .



ولقد اعتاد أهل العلم أن ينظروا إلى هذه القضايا وهي فرادى ، فعندما ينظرون الى النسخ — وحده — يخصونه بالبحث ولا يذكرون معه أسباب النزول ، أو نزول القرآن منجما ثم ترتيب آياته وسوره .

والقرآن لا يعرفه في ذاته أن تتباعد المسافات بين آياته أو بين القضايا والعلوم الكثيرة التي ترتبط به ، وإنما المعرفة الانسانية هي التي تزداد تقدما بمقدار ما تترابط أمامها كل قضايا القرآن ، وكل علومه .

ومعنى ذلك أن دراسة هذه القضايا فرادى ، لا يمنع الانتفاع بها بحال من الأحوال ، وان كانت الحقيقة أنها قضايا مترابطة في حقيقتها ، واننا نزداد علما بمقدار ما ننظر في ترابطها .

أ — الناسخ والمنسوخ ، في القرآن والسنة من أهم حقائق التفسير والبيان ، اللذين يعلمنا الله بهما ما هو عام وما هو خاص من أمور حياتنا .

ولقد تصدى تابعي للفتوى فقال له الامام علي رضي الله عنه : هل علمت بالناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا .. قال الامام علي للرجل : هلكت .

ويقرر ابن حزم أن معرفة الناسخ والمنسوخ هو الركن الاعظم من أركان الاجتهاد والشافعي هو أول من اهتم

ببيان حقيقة النسخ ، وذكر أصوله المقررة في الفقة الاسلامي .

والنسخ يعتبره الشافعي ومن بعده ابن حزم بيانا للأحكام ويوضح ذلك ابن حزم بقوله :

حد النسخ أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « لا تزوروا القبور » ثم جاء فقال : « ألا كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » او كما قال عليه الصلاة والسلام ، فان النص الثاني لا يكون ملغيا للنص الأول ، وانما يكون مبينا لانتهاء حكمه ، وبيان أن وقت العمل به قد انتهى .

وينتهي هذا الكلام القيم في هذه القضية الهامة من قضايا القرآن والسنة حتى نقول معا .

ب ـ ان مما يبين لنا أن النسخ وأسباب النزول ونزول القرآن منجما تعمل جميعا على تحقيق أهداف واحدة ما يرتبط بأن من الأحكام ما هو خاص بفترة بذاتها ، من حياة البشر ، كأن تنظم السنة المحافظة على الدواب والعناية بالخيول ، ويكون ذلك مرتبطا بتفسير قوله تعالى :

(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) النحل / ٨ ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « البركة في نواصي الخيل » رواه البخاري ولو أننا نظرنا في بعض ما يتشابه مع قوله تعالى : **(ويخلق ما لا تعلمون)** لانتهينا إلى هاتين الآيتين من سورة يس .

(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) يس / ٤١ و٤٢ .

وهنا نجد هاتين الآيتين من سورة يس تتضمنان بوضوح عظيم ، بيان التقدم الآلي في وسائل المواصلات .

فقوله تعالى : **(وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)** يعود إلى السفن . والسفن نوع من أنواع الصناعات التي تركب من الخشب .

فالتجدد المتواصل لبيان ما هو عام وما هو خاص من أنواع الاكتشاف والتقدم في حياتنا العملية في هذا السياق يقوم على القرآن والسنة وفترات التاريخ الانساني كله . وواضح أن القرآن زاد على السنة ـ هنا ـ أن هناك صناعات جديدة ، هي مما خلق الله أسبابها في فطرته في خلقه ، وجعل ذلك سبيلا إلى التقدم الصناعي في حياة البشر .

ثم نجد السنة تواصل المسيرة على هدى القرآن ، لتبين أن للخيل فوائدها ، حتى يكون بعد ذلك ما هو في حكمها أو يزيد عليها في القوة كما يقول الله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال / ٦٠ .

ويفسر الرسول صلى الله عليه وسلم القوة حيث يقول : « ألا وإن القوة الرمي » رواه مسلم فالتراسل بين القرآن والسنة هنا يجعل السنة ترفعنا الى أفق رفيع في فهم المقصود بقوله تعالى : **(وأعدوا لهم ما**

استطعتم من قوة) فيقول صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن القوة الرمي » .

ونحن نعلم اليوم أن الاستطاعة التي أمرنا الله ببذل غاية وسعنا لتحقيقها ، قد انتهت بالناس الى إنتاج آلات أقوى من الخيل ، تقوم بالرمي .

فالتراسل بين القرآن والسنة في هذه الأحوال العملية المتجددة ، لا يعني إبطال حكم من الأحكام أو معنى من المعاني ، وانما الحقيقة أننا نتقدم تقدما متواصلا مع كتاب الله وسنة رسوله ، في نظام يؤكد لنا أنه لا سبيل إلى توهين العروة الوثقى التي ربطها الله تعالى بين كلامه ، وبين تطبيقه وتفسيره وبيانه في سنة عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن والسنة معا ، يهيمنان باذن الله على كل ما هو عام وما هو خاص من حاجاتنا الفكرية والعملية ، بكل مكان وزمان ، حتى تترابط معرفتنا ووجودنا ، في حقيقة كثيرة الوجوه ولكن لا سبيل معها إلى الأباطيل والأوهام .

وهذا المثل السابق يجعلنا نفكر في كل الأحوال المتعلقة بنزول القرآن ، ولماذا نزل منجما ؟ ولماذا كان فيه ناسخ ومنسوخ ؟ ولماذا كانت هناك أسباب للنزول ؟ وأسباب النزول هي الاطار الشامل الذي نفهم به حقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة كما نفهم به الكثير من وجوه الحكمة في نزول القرآن منجما ، وفي ارتباط مقاصد السنة ، بمقاصد القرآن .

ويتضح لنا ذلك بمقدار ما نتدبر الآيات الخاصة بنزول القرآن منجما ، ثم الآيات الخاصة بالناسخ والمنسوخ ، مع ما يتيسر لنا من الأحاديث الصحيحة الدالة على بعض أسباب النزول ، وغير ذلك .

وكل ذلك وثيق الصلة ببيان التنسيق بين القرآن والسنة ، فيما خص الله به أحدهما أو كلاهما من الأحكام ، وهذا هو الذي سميناه من قبل التراسل بين القرآن والسنة .

جـ ــ فأما الآيات الدالة على نزول القرآن منجما فمنها ما يخص تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول الله تعالى :

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) الفرقان / ٣٢ .

وتثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن منجما ، يتضمن معاني كثيرة ، وأهدافا جمة .

وترتيل القرآن ، يتضمن من المعاني والأهداف مثل ذلك .

وننظر فنجد التثبيت في القرآن له بين صيغه المتنوعة ومواضعه الكثيرة ، ما خص الله به تثبيت المؤمنين حيث يقول :

(قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) النحل / ١٠٢ .

وننظر فنجد بين هذه المواضع ما خص الله به كل الأعمال الصالحة المترتبة على اتباع المؤمنين للقرآن حيث يقول الله تعالى :

(**ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا**) النساء / ٦٦ .

والتثبيت له في معانيه آفاق عالية ، منها التأصيل ، وربط حركة الحياة الانسانية بأسس اليقين ، ووجوه الحقيقة ، فاذا الثبات والحركة وجهان لحقيقة واحدة ، كما ننتظر من العقيدة الصحيحة قولا صادقا ، وعملا صالحا ، وكما ننتظر من البذرة في جوف الأرض ، شجرة صاعدة الى السماء ، ثم نبحث فيها عن مواسم الحصاد ، ومواضع الثمر ، مع استمرار التنوع والتجدد ، على اتصال الحياة الدنيا بالآخرة .

فالقرآن حيث نزل منجما ، فقد استوعب أصول الثبات الذي يرتبط فيه كل نص قرآني بحقيقة مبناه ومعناه ، كما استوعب أصول الحركة التي تخص كل نص بما قدر الله له من مواضعه في الآيات والسور وما يبينه لنا من حقيقة كل ما هو عام أو خاص في حياتنا الانسانية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وتتنوع أعداد المواضع للحروف والكلمات والجمل ، فتكثر أهداف كل منها بمقدار مواضعه ، التي تسبق دائما بكل جديد ، لا سبيل للبشر الى مثله ، مع ارتباط كل منها بأصالته الثابتة ، وحقيقته الدائمة ، وترتيبه المعجز ، كما يقول الله تعالى :
(**ورتلناه ترتيلا**) فالترتيل في بعض ما نفهم من معانيه الكثيرة ، هو أسباب الثبات والحركة ، أو أسباب الأصالة والتجديد ، كما لا يقدر أحد غير الله تعالى ، أن يأتي بمثلهما .

وكل ذلك ، وثيق الصلة بنزول القرآن منجما ، في بضع وعشرين سنة ، لنعلم أن التفرق الشكلي لآياته ، لا يمنع اجتماعها ، بمضمونها ، إذ هي صادقة وعادلة وثابتة ، على نحو لا مثيل له في كلام البشر .

ولقد وجدنا بين مواضع الكلمات الدالة على التثبيت في القرآن ، أن تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو المقصد الأساسي في أسباب ذلك ، ثم يتبعه مقصد ثان هو تثبيت المؤمنين ، ثم يتبعهما مقصد ثالث هو تثبيت الأعمال الصالحة ، وربطها بأصولها في القرآن والسنة ، وفتح آفاق حركتها المتصلة التي تتسع لكل أحوال الحياة الانسانية .

فلنجعل هذه علامة ظاهرة على الطريق ، ولننظر الآن في مواضع الكلمات الدالة على النسخ في القرآن ، وسنرى أن قضية النسخ وثيقة الصلة بأسباب النزول ، وعموم الأحكام المترتبة على خصوص هذه الأسباب ، كما يؤدي الثبات الى الحركة ويرتبط بها ، وكما نجد الأصالة والتجديد وجهين لحقيقة واحدة ، طالما اتبعنا القرآن والسنة اتباعا دائما لا انقطاع له .

أولا – نجد الموضع الاول للكلمات الدالة على النسخ بقوله تعالى :
(**ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**) البقرة / ١٠٦ .

والعلوم التي نجدها بهذه الآية علوم كثيرة ، ننظر اليها الآن من خلال قضية النسخ وحدها .

وقد ذهب اكثر المفسرين الى أن ربط النسخ بالنسيان في قوله تعالى : **(ما ننسخ من آية أو ننسها)** يدلنا على أنهما معا وجهان لحقيقة واحدة . فالرسول صلى الله عليه وسلم لا ينسى من القرآن ، الا ما شاء الله أن ينسخه ، فحينئذ لا يكون الرسول مكلفا بتلاوة إن كان منسوخ التلاوة دون الحكم او منسوخ الحكم والتلاوة معا أو لا يكون مكلفا بالعمل به ان كان منسوخ الحكم دون التلاوة يقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أنه قد روى بالأسانيد الثابتة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله :

(ما ننسخ من آية) قال : نثبت خطها ونبدل حكمها .

قال وهو ما قاله عبدالله بن مسعود : (أو ننسها) أي نمحوها فان ما نسي لم يترك .

وروى ابن ابي حاتم باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مما ينزل على النبي الوحي بالليل وينساه بالنهار ، فأنزل الله تعالى **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)** البقرة / ١٠٦ .

وكذلك روى عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن كعب وقتادة وعكرمة ، وتلا قوله تعالى : **(سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله)** الأعلى / ٦ و٧ ، وقوله : **(واذكر ربك إذا نسيت)** الكهف / ٢٤ .

وقد جاء في الآثار أن أحدهم كان يحفظ قرآنا ثم ينساه ويذكرون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول إنه رفع .

ومع ذلك ، فان من العمل بالآيات المنسوخة حكما لا تلاوة ، قراءة الرسول إياها ، وتعليمها للصحابة ، وتعليم الصحابة إياها للتابعين ، وبذلك يتصل العمل بها على هذا النحو حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وتتصل تلاوتها في الآخرة ، حيث يلهم الله أهل الجنة التسبيح والذكر ، كما يلهمون النفس ، والقرآن هو أعظم الذكر وأعطره وأحلاه .

فالرسول صلى الله عليه وسلم بشر . فاذا لم تؤيده عناية الله به ، فانه ينسى كما يقول الله تعالى . **(واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا)** الكهف / ٢٤ .

وقد طبقت السنة هذه الحقيقة إذ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سها في الصلاة ، وبين أحكام سجود السهو . كما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » رواه الشيخان والسنة هنا تطبق الحقيقة القرآنية في الواقع العملي .

وقد قال الله تعالى : **(سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى)** الأعلى / ٦و٧ .

فلذلك فهم اكثر المفسرين كما سبقت الاشارة الى ذلك ، أن النسيان مرتبط بنسخ الآيات التي تنسخ حكما

وتلاوة ، أو التي تنسخ تلاوة لا حكما ، وسنرى الواقع العملي لأنواع النسخ الثلاثة ـ بعد ذلك ـ إن شاء الله .

ثانيا ـ نجد هذا الموضع الجديد للكلمات القرآنية الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : (**فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته**) الحج / ٥٢ ، وهذا دليل على حفظ الله تعالى ، آيات القرآن ، من الزيادة والنقصان . فلا يدخل في معانيها ما ليس منها ، وبذلك يحفظ الله السنة . كذلك ، من أي خروج عن نهج القرآن .

ثالثا ـ نجد هذا الموضع الجديد للكلمات القرآنية الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : (**إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**) الجاثية / ٢٩ . وهنا نعلم في حدود ما نستطيع العلم ، أن الأعمال البشرية تنسخ كلها أو تنقل ، إلى سجلها الذي يشهد بها عليهم ، في الآخرة .

رابعا ـ نجد الموضع الأخير للكلمات الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : (**ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**) الأعراف / ١٥٤ .

وفي هذا الموضع نعلم في حدود ما نستطيع أن الألواح التي تتفرق فيها التوراة ، قد جمعها الله في كلمة واحدة هي قوله : (**نسختها**) .

فدل ذلك على أن نظام الله تعالى ، في نعمه جميعا وفرادى ، يحقق الاتصال بيننا وبين مضمونها وغاياتها ، فتجتمع نتائج النعم جميعا في حقيقة واحدة ، هي مضمونها العام ، وإن كانت متنوعة المقاصد ، متفرقة الأشكال .

فكذلك الشأن في ارتباط مضمون القرآن ، بمضمون السنة . وكذلك الشأن في دلالة النسخ على الثبات والحركة ، والأصالة والتجديد ، تماما ، كما رأينا ـ ذلك ـ في نزول القرآن منجما .

لذلك جعل الله لغة القرآن ، تبين لنا أن النسخ معناه ، المحو ، كما أن معناه الاثبات ، فالنسخ هو الكتابة ، كما أنه هو محو جزء منها ، وهذا يكون في القرآن ، لأن الجزء الذي ينسخ أي ترفع تلاوته أو يرفع حكمه ، أو أي منهما ، قد جعله الله خاصا بفترة بعينها ، فاذا انتهت هذه الفترة انتهى الحكم أو التلاوة أو هما معا ، بما يتناسب من ذلك مع مقتضى الأحوال .

ولقد رأينا كيف تنوعت مقاصد النسخ من الربط بين ما عصم الله به رسوله أن ينسى شيئا من القرآن ، شاء الله أن يحفظه بموضعه من الآيات والسور ، وبين ما شاء الله أن ينساه الرسول بحكم نسخه حكما وتلاوة .

وهكذا نعلم أن الله غالب على أمره ، وأن بشرية الرسول لم تحل دون تحقق مشيئة الله في وحيه الذي أوحاه ، فهو وحي تام رغم كل الظروف الواقعية التي تكون من البشر .

والنسخ في اللغة يتضمن مدلول

الثبات والحركة أو الأصالة والتجدد كنسخ الشمس الظل ، أو نسخ الظل الشمس .

ونسخ الكتاب ازالة الحكم بحكم يعقبه ، لذلك رأينا مقاصد النسخ في القرآن ، تؤكد لنا استقلال القرآن بثباته وحركته ، اللذين لا مثيل لهما في كلام البشر ، كما يقول الله تعالى : **(فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)** الحج / ٥٢ ، ومن معاني ذلك ، أن الشيطان لا يقدر أن يلقي في السنة معاني منافية لحقيقة القرآن .

والقرآن حجة لنا أو علينا .

لذلك جاء ذكر استنساخ الأعمال كما رأينا في آية سورة الجاثية .

وأخيرا بين لنا القرآن اتصال النعم الالهية بمضمونها ، مع تنوع أشكالها واستقلال كل منها بنوعه .

لذلك كان النسخ في القرآن وثيق الصلة بأسباب النزول من جهة ، كما هو وثيق الصلة من جهة أخرى بالسنة القولية والعملية .

ولذلك ربط الله تعالى بين القرآن والسنة في بيان الحكمة في نزول القرآن منجما حيث رأينا الآيات الخاصة بذلك تصل تثبيت فؤاد الرسول ، بتثبيت الأمة ، بتثبيت الأعمال الصالحة على مدى حركة الدنيا وهي منتهية الى الآخرة .

فهناك أحوال في حياة البشر لا يطيقون تطبيق الأحكام فيها جملة واحدة ، مثل تحريم الخمر ، فيتدرج القرآن والسنة ، في التقدم نحو الهدف النهائي وهو التحريم ، مع تصعيد أسباب الشفاء من الادمان .

د ــ وهنا نجد النسخ وأسباب النزول والقرآن والسنة ، في عمل جماعي متواصل ، يؤدي في النهاية الى الاحاطة بكل ما هو عام أو خاص في حياة البشر ، بكل مكان وزمان .

وهكذا يتبين لنا أن الوحي الالهي يجتمع فيه الثبات والحركة ، والأصالة والتجديد ، والتقدم في الاحاطة بكل ما هو خاص وعام ، على النحو الذي تظهر به الحدود الفاصلة ، بين ما هو إلهي وما هو بشري .

ومن ذلك ما أخرجه احمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله عن ذلك ، فأنزل الله تعالى : **(ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير)** الى آخر الآية ، (٢١٩) البقرة فقال الناس ما حرم علينا انما قال اثم كبير ، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام أم رجل من المهاجرين أصحابه ، في صلاة المغرب فخلط في قراءته ، فأنزل الله آية أشد منها : **(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة)** النساء/٤٣ .

ثم نزلت آية أشد من ذلك :

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)

المائدة / ٩٠و٩١ ، فقالوا انتهينا ربنا .

ثم قال ناس يا رسول الله : ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان ، فأنزل الله تعالى : (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**) المائدة / ٩٣ . الى نهاية هذه الآية .

٢ ـ تطبيقات على أنواع النسخ :

وواضح أن الناسخ هنا هو التحريم ، أما المنسوخ ، فهو الاحكام الاولى التي لم تكن ترتب على شرب الخمر تحريما ، بل كانت تبين ما فيه من شرور ، وآثام ، وتحبب الناس في اجتنابها .

ويدخل هذا في النوع الأول من انواع النسخ ، وهو نسخ الحكم واثبات التلاوة ، في الآيات الاولى ، واثبات الحكم والتلاوة جميعا في الآيات التي جاء بها تحريم الخمر .

أما حين يكون النسخ داخلا في النوع التالي وهو نسخ التلاوة واثبات الحكم ، فاننا نجد بعض الاحكام هنا تنقل الى السنة لنتعلم كيف نستمد أحكام الوحي ، من القرآن والسنة جميعا .

ومن أمثال هذا النوع من انواع النسخ ما جاء فيما صحت روايته عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب أنهما قالا : (كان فيما أنزل من القرآن : الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة) رواه احمد .

ذلك أننا نعلم أن السنة لم تفرق من حيث الحكم او العمل بين زنا الشيخ او الشاب طالما كان كل منهما مكلفا بشرائع الاسلام .

فهكذا نعلم أن في هذا نوعا من إلقاء العبء العملي على السنة ، مع ما يؤدي اليه النسخ من غياب هذه الآيات التي أثبتت بين آيات القرآن ، ثم شاء الله نسخها ليتبين لنا بذلك أن القرآن والسنة وحي واحد ، في مصدره ومقاصده ، وان تنوع كل منهما عن غيره من وجوه كثيرة .

فمن هذه الوجوه أن القرآن وحي بشكله ومضمونه ، أما السنة فهي وحي بمضمونها وبما يتصل بأعمال الرسول وأقواله ، التي تخص التطبيق العملي للقرآن والسنة معا ، أو من حيث استقلال السنة ببعض الأحكام أو إقرارها لما يدخل في اجتهاد الصحابة ، وكل ذلك يؤيده ويقويه هذا النوع من النسخ الذي يلحقه الله ببعض آيات القرآن ، ليقوى بذلك ، حاجاتنا للسنة ، ويؤكد عظمة ارتباط مقاصدها ، في جملتها وتفصيلها ، بالقرآن في جملته وتفصيله .

وهكذا ننتهي الى النوع الأخير وهو نسخ التلاوة والحكم جميعا .

يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ عن هذا النوع إنه ما ينسخ تلاوته وحكمه معا .

ثم يقول :

قالت عائشة رضي الله عنها :

« كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن » رواه الشيخان ، ثم يقول السيوطي — رحمه الله — وقد تكلموا في قولها : وهي مما يقرأ من القرآن فان ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

ويجيب السيوطي عن ذلك بقوله :

وأجيب بأن المراد قارب الوفاة ، وأن التلاوة نسخت أيضا ، ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .

وينتهي كلام السيوطي رحمه الله لنقول — معا — ان الذي يهمنا هنا أن نعرف دور السنة في بيان هذه الحقيقة القرآنية وتفسيرها .

فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن تحريم زواج الأخوين من الرضاع يكون بمطلق الارضاع ، ولو كان رضعة واحدة ، بشرط أن تكون كاملة يتم فيها الرضيع رضعته بغير حائل يمنعه .

ومن الدليل على ذلك حديثان اثنان .

فأما الحديث الاول فهو مما اتفق عليه الشيخان عن قبة بن الحارث قال : « تزوجت أم يحيى بنت إهاب فجاءت أمة سوداء فقالت قد أرضعتكما .

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال :

وكيف وقد قيل ؟ دعها عنك » البخاري ومسلم .

ويقول الاستاذ الشيخ السيد سابق : (إن ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ، السؤال عن عدد الرضعات ، وأمره بتركها دليل على أنه لا اعتبار الا بالارضاع فحيث وجد اسمه وجد حكمه) .

أما الحديث الثاني فقد روته عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم المصة ولا المصتان » رواه الجماعة الا البخاري .

ويقول الأستاذ الشيخ السيد سابق عن هذا الحديث إنه يفيد أن الرضيع لو مص مصة او مصتين فان ذلك لا يحرم ، لأنه دون الرضعة التامة .

ومع ذلك فقد ذهب كبار الصحابة والتابعين الى التحريم بمطلق الرضاع ، لأن انشار . اللحم ، يحصل بقليله وكثيره .

ثم نعود — معا — الى بيان السنة للقرآن ، فيما يخص نسخ التلاوة والحكم — معا — لهذا القدر من القرآن الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها .

فاذا نحن نظرنا في ذلك — معا — وجدنا أن السنة بينت لنا هذا النوع من انواع النسخ كما فسرت لنا ما جاء في القرآن مجملا ، وذلك في قوله تعالى :

(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) النساء / ٢٣ .

وكذلك فان السنة هي التي تقدر التوقيت الزمني الذي يتفق مع التحريم ، في هذا الشأن ، وفي كل ما يخص العبادات بكل أنواعها وأحوالها ، حيث تبين السنة مواقيت أدائها ، وحدود هذه المواقيت .

وقد كثرت الاحاديث التي تبين لنا الوقت الذي يتفق معه تحريم الزواج من الرضاعة وجاءت في مصادر فقهية عديدة ، نخص منها بالذكر مما جاء به الشوكاني ، حديث أم سلمة الذي صححه الترمذي ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام » رواه الترمذي . فأما من النسخ فان السنة إذ بينت لنا هذا النوع منه ، قد علمتنا كيف نأتمر بما أمر الله به ، وكيف ننتهي عما نهى الله عنه ، ولو كان ذلك في أعظم مصالحنا الشخصية ، حيث الزواج وقيام الأسرة ، وصلة الأنساب والأرحام .

هـ ـ إن الله تعالى هو القادر على التيسير حتى يبيح الرضعات العشر ، ثم هو القادر على تضييق هذا التيسير ، ثم هو القادر على منعه ، والزامنا بالانتهاء تماما عن الزواج ممن تشترك معنا في الرضاعة ، ولو كان ذلك برضعة واحدة .

والسنة هنا تبين لنا أن الرضعة إذا لم تتم ، فكانت مصة أو مصتين ، فان الحكم لا يشمل ذلك ، لأن المصة والمصتين لا تستطيعان أن تتعديا فم الرضيع لتدخلا في إنشاز عظمه وإنبات لحمه .

الوحي ينظم حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر

١ ـ إن حقيقة نزول القرآن منجما وحقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وحقيقة أسباب النزول هذه الحقائق جميعا ، تعمل على تحريك الحياة الانسانية ، تحريكا متواصلا ، في تقدم ثابت ، وحركة متجددة ، لا مصدر لها إلا الوحي الالهي في القرآن والسنة معا ، وأنهما بذلك يشتد ارتباطهما ولا ينفصلان من حيث مصدرهما الواحد وهي وحي الله ، ومقاصدهما الواحدة ، وهي بيان أوامر الله ونواهيه . ثم إن تحديد أنواع النسخ بأنها ثلاثة أنواع ، هى ما نسخ حكما وتلاوة ، وما نسخ تلاوة لا حكما ، وما نسخ حكما لا تلاوة ، هذا كله تنظيم لحاجات البشر إلى أحكام الوحي بما فيها من عموم وخصوص ، وقد جاء في كتب العلماء القدامى أمثال السيوطي .

وقد بين السيوطي في كتابه « معترك الأقران » أن الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ خلائق لا تحصى .

٢ ـ ولكن الربط بين أسباب النزول وبين النسخ ، يجعلنا ننظر إلى هيمنة الوحي من قرآن وسنة على حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر ، وجعلها حركات أصيلة دائما ، لا تنقطع أبدا ، عن الحقيقة بكل وجوهها التي يسر الله معرفتها للبشر بكل زمان ومكان . ولعلنا نذكر هنا ما سبق من أن القرآن والسنة يتجددان

تجددا ذاتيا لا يحتاج إلى أي مدد خارج على وحي الله تعالى ، كما بينه لنا في كتابه وسنة رسوله . ندرك ذلك حيث ننظر في أسباب النزول فنجد كل سبب منها يحمل معه الفارق بينه وبين غيره من الأسباب ، كما يحمل معه أسس اتصاله بالوحي في جملته وتفصيله ، سواء ما يتصل بذلك من آيات القرآن وأجزائها ، ومواضع كلماتها وحروفها في القرآن كله ، أو يتصل بالوحدة والنوع في مقاصد السنة القولية والعملية ، أو كل ما يخضع لذلك من الوقائع المتجددة في حياة البشر ، على اتصال الحياة الانسانية من الدنيا إلى الآخرة .

وقد اقتضى ذلك أن يكون ما سميناه معا من قبل ـ التراسل بين القرآن والسنة ـ قائما على التنسيق المعجز بين ما اختص به القرآن من المقاصد والأحكام ، وما اختصت به السنة من ذلك ، في حركة متتابعة بينهما ، وحاجات متتابعة من الحياة الانسانية إليهما .

كل ذلك من إعجاز الوحي الالهي ، الذي جعل في السنة ناسخا ومنسوخا ، كما وجدنا في القرآن ناسخا ومنسوخا .

وكل ذلك في إطار أسباب النزول لا يحصيها إلا الله تعالى .

٣ ـ فلئن كانت أسباب النزول أسبابا ظاهرة في الحقيقة الخاصة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ مثلا ، فان هناك من أسباب النزول التي يعجز البشر عن إحصائها ، والاحاطة بما فيها من الثبات والحركة ، والأصالة والتجدد ، هو بعدد مواضع كل حرف وكلمة وجملة ، نجد كلا منها ، بكل آية قرآنية ، كلما نظرنا إلى ما تتعدد مواضعه من هذه الأجزاء ، في آيات كثيرة .

وكذلك الأمر إذا نظرنا بعمق عظيم إلى تجدد أحوال الضبط والترتيب ، بالحروف جميعا ، في الكلمات جميعا كلما اقتضت حكمة الله تنويع صيغ الكلمات ، فضلا عن تنويع ما خص الله به كل صيغة لكل كلمة من عدد مواضعها في القرآن كله ، حتى أمر الله عبده ورسوله ، بترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف كما هو محفوظ بحفظ الله فلا ينبغي أن يحرف أو يبدل بحال من الأحوال .

هذه كلها أسباب للنزول لا نحيط بما هو ظاهر منها إذا نظرنا في الأسباب الواقعة في أحوال البشر كتحويل القبلة ، أو ما نزل في التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها ، كما لا نحيط بما هو دقيق وخفي منها كلما نظرنا في ثبات القرآن على الناحية الشكلية في حروفه وكلماته وجمله وآياته ، مع مقاصده الكثيرة ، الدائبة التجدد ، والمرتبطة بهذه الأجزاء في جملتها وتفصيلها وحركتها في مواضعها ، ثم حين ننظر إلى السنة في تنوع المقاصد التي يجمع لنا ألوانها الكثيرة كل باب من أبواب الحديث الشريف .

٤ ـ وأقرب مثل لذلك أن السنة قد

استقلت بالتشريع في شأن القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس فلم ينزل في ذلك قرآن ، وإنما صدر بذلك أمر من رسول الله صلى الله عليه سلم ، وقد جاء في القرآن وجوب طاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر/٧

ولقد ظلت السنة هي المصدر في جعل القبلة إلى بيت المقدس حتى شاء الله أن يتم القرآن ، هذه الحركة التي بدأتها السنة فتوفر السبب المرتبط بنزول الآية الخاصة بذلك .

ولو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من تركيب أيسر أجزائه ، إلى ما في الحياة الانسانية بكل أزمنتها وأمكنتها من أسباب الخضوع لذلك ، مع ما يتعلق بمقاصد القرآن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا حركة قرآنية معجزة ذات تقدم يمضي دائما على يقين لا ريب فيه ، كما تشرق الشمس في كل يوم جديد ، بضوء جديد ، وموضع من جريان الشمس جديد ، والضوء واحد ، في جملة حقائقه ، وحاجات الكون والحياة الانسانية إلى هذا الضوء تتجدد حتى يرث الله هذا العالم وما فيه .

ويلخص لنا مصطفى صادق الرافعي ، هذا التجدد الدائب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى » .

غير أن الذي نريده بذلك هو التجدد في ذات القرآن وذات السنة ، من حيث الوحدة والتنوع في النصوص والمقاصد ، والاحاطة بحركة الحياة الانسانية في تجدد دائب ، يبين لنا ما هو حق من كل أقوالنا وأعمالنا وما هو باطل .

فاذا نظرنا إلى سبب النزول الخاص بتحويل القبلة ، ثم سبب النزول الخاص بالتي تجادل في زوجها ، وجدنا لقطتين متفردتين في موكب الحياة كله ، بلا تكرار من جهة ، وبلا انفصال بينهما وبين بناء الحياة كله من جهة أخرى ، لان إحاطة الله بكل المقاصد إحاطة قادرة على هذا التجديد المستمر ، الذي لا سبيل إلى مثله في حدود القدرة البشرية .

فلننظر إلى هذين السببين من أسباب النزول :

السبب الأول :

هو تحويل الكعبة كما جاء في الحديث المتصل السند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء)** البقرة/١٤٤ ، الى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما قالوا في ذلك فأنزل الله تعالى : **(قل لله المشرق والمغرب)** الى آخر الآية . البقرة/١٤٢ .

والسبب الثاني :

هو الذي خص الله تعالى به أوائل الآيات في سورة المجادلة وأنها نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها . فكانت هذه الآيات . وما بينها وطبقها من السنة ، مصدرا في أحكام الظهار وما يترتب عليها من أمور .

إن هدفنا من النظر إلى ما تقدم هو بيان هذا التجدد الذي يخص كل أمر بذاته ، فيفرد له موضع ارتباطه بالحياة في جملتها وتفصيلها ، وأن هذا لا يكون في أي كلام إلا في الوحي الالهي من قرآن وسنة .

والفرق بين القرآن والسنة هنا ، هو أن القرآن دائب الحركة المعجزة . في مبناه ومعناه وترتيب أجزائه في جملتها وتفصيلها ، بينما السنة دائبة الحركة المعجزة في ما يخص أحاديث الرسول في جملتها وتفصيلها ، من الوحدة والتنوع في مقاصد كل حديث ، بين الأحاديث كلها ، تماما ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرك بعد صلاة الفريضة ، ليصلي ركعتي السنة بعد صلاة الظهر أو صلاة المغرب — مثلا — في موضع جديد ، من المسجد .

وما ذلك إلا وحي إلهي يوجه السنة العملية نحو التقدم الدائب ، والحركة المتجددة بغير انقطاع .

○ — النسخ في السنة يرتبط بكل ما تقدم :

٥ — لذلك كانت السنة أيضا تتخذ من النسخ خطوات دائبة يتحقق بها لكل داء دواؤه ، فيما يناسبه من المكان والزمان ، فلا يستقر حكم ليشمل كل فترات التاريخ إلا إذا كان من الأمور العامة التي تتسع للحياة الانسانية بغير حدود ، أما إذا كان هناك هدف محدود ، فله من الأحاديث المنسوخة ما يحققه ، إلى أن ينتهي زمنه ، ونتعلم منه كيف لا نخلط بين العام والخاص في أحكام الله تعالى :

(أ) ومن النسخ في السنة ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه النسائي والترمذي .

وواضح أن السنة هنا تنسخ حكما بحكم وفعلا بفعل ، لحكم كثيرة علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها سبيلا إلى ممارسة الأمة للتفكر ، والمقارنة بين الأشباه والنظائر .

وزيارة القبور مع حداثة عهد الناس بالشرك ، غيرها بعد استقرار الاسلام ، وظهور حقيقته .

(ب) ومن النسخ بالسنة ما نجده في جزم الصحابي ، بأن الناسخ هو الحكم الذي كان أخيرا ، بعد حكم آخر كان قد سبقه ، فكان هو المنسوخ .

وذلك مثل حديث جابر رضي الله

عنه :

« كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الوضوء مما مست النار » رواه أبو داود والنسائي .

(جـ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في النظر إلى التاريخ وتعاقب فتراته . فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين ، يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم .

وذلك كحديث شداد بن أوس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أفطر الحاجم والمحجوم) رواه البخاري

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .

فقد بين الشافعي أن الثاني ناسخ للأول من حيث أنه روى في حديث شداد أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وروى في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك أن الأول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر .

(د) ومن النسخ في الحديث ما يعرف بالاجماع كحديث :

« قتل شارب الخمر في المرة الرابعة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

فلقد عرف المسلمون أن هذا الحديث منسوخ بانعقاد الاجماع على ترك العمل به ، والاجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

والحقيقة أن السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التي بينت لنا هذا النسخ .

ذلك أنه جاء في حديث قبيص بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه ـ في الثالثة أو الرابعة ـ فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة) رواه احمد .

فلعلنا ننعم النظر في هذا التراسل العملي بين القرآن والسنة ، حيث خص الله كلا منهما بأنواع من المقاصد ، في تقديم وتأخير ، وناسخ ومنسوخ ، حتى نعلم دائما أن السنة في تفسيرها للقرآن ، لا تنفصل عنه من حيث الوحدة والتنوع في مضمون الوحي ومقاصده ، ولا من حيث التطبيق المستمر للقرآن ، في السنة القولية والعملية ، على نحو لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

○ ـ دور الأمة في هذه الحركة المتجددة :

٦ ـ ومما يتصل بأهداف هذا التراسل بين مقاصد القرآن والسنة ،

أن الله جعل للأمة نصيبا من الوحي ، ممثلا في نزول أجزاء يسيرة من الآيات على ألسنة نفر من الصحابة ، ثم في رؤية من رأى صيغة الأذان في نومه وموافقة ذلك لصيغة الأذان كما طبقتها السنة في الواقع العملي .

فأما أجزاء الآيات التي ألهمها الله بعض الصحابة فكان في ذلك توثيق بين ما نزل به جبريل على الرسول وبين ما خص الله به الأمة من ذلك ، فمنها ما صح عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت : **(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)** البقرة/ ١٢٥

وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : **(عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)** التحريم/ ٥ . فنزلت كذلك : (الحديث أخرجه البخاري وغيره) والأحاديث في ذلك قليلة ولكنها صحيحة ودالة على أن الله جعل للأمة نصيبا في تلقي الوحي ، حتى يكون عملنا به قريبا من حياتنا العملية ، ويزيد الله به المسلمين فضلا على فضل .

أما الأذان فقد روى الترمذي عن عبدالله بن زيد بن عبدربه أنه رأى الأذان بصفة وصيغة في رؤيا فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تبين أن عمر رضي الله عنه رأى رؤيا مثلها فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا هو الأذان الذي يفسر لنا بالواقع العملي قوله تعالى :

(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) المائدة/ ٥٨

وقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) الجمعة/ ٩ .

وبذلك يكون الأذان بيانا للآيتين السابقتين ، وتطبيقا عمليا لهما في كل مكان وزمان .

فلننظر كيف جعل الله تعالى الأذان وحيا للأمة ذاتها ، تسانده السنة العملية في تفسيرها للقرآن ، وتطبيقها لمقاصده ، لأن هذا مما يوافق الدعوة المتجددة في كل مكان وزمان ، لاقامة الصلاة .

فهكذا نعود إلى ذكر الغاية العملية من التراسل بين القرآن والسنة من حيث التجدد الذاتي في كل منهما ، بحكم هذه التطبيقات المتواصلة التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان .

وهكذا نجد هذا الترابط بين نزول القرآن منجما وبين أسباب النزول وبين النسخ في القرآن والسنة نوافذ كثيرة ، ولكنها تصلنا جميعا بحركة التقدم والتجديد في مقاصد الحقيقة ومهما تكثر وتتنوع فهي واحدة .



للمهندس : محمد عبد القادر الفقي

تواجه البشرية في هذه الأيام محنة عسيرة ، عليها أن تجد سبيلا للخلاص منها ، وإلا فقد يؤدي الاهمال في تداركها إلى حالة من الانتحار الجماعي للبشر ، وربما تؤدي إلى انتهاء الحياة على الكوكب الأرضي .

وهذه المشكلة التي تهدد الجنس البشري بالزوال ، تهدد حياة كل الكائنات الحية والنباتات ، إنها مشكلة تلوث البيئة ، والتي برزت على مسرح الأحداث وظهرت نتيجة للتقدم التكنولوجي والصناعي والحضاري للانسان ، ففي كل يوم تلقى آلاف المداخن بآلاف الأطنان من الغازات والغبار والأتربة التي تفسد الهواء ، وتجعله غير صالح للتنفس ، كما تصب المصانع ومحطات توليد الطاقة الكهربية يوميا مقادير هائلة من المخلفات والنفايات في مياه الأنهار والبحار والمحيطات مما يفسدها ويجعلها غير صالحة للاستعمال الآدمي ، أو لنمو الكائنات الحية البحرية كالأسماك والدرافيل والترسة .

وتتفاقم المشكلة مع محاولات الانسان المستمرة ، وجهده الدءوب ، في البحث عن وسائل جديدة للراحة والرفاهية والمدنية ، وهو من أجل ذلك يلجأ إلى الاتساع في التصنيع ، ويتجه إلى ميكنة الزراعة ، واستخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية ، وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد من المخلفات والمواد غير المرغوب فيها ، والتي يتم التخلص منها إما بدفنها في الأرض ، أو إغراقها في البحر ، أو بنفثها في طبقات الجو .

وهو بذلك يفسد من صفو الهواء ، ويلوث الماء ، ويفسد التربة الصالحة للزراعة فتموت الأزهار وتجف الأشجار ، وهو من أجل التصنيع يقوم بعمل ذلك ليعود وبالا عليه ، وعلى صحته وأمواله ، وحيواناته وآلاته ، ومعداته وزراعته .

لقد أصبحت مشكلة التلوث هي الشغل الشاغل لمعظم صحف ومجلات العالم ، وقد عقدت كثير من البلدان العديد من المؤتمرات لهذا الغرض ، وكان هدفها هو توعية الانسان في كل مكان بأبعاد هذه المشكلة ، ووضع القيود والقوانين التي تهدف إلى المحافظة على البيئة ، لكن وجه الصعوبة هو كيف يتخلى الأنسان عن التصنيع ؟ إن الأنسان في عصر ما قبل الثورة الصناعية لم يتعرض لهذه المشكلة ولم يك يعرفها من قريب أو بعيد .

تعريف التلوث :

يعرف التلوث : بأنه تواجد أي مواد تفسد نظام الطبيعة ، ومما تحتويه من كائنات حية ونباتية ، وغلاف جوي ، بالأضافة إلى إفسادها للخواص الطبيعية والكيميائية للأشياء ، بحيث يؤدي ذلك إلى الأخلال بالتوازن البيئي .

ويرى البعض أن التلوث (هو وجود أي مادة أو طاقة في غير مكانها

وزمانها وكميتها المناسبة ، فالماء يعتبر ملوثا إذا ما أضيف إلى التربة بكميات تحل محل الهواء فيها ، والأملاح عندما تتراكم في الأرض الزراعية ، بسبب قصور نظام الصرف ، والنفط مكون من مكونات البيئة ، لكنه يصبح ملوثا عندما يتسرب إلى مياه البحار ، والأصوات عندما تزداد شدتها عن حد معين تعتبر ملوثات تضايق الأنسان ، وفي ضوء ذلك يبدو جليا وواضحا أن تلوث البيئة يشمل البر والبحر وطبقة الهواء التي فوقهما والقرآن الكريم ـ كتاب الله الخالد ـ والذي لا يأتيه الباطل ، يشير إلى ذلك ، حيث يقول رب العزة جلت قدرته في الآية رقم ٤١ من سورة الروم :

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) والآية تشير بجلاء ووضوح الى التلوث الذي يفسد البر والبحر نتيجة لما يعمله الأنسان من تدخل في الكون ، وهي تشير أيضا إلى الضرر البالغ الذي يحل به من جراء عمله هذا ، ذلك الضرر الذي يذوقه الأنسان رغما عنه ، والذي دفعه إلى ذلك هو جهله بناموس الكون ، وقوانين البيئة التي سنها الله فأعماه الغرور ، وسعى من أجل متعة دنيوية زائفة إلى إفساد البر والبحر بالمخلفات الصناعية تارة ، وبمخلفاته تارة ، وبالمواد المشعة والأشعاعات الذرية وغيرها .

إنه بتدخله غير المدروس في تغيير نظام البيئة ، يدفع نفسه إلى الانتحار وإلقاء نفسه في التهلكة والقرآن الكريم ينهي عن ذلك ، ويتوعد الذين يقتلون أنفسهم بأنفسهم ، ولكن أين من يتعظ ؟ أو من يتدبر في عالم طغت فيه المادية ، وترعرعت فيه الماركسية ؟ وأصبح هم أصحاب المصانع هو الثراء الفاحش على حساب الفقراء الذين يعملون في مصانعهم ، يقول سبحانه وتعالى :

(ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة) « البقرة / ١٩٥ » .

ولكن أنى لأصحاب العقول الضالة أن تهتدي ، وأنى لها أن تسمع وتعي ، وتنذر فتخاف ؟

التلوث والفساد في اللغة :

جاء في المعاجم : لوث الأمر : لبسه ، ولوث التبن بالقت : خلطه ، وتلوث بالطين ، وتلوث بفلان رجاء منفعة ، أي لاذ به ، وتلبس بصحبته ، ولوث الماء أي كدره ، ويقال : التأثت عليه الأمور أي التبست ، والتأث في عمله : أي أبطأ ، والتأث بالدم : تلطخ به ، وفلان به لوثه أي به جنون . ونستنتج من هذا أن التلوث له معنيان في اللغة : معنى مادي ، وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة ، مما يؤثر عليها ويفسدها كتلوث الماء ، والتلوث بالطين ، وأما التلوث المعنوي فهو يعني ذلك التغير الذي ينتاب النفس فيكدرها ، أو الفكر فيفسده ، أو الروح فيضرها ، وهذا

التغير كما يتضح يكون دائما إلى ما هو أسوأ ، أو يكون تغيرا من أجل غرض ما . والتلوث بالمعنيين المادي والمعنوي يعني فساد الشيء ، سواء كان هذا الشيء كائنا حيا كالأنسان أو الحيوان ، أو جسما غير حي كالهواء والماء والتربة .

أما الفساد في اللغة فانه ضد الصلاح ، يقال فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا فهو فاسد وفسيد ، والمفسدة : ضد المصلحة .

ولفظة الفساد أكثر شيوعا في الاستعمال ، وهي تعبر عن أي خلل يقوم به الأنسان من سلوك شائن ، أو فعل قبيح ، أو صفة مرذولة ، أو عن أي اضطراب يحدثه الأنسان في خلق الله .

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة ، تتحدث عن الفساد الذي يحدثه الانسان في الأرض ، من معصية وكفر ، أو من تفريق الناس عن الدين أو الأيمان ، كما كان يفعل فرعون وقوم عاد وثمود ، أو من الجور والظلم ، وانتهاك الأنسان لحقوق أخيه الأنسان ، أو التلوث الذي يحدثه الأنسان بالأرض ، وتأمل قوله تعالى :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) سورة البقرة / آية ٢٥١ .

(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) « سورة البقرة / آية ٢٢٠ » .

(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) « سورة المائدة / آية ٣٢ » .

(كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) « سورة المائدة / آية ٦٤ » .

(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) « سورة الأعراف / آية ٧٤ » .

(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) « سورة الأعراف / آية ٨٥ » .

(ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) « سورة الأعراف / آية ١٠٣ » .

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) « سورة النحل / آية ٨٨ » .

(وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد) « سورة الفجر / آية ٩:١٢ » .

(ظهر الفساد في البر والبحر

بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) « سورة الروم / آية ٤١ » .

ولقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الفساد ، وسأكتفي هنا بما قاله القرطبي كنموذج يؤكد ما نقوله في تفسيره للآية الأخيرة :

يقول القرطبي في كتابه ـ الجامع لاحكام القرآن :

(قوله تعالى (**ظهر الفساد في البر والبحر)** اختلف العلماء في معنى الفساد والبر والبحر ، فقال قتادة : الفساد : الشرك وهو أعظم الفساد ، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : فساد البر قتل ابن آدم أخاه : قابيل قتل هابيل : وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وقيل الفساد : القحط وقلة النبات وذهاب البركة ، ونحوه قال ابن عباس قال : هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا ، قال النحاس : وهو أحسن ما قيل في الآية ، وعنه ايضا : أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم ، وقال عطية : فاذا قل المطر قل الغوص عنده ، وأخفق الصيادون وعميت دواب البحر ، وقال ابن عباس : إذا مطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر ، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ ، وقيل الفساد : كساد الأسعار وقلة المعاش ، وقيل الفساد : المعاصي وقطع السبيل والظلم ، أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات ، والمعنى كله متقارب ، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس ، لا ما قاله بعض العباد أن البر اللسان والبحر القلب ، قاله عكرمة ، والعرب تسمى الأمصار : البحار ، وقال قتادة : البر اهل العمود والبحر أهل القرى والريف ، وقال ابن عباس : إن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شط نهر ، وقاله مجاهد ، قال : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهي بحر ، وقال معناه النحاس ، قال : في معناه قولان : أحدهما ظهر الجدب في البر أي في البوادي وقراها ، وفي البحر أي في مدن البحر ، مثل : واسأل القرية ، أي ظهر قلة الغيث وغلاء السعر ـ **(بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض)** ـ أي عقاب بعض ـ **(الذي عملوا)** ـ ثم حذف ، والقول الآخر : أي ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم ، فهذا هو الفساد على الحقيقة ، والأول مجاز إلا أنه على الجواب الثاني ، فيكون في الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ، ويكون المعنى : ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما الغيث وأغلى سعرهم ، ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا (**لعلهم يرجعون)** ـ لعلهم يتوبون .

ويتضح مما سبق ان القرطبي قد ضمن تفسيره آراء القدماء ، وهي تدور حول تفسير الفساد بارتكاب المعاصي ، او الجور والظلم او قلة الغيث ، وتأثير ذلك على النباتات

والاحياء ، إلا أن عظمة القرآن وإعجازه تتبين من انه قد نزل ليخاطب كل العقول ، في كل زمان ومكان ، ولفظة الفساد هنا تتسع لتعبر أيضا عن الفساد الذي يحدث في البيئة نتيجة لتدخل الأنسان ، إن الاعجاز في الآية رقم ٤١ من سورة الروم ، لا يجيء من كونها قد تحدثت عن مشكلة تلوث البيئة منذ أربعة عشر قرنا ، ولكن هذا الاعجاز يتضح في عرضها لجوانب المشكلة بالتفصيل وآثارها على الانسان وعلى البر والبحر ، وكيف يتحمل الانسان نتيجة ذلك الفساد الذي يصنعه بيديه ، مما يدل دلالة قطعية على أن هذا القرآن قد جاء من لدن حكيم عليم .

انواع التلوث

ينقسم التلوث إلى قسمين رئيسيين :

الأول : التلوث المادي : ويشمل تلوث كل من الهواء والماء والتربة الصالحة للزراعة .

والثاني : التلوث غير المادي : كالضوضاء التي تنتج من محركات السيارات والآلات والماكينات ، وما تسببه من ضجيج ، يؤثر على أعصاب الانسان ، ويلحق به الكثير من الأذى الفسيولوجي والضرر السيكولوجي فالضوضاء تؤدي الى سرعة النبض ، وزيادة إفراز بعض الهرمونات التي تفرزها الغدد الموجودة بالجسم ، مما قد يتسبب في ارتفاع نسبة السكر في الدم ، وقد تؤدي الى الاصابة ببعض الأمراض كقرحة المعدة أو الاثنى عشر ، بالاضافة الى ما تسببه من قلق وأرق ، وعدم تركيز ، كما تؤدي الى سرعة الغضب والاستثارة .

اما الملوثات فانه يمكن تقسيمها إلى أقسام بحسب نشأتها أو مسبباتها ، ومن ناحية التقسيم حسب نشأتها فهي إما أن تكون :

طبيعية : أي نتجت بدون تدخل الانسان كالبكتريا ، والفيروسات ، والطحالب ، وحبوب اللقاح ، والغازات ، والأبخرة التي تنتج من البراكين وكالانفجارات التي تحدث في الشمس وتؤثر بدورها على طبقة الأوزون الموجودة بالغلاف الجوي للأرض والتي تحمي الأرض وسكانها من الأشعة الكونية القاتلة ، وكأكاسيد النتروجين التي تنشأ في الجو نتيجة للتفريغ الكهربي للسحب .

صناعية : وهذه استحدثها الانسان بالتصنيع ، كالغازات ، والأبخرة ، والمواد الصلبة ، والأتربة الناتجة من مداخن المصانع وكغازات العادم التي تخرج من محركات السيارات ، بالاضافة الى المخلفات الناجمة عن نشاط البشر ، وحركتهم ، ومعيشتهم .

كيميائية : كالمبيدات الحشرية ، ومزيلات الأعشاب والمنظفات الصناعية ، والمركبات ، والمواد الناتجة من الصناعات البترولية ، وصناعات الغزل والنسيج ، والحديد والصلب ، والكوك والفرقعات والأسمدة .

فيزيائية : كالضوضاء ،

والاشعاعات الذرية ، والتلوث الحراري ، الذي ينتج من إلقاء محطات توليد الطاقة الكهربائية لكميات كبيرة من المياه الساخنة ، في مياه البحار والمحيطات والأنهار مما يؤدي إلى الحاق الضرر بالكائنات البحرية ، او التلوث الحراري الناتج من المياه التي تستخدم في تبريد المفاعلات الذرية ، حيث يؤدي ذلك إلى تناقص كمية الأوكسجين الذائب في الماء ، مما يؤثر على حياة الأسماك والحيوانات البحرية .

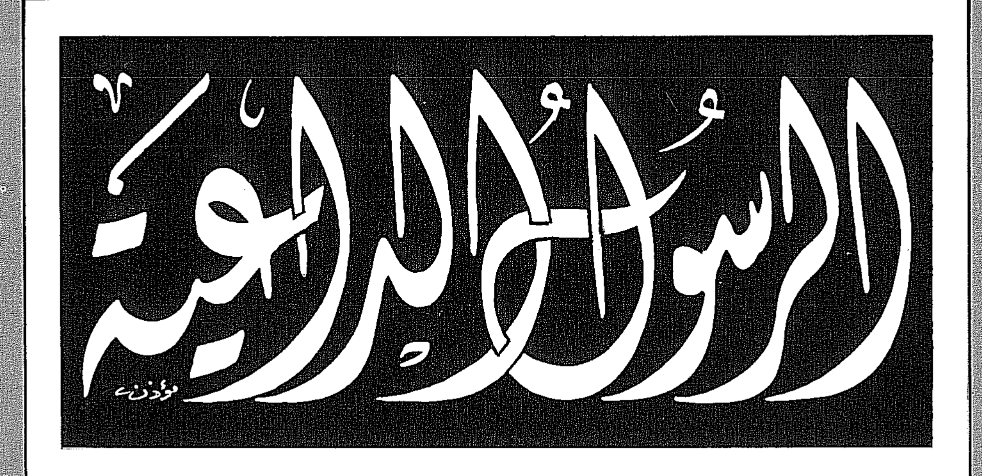
وتشكل المواد المشعة خطرا كبيرا على الانسان نوعا وكما ، وفي الماضي لم يكن التلوث بالمواد المشعة له اهمية ، حيث لم يكن الانسان عرفه بعد ، والمواد المشعة التي تنتج من التفجيرات الذرية ، تؤثر على خلايا الأجسام الحية ، فتحطمها وتؤثر في نخاع العظام وتسبب أنواعا مختلفة من السرطان ، كما تؤدي إلى تشوه الأجنة ، وحدوث طفرات في الجينات الوراثية ، وقد تؤدي الى العقم ، ونظرا لخطورة الاشعاعات على الجنين ، ينصح الأطباء السيدات الحوامل بعدم تعرضهن لأشعة إكس اثناء فترة الحمل .

بيولوجية : وهي الكائنات والأحياء التي يؤدي تواجدها بكميات كبيرة إلى إحداث خسارة فادحة ، بزراعة الانسان وصناعته ، وقد تؤثر على صحة الانسان ، وتسبب له الأمراض ، كبعض أنواع البكتريا ، والفيروسات ، والفطريات ، وانتشار الحشرات كالجراد ، والبق ، والقمل ، بكميات كبيرة ، يؤدي إلى هلاك الزرع وإصابة الانسان بالعديد من الأمراض والأوبئة .

كما أن تلوث المياه يخلق ظروفا مواتية لنمو نباتات غير مرغوب فيها ، كالطحالب والنباتات المائية التي تعوق الملاحة ، وتخفض من سرعة التيار ، مما يهيىء الفرصة لنمو القواقع وديدان البلهارسيا ، وتكاثر البعوض ، كما تسبب حبوب اللقاح التي تتطاير من النباتات بعض الأمراض ، كالحساسية التي تصيب الانسان في الجهاز التنفسي ، نتيجة لاستنشاقه حبوب اللقاح ، التي تتطاير من أشجار الصفصاف ، ويؤدي تكاثر الفئران بدرجة كبيرة إلى خسارة هائلة في المحاصيل الزراعية الضرورية ، واللازمة لغذاء الانسان ، كالقمح ، والذرة ، والأرز ، بالاضافة الى دورها في نقل بعض الأمراض والأوبئة كالطاعون .

وعموما فان كل ما يفسد البر والبحر يعتبر ملوثا ، ووجود أي مادة في غير مكانها الذي خلقه الله لها ، وفي غير زمانها المفروض أن تتواجد فيه كل ذلك يدفع إلى التلوث .

وعلى الانسان ان يحاول وضع الحلول المناسبة لمواجهة تلك المشكلة وحتى لا تتحقق المأساة المخيفة التي يقودنا اليها التلوث ، ولنا وقفة اخرى متأنية في هذا الموضوع ، حتى نفصل الحديث في جنبات تلك المشكلة ، وندرس تلوث الهواء والماء والتربة في ضوء القرآن الكريم والله الموفق .



للاستاذ : محمد كمال الدين

الدعوة في اللغة تعني النداء والطلب والرغبة في الابلاغ عن أمر والاحاطة به ، وهي في الاسلام تعني دعوة الناس إلى الايمان بالله الواحد الأحد ، وبالكتب المنزلة منذ آدم عليه السلام وإلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالرسل جميعا ، وباليوم الآخر الذي لا ريب فيه ، مع العمل بهذا الايمان عقيدة وسلوكا ، وهي تعني تعليم الناس بما يبصرهم بشئون دينهم ودنياهم ، وحثهم على عمل الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحذيرهم من عمل ما يوقع في الخطأ أو اقتراف المعاصي ، إنها الوعظ والارشاد والتحذير ، وهي في دعوة الرسول تكليفه بابلاغ الناس وإخبارهم بأنباء الدين الجديد ــ دين الاسلام ــ والعمل على نشر مبادئه وإقناع الناس بالايمان بها والالتفاف حولها .

وهذه المعاني هي بالضبط مفاهيم الاعلام منذ نشأ من قرن أو يزيد ، وإلى يومنا هذا ، إن الدعوة في أحد مفاهيمها هي الاعلام ، ويكاد العلماء المحدثون والمعاصرون يجمعون رأيهم على أن الاعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في حدث من الأحداث ، أو خبر من الأخبار ، أو معلومة من المعلومات .

والاعلام ــ كعلم ــ يدخل في نطاق جميع نواحي الحياة ، يدخل في السياسة والاقتصاد والعلوم والآدب والفن والاجتماع والدين ، ورجل الاعلام الصحيح ــ في أي من هذه

المجالات ـ هو العالم الداعي ، والمبلغ بكل جديد في مجال نشاطه أو فرع تخصصه ، وبهذا المعنى يكون رجل السياسة ورجل الأدب ، ورجل الدين .. من رجال الاعلام لأنهم ينقلون إلى غيرهم معلومات أو أخبارا جديدة عليهم في مجالات اختصاصهم .

وماذا كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم غير ذلك ؟ إنه بالمعنى القرآني داعية إلى الله ، ومبلغ لرسالته : (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا**) الاحزاب ٤٥/٤٦ .

(**ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين**) القصص/٨٧ .

وحين يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعوته ، ويعد بعض صحابته لتحمل عبء الرسالة والدعوة معه ، تصبح الدعوة الاسلامية ملكا للناس جميعا ، ولمن يقدر منهم على تحمل المسئولية ، ويصبح توجيه الدعوة الاسلامية على مستوى الجميع : (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) آل عمران/١٠٤ ، (**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**) فصلت/٣٣ ، ذلك لأنهم جميعا يدعون إلى ما يدعو إليه الله سبحانه وتعالى : (**والله يدعو الى دار السلام**) يونس/٢٥ .

هكذا كان الرسول الداعية الأعظم منذ بعثته ، بل ومنذ مولده الكريم ، لقد كان مولده صلى الله عليه وسلم إيذانا ببدء دعوة إعلامية كبرى تنادى بالتوحيد ونبذ عبادة الأصنام ، كان مولده بعيدا عن مظاهر الشرك أو مشاركة مجتمعه عاداته الجاهلية المعروفة مثل شرب الخمر ولعب الميسر وأكل الميتة وإيتاء الفواحش ووأد البنات .. إلى غير ذلك من ظواهر اجتماعية فاسدة جاء الاسلام لمحاربتها ، وإحلال عادات سليمة وجديدة محلها ، عادات تقوم على الخير والمحبة والأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والنهي عن الفواحش وأكل مال اليتيم .

ولاغرو ، فقد خرج الرسول الكريم من نسل شريف ، وأصل يفخر به العرب جميعا ، كان جده عبدالمطلب معروفا باسم « الفيض » لكثرة جوده وكرمه ، وكان مطاعا في قومه نظرا لحكمته وبعد نظره وصواب رأيه ، وكان أول من استن بعض السنن الاجتماعية القويمة مثل منع نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا ، وألا يطوف بالبيت عريان ، والوفاء بالنذر .. أما أبوه ـ عبدالله ـ فقد كان شبيها بعمه أبي طالب في آرائه ، وكان شعاره الذي التزم به : « أما الحرام فالممات دونه » ، وكان العرب جميعا يعرفون فيه نسك أبيه ، ويكفي أن نعرف أن جبهته قد أشرقت بالنور السماوي يوم

مولده صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول يقول في ذلك : « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ابن مريم » رواه الديلمي .

ويقول في حديث آخر : « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » رواه الترمذي ، وفي حديث ثالث يقول : « انا سيد ولد آدم » رواه ابن ماجة ، وعنه يقول الماوردي : « لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما ، وقصور نسبهما عليه ، ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ، ولتفرده بها آية ، فيزول عنه أن يشارك فيه ، ويماثل به ، فلذلك مات أبواه عنه في صغره ، إذ مات أبوه وهو لما يزل جنينا ، وماتت أمه — آمنة بنت وهب — وهو ابن ست سنين ، وكأننا بربنا جل شأنه وهو يقول فيه : (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) الروم/ ٣٠ .

كانت هذه النشأة الشريفة للرسول الداعية مثار احترام قومه وتقديرهم ، ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم بينهم إنسانا لا يميز نفسه بشيء عليهم ، ولا يستكبر . ولا يستعلى ، يتواضع ولا يتفاخر بهذا الحسب الكريم : (**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) آل عمران/ ١٦٤ ، (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) الأحزاب/ ٤٠ .

وفضلا عن ذلك فقد كان سلوكه في قومه يقوم على خصال وصفات إنسانية كريمة ، هي نفسها صفات الداعية الحق ، والنموذج القدوة ، والمثل الصادق في كل زمان ومكان ، ومن أهمها :

١ — لم يكن فحاشا ولا عيابا ، فلم يحدث أنه تطاول على أحد أو أغلظ له في القول ، لا يسب أحدا ولا يعيبه ولا يقبحه .

٢ — كان رحيما بكل الناس ، صغيرهم وكبيرهم ، ضعيفهم وقويهم ، وقد روى عنه حين كسرت رباعيته في موقعة أحد ، وقال له قومه لو دعوت على أعدائك ، أنه قال : « إني لم أبعث لعانا ، وإنما بعثت رحمة » رواه البخاري ومسلم ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له قط ، ولا ضرب امرأة قط ، ولا ضرب بيده شيئا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يكون لله ، فاذا كان لله انتقم له » رواه أحمد . وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « إنما أنا رحمة مهداة » الحاكم ، وصدق الله حيث يقول : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**)

الانبياء/١٠٧ .
٣ ـ كان ينتصر للحق فلا تغضبه الدنيا ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وما كان جهاده صلى الله عليه وسلم طوال دعوته في مكة ـ والتي استغرقت ثلاث عشرة سنة ـ ثم في المدينة ـ والتي استغرقت عشر سنوات ـ إلا انتصارا لرسالة الحق ، رسالة الاسلام والسلام .
٤ ـ كان شجاعا مقداما ، ويكفي أن نذكر يوم حنين ، يوم فر من حوله في المعركة ، أما هو ، فقد جابه الأعداء بشجاعة نادرة وهو يقول لهم ، وفي مواجهتهم : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب » رواه أحمد والبيهقي والنسائي .

هذه السمات في الرسول الداعية ، وغيرها كثير ، تجعل منه نبراسا وقدوة صالحة لدعاة اليوم من جيل العلماء ، حتى ينهضوا بأمور دعوتهم ، وقد وضحت أمامهم الرؤى ، واستبان لهم الطريق ، **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب/٢١ ، وقد أوجز يعقوب بن سفيان النسوى الحافظ فيما ذكره عن الحسن بن علي ، سمات الرسول الداعية حين قال :

ـ « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب (أي كثير الصياح) ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكثار ، وما لا يعنيه ، وترك من الناس ثلاثا : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه ، فكأنما على رؤوسهم الطير ، فاذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يحوزه ، فيقطعه بانتهاء أو قيام ، وكان سكوته على أربع : الحلم والحذر والتقدير والتفكير ، أما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس ، وأما تذكره أو تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه » .

ولعل صفة « الداعية » هي السمة الكبرى التي جمعت بين كل سمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل بدعوة الحق ، دعوة الاسلام **(وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم)** المؤمنون/٧٣ .

ولقد قامت هذه الدعوة على أسس ثلاثة ، هي أيضا من سمات الداعية ، وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** النحل/١٢٥ ، فالحكمة هي الفهم والعلم ، الفهم للرسالة والعلم بمطالبها وسبلها ، والموعظة الحسنة هي تذكير الناس بما يلين قلوبهم من ثواب الله وعقابه ، وتتضمن الحث

على العدل بين الناس ، والاحسان إليهم ، وصلة القربى ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، (**ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر**) البقرة/٢٣٢ ، أما الجدال بالحسنى فتعني المحاورة ، والتخاطب بطريقة الاستمالة والاقناع ، وبأسلوب يتسم بالرفق واللين وحسن الخطاب ..

كذلك قامت الدعوة الاسلامية على مبادئ أخرى – هي أيضا من سمات الداعية ، وطريقة معاملته مع الناس – ذكرت في القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى : (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران/١٥٩ .

ولقد تضمنت هذه الآية الكريمة وحدها العديد من سمات الرسول الداعية يمكن أن نوجز القول فيها فيما يلي :

● تأكيد جانب اللين في المعاملة ، ولا يعني اللين الضعف أو التهاون ، بل يعني إظهار جانب اليسر والحياء وخفض الجناح : (**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**) الشعراء/٢١٥ .

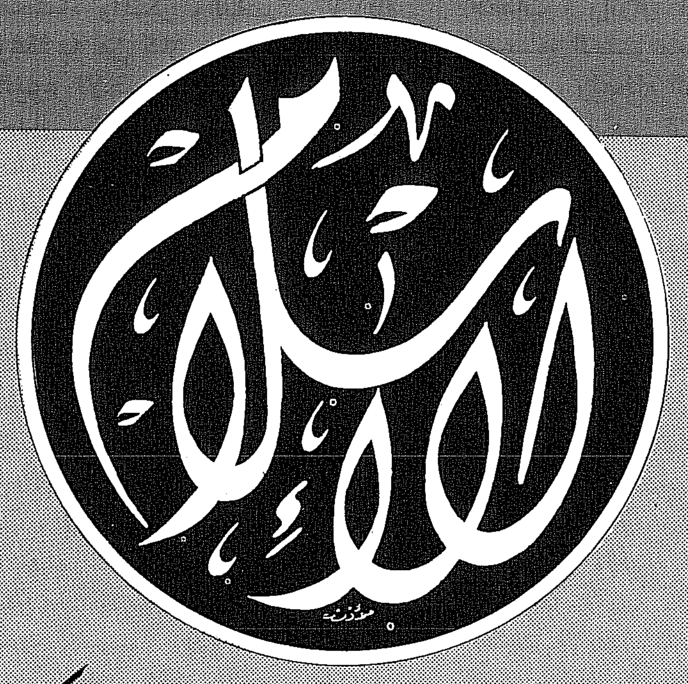
● عدم الغلظة في التعامل مع الناس ، أو أخذهم بالشدة والقسوة ، لأن ذلك ينفرهم من الدعوة ، ويصرفهم عنها .

● العفو عن المسيء إذا تاب واستغفر بعد رد الحقوق إلى أصحابها ، وهذا هو العفو أو الصفح مع القدرة على العقاب ، وإنزال القصاص ، وهنا يصبح العفو معادلا للاصلاح والعدل ، وإعطاء الفرصة للمذنب أن يتوب ، وللعاصي أن يرجع إلى الحق والصواب .

● الدعاء للناس بأن يصلح الله من شأنهم ، وأن يهديهم سواء السبيل حتى يؤمن الجاحد ، ويتوب العاصي ، ويؤوب المذنب .

● التشاور مع أصحابه وأولى الأمر من المسلمين في شئون حياتهم ، وهذه هي الديموقراطية بأجلى معانيها ، إنها ضد التعصب للرأي ، والاستبداد في اتخاذ القرار أو تنفيذه ، والانفراد بالسلطة ، ولقد كانت الشورى في حياة الرسول – ثم الصحابة وحكام المسلمين من بعده – مبدأ أساسيا في الحكم والحياة ، فكانوا لا يصدرون حكما ، ولا يتخذون قرارا ، ولا ينفذون أمرا إلا بعد تشاور طويل ، وتبادل للرأي ، ثم استقرار جماعي على ما ينبغي تنفيذه أو اتخاذه من قرارات .

● التوكل على الله ، لأن الغيب بيد الله ، والحكم له سبحانه وتعالى ، والتوكل على الله هو صفة المؤمنين الصابرين المتقين ، فكأن من توافرت فيه شروط الاسلام الصحيح ، لا تكتمل هذه الشروط الا بشرط التوكل على الله ، (**وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا**) ابراهيم/١٢ ، (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) الطلاق/٣ .



منطلق الهدى والنهضة الحضارية

إن الاسلام ضرورة حيوية لهذا العالم ، بحكم أنه الدين العام الخالد ، الذي أنزله الله سبحانه ليكمل شرائع السابقين ، فكان عين الكمال ، وكان الكفيل بانقاذ العالم مما يتخبط فيه : من فوضى مشوشة ، في دوامة من الأطماع والأنانيات ، تحركها البغضاء والعداوات ، فيصطدم بعضها ببعض ، ولربما

للشيخ محمود ابراهيم طيرة

تتطاير من اصطدامها شرارة حرب مدمرة ، تأكل الأخضر واليابس ، ولا تبقى ولا تذر ! وقد انتظم الاسلام من المعاني السامية ، والمثل العاليـة ، والقيم الرفيعة ، ما يحقق للانسانية الفاضلة أسمى ما تصبو إليه من نهوض وتقدم ، وما يكفل لكل امرئ صلاحه وإصلاحه ، وانتظام أمـور معاشه ومعاده ، واستقامة مساره على النهج الواضح ، الذي يوصله إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، كمـا أوضحنا في نفس المقال ، أن للاسلام فلسفة كبـيرة عظيمـة ، دحضت فلسفات الأرض جميعا ، لاسيمـا الفلسفة الالحادية ، التـي عميت بصائر ذويها وبلد حسهم ، وانحطت عقولهم واضطربت ، فاختلط الأمـر عليها ، حتى لم تعد تفرق بين حق وباطل ، وصالح وطالـح ، وطيـب وخبيث ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)
الحج /٤٦ .

وإني أستأذن السادة القراء ، في أن أقف هنا وقفة ، أركز فيها على هذه الفلسفة الالحادية المخربة ، أنبه الشباب إلى خطرها ، وأحذرهم منها ومن دعاياتها البراقة ، التي هي أشبه ما تكون بالسراب الخادع يحسبـه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد عنده السم في الدسم ، وخيبة الآمال في العسل ! إن هذه الفلسفة المقيتـة ترى في الشبـاب الناشئ خامات نظيفة ، وقلوبا خالية تحاول أن تتلقفها فتبذر فيها بذور الالحاد ، التي سرعـان ما تنبت وتنمـو ، وتضرب جذورهـا في الأعماق ، فيكون من الصعب بعد ذلك اقتلاعها ، ومن أجـل هذا أدعـو الشباب مخلصا إلى البعد كل البعد عنها ، وأمحضهم النصـح بعـدم الاصغاء لدعاياتها الزائفة الخادعة ، صونـا لأنفسهـم من أخطارهـا وأضرارهـا ، إذا هم وقعـوا في براثينها ، متمثلا بقول القائل :ــ

ولقد نصحتك ، إن قبلت نصيحتي
والنصح أغلى ما يباع ويوهب

إن هؤلاء الملاحدة ينكرون وجود الله ، مع قيام الأدلة التي لا تحصى على وجوده ! ولكأني بقائلهم وهـو يخاطب البشرية ، بعد عودتـه من رحلته التي حلق فيها بسفينتـه في أجواز الفضاء البعيد فيقول : لقد

رأيت الأرض تسبح في الفضاء بما عليها من سهول وجبال ، ومحيطات وبحار وأنهار ، وزروع وثمار وانسان وحيوان ، كما رأيت الليل والنهار على ظهر هذه الأرض في وقت واحد ، ورأيت ورأيت .. ولكني لم أر ربكم المزعوم !! أرأيتم معشر الشباب إلى منطق هذا الملاح الفضائي المخبول ؟! كبرت كلمة تخرج من فيه ، إن يقول إلا كذبا ، ولقد خاب وخسر ، عجبا له وأي عجب : عجبا لمن يفج النور في وجهه ولا يرى ، وتقرع أذنه قوارع الحق فلا يسمع ، وتتصارخ النذر من حوله هاتفة به فلا يتنبه ! هل كان وجود هذه الآيات البينات ، في ملكوت الأرض والسماوات ، وعجائب المخلوقات ، هكذا عفوا وبمحض الصدفة دون ان يكون لها موجد ! ومن الذي وضع لهذه الكائنات التي لا يحصيها العد نظامها الدقيق المحكم ، الذي لو شابه أدنى خلل ، لخربت الدنيا في غمضة عين ؟ (**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**) سورة يس/ ٤٠ .

وهذه الأرض التي يراها بأم العين تسبح في الفضاء بأثقالها وأحمالها ، التي يستعصى تقديرها على كل ميزان ، ويعجز عن وصفها كل لسان ، من هو الذي يمسكها أن تميد بنا ؟ ومن أين للشمس هذه الطاقات الحرارية الهائلة ، من أين ؟ بل ومن أين للعين نورها والضياء ، وهو نقطة سوداء ، على سطح الماء ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ، تسقى بماء واحد . ويفضل بعضها على بعض في الأكل ؟ ومن هو مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء ؟! من أين كل هذا ــ أيها الملحد الزائغ ــ إذا لم يكن له رب قادر عظيم ، خلق هذه الكائنات وأبدع في خلقها بما يدهش العقول ويحير الألباب ؟! وما أصدق قول الله سبحانه : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**) الآيات/ ٦ ــ ٨ من سورة ق .

وإنه ليحضرني في هذا المقام ما يقصه علينا رواة السير : من أن الأصمعي مر يوما على أعرابي قائم يصلي لله ، فسأله ــ ماذا تعمل ؟ قال : أصلي لربي ، فقال له الأصمعي : وهل تعرف ربك ؟ فقال الأعرابي : نعم أعرفه ، فقال له : هل رأيته ؟ قال : لا ، لم أره ، فقال له الأصمعي : إذا بم عرفته ؟ فأجابه الأعرابي بكلمات صغيرة ، لكنها كبيرة ، قليلة المبنى ، ولكنها جليلة المعنى ، بسيطة ، ولكنها حكيمة قوية منطقية . قال الأعرابي : البعرة تدل على البعير ، والقدم يدل على المسير ، سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، لاشك تدل على اللطيف الخبير ! أجاب الأعرابي هذه الاجابة الوجدانية المقنعة ، بعد أن نظر إلى السماء

وعظمتهـــا ، والأرض وزينتهـــا ، والجبـــال وشموخهـــا ، والسهـــول وانبساطها ، والبحار وأمواجهـا ، والكواكب وأبراجها ، نظر إلى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة ، نظرة صافيـة مدققـة ، نظـرة المتأمـل المتفكر ، فحكم عقله وأعمل فكره ، ثم أجاب هذه الاجابة ، التي بالغبطة والارتياح ملأتني ، بل أحسب أنها بهرتنـي ، فملـكت علي مشاعـري وأحاسيسي ! فلله أنت يابن الرمال والصحراء ، ما أقوى حجتك ، وما أصدق منطقك ، وما أبعدنظـرك ، فضلا عن صفـاء نفسـك ويقظـة بصيرتك ، ولقد ألقيت على الأصمعي درسا بليغا في الايمان ، ولشد ما كنت رائعا وأنت تنتزع من مرئيات محيطك الذي تعيش فيه ، ما يسميه علماء التربية وسائل الايضاح وهي البعرة والبعير ، والقدم والمسير ! هذا واني حين أوازن بين حالتي الرجلـين : الأعرابي ورائد الفضـاء ، أشعـر بدهشة بالغة تعروني مشوبة بحيرة شديدة : أعرابي بدائي أمـي ، لم يدخل مدرسة ، ولم يتعلم في جامعة ، ويضرب بقدميه في رمال الصحراء ، يتسامى إلى أعلى درجـات اليقـين والايمان ، بفطرته السليمة ، وفكرته الحكيمـة ، ونظرتـه الصائبـة المستقيمـة ، وبصيرتـه الوضيئـة النيرة ، وروحه الشفافة المشرقـة ، وعقله الواسع المتفتح ، بينما الرائد المثقف المستنير ، الذي يحلق بسفينته يغزو الفضاء ، لاستكناه كنهـه ، واستكشاف اسرار العوالم الأخرى وأحوالها ، يتهـاوى إلى أسفـل ، ببصيرته العمياء ، وفكرته الهوجاء ، ونفسه المشوشة المضطربة ، وتعصبه المقيت البغيض ، وروحه السجينة في ظلمات المادة ، حتى يهبط إلى أحط درجات الجحود والكفـران !! شيء غريب حقا ، يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، ووضع معكوس تمامـا ، فان المفروض في رائد الفضـاء أن يكون أشد الناس إيمانا بالله ، حيث يرى من دلائل وجوده ، وبدائع قدرته في ملكوته ، مالا يتسنى لغيره أن يراه ، وليس الأعرابي الذي يفترش الأرض ويلتحف السماء ! ومن ثم رأيتني أناجي ربي وأقول : سبحانك يارب سبحانك ، آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجـودك ، فلك يارب في الخلـق شؤون ! ــ رب ــ إن الهدى هداك ، والويل لمن طمست بصيرته ، فأنكر الشمس في رائعة النهار !

وفي غمرة دهشتي وحيرتي والألم المبرح ، من جحود من كان يفترض فيهم الايمان العميق ، تتحرك دوافع الشعر في نفسي فأقول مخاطبا هذا الملحد الأثيم ، ومن على شاكلته :ــ

جحدتم به ربـا ، وأنتـم صناعته
فأوغلتمو في الظلم ، والكفر غايته !

وفي كل شيء آيـة بعـد آية
تجلى بهـا قدر الالـه ، وقدرته

وليس كمثـل الـروح للمـرء آية
وسر عظيم ، ليس تدري حقيقته !

●●●

فكيف يصح القول أن ليس للورى
إلــه على كل العبــاد إطاعته ؟
وأين هو العقل الرشيد ، أياترى ؟
وأين الضمير الحي ؟ أين ؟ وصحوته !
بصائر عمـى ، والنفـوس مريضة
وران على القلب الجحود ضلالته !
ضلال هو الالحاد ، قد زاغ أهله
عن الحق ، تدعوهم إليـه شريعته
وياويـل من ضل الهدايـة ، ويله
فما غير نـيران الجحيـم نهايته !
ومن رام يوما صنعـة دون صانع
لعمرى مخبول ، وهـذى خرافته !

●●●

ومن عامل الشيطان ، خاب رجاؤه
ومن يتجر في الظلم ، بارت تجارته
ومن عامل الرحمن ، طابت حياته
وراجت بسـوق المؤمنـين بضاعته
ومن عاش في دنياه بالجسم وحده
تهاوى ، وما يدري ، فجمت خسارته !
ومن عاش بالقلب السليم ، وبالنهى
تسامى إلى العليا ، ونارت بصيرته
فيمضي على النهج القويم ، ومن يسر
على منهج التحقيق ، لم تطو رايته !
ويحظـى من المولى الكريـم بحبه
ومن يحبب الرحمن تعظم سعادته !

●●●

ففـكر ، تجـد مولاك في كل حالة
إليـه مرد الأمـر فيهـا ، وحكمته
وبادر إلى صلح مع الله ، مخلصا
فشر البلايا في الحيـاة خصومته !
وإن تعتصم بالله ، تلـق بحصنه
أمانا ، وإيمانا ، وتغشاك رحمته !

أما بعد ــ فقد كان العرب قبل مبعث المصطفى صلى اللـه عليـه وسلم ، على شر ما تكون عليه أمة : فالأنســاب ضائعـــة ، والمظالـــم شائعة ، والأخلاق فاسدة ، والنفوس مريضة بل ميتة ، والجهل فاش ، والفقر عام ، والعداوة مستحكمة ، والحروب قائمة ، والفتن مستيقظة غير نائمة ، والأمن مختل ، والنظام مفقود ، ووأد البنات زين لا شين ، إلى آخر سلسلـة الفسـاد المسـتشري والانحلال ، ونظرة فاحصة إلى ذلك المجتمع الجاهلي ترد الطرف وهـو كليل ! مجتمـع متخلـف فاسـد ، يحكمه ما يشبه شريعـة الغـاب ، فالحكم للقوي ، والاحترام للغني ، والحالة في جملتها فوضى لا ضابط لها ولا رابط ، فضلا عن عبادة الأصنام والأوثان ، من دون الواحد الديان !!

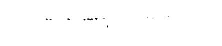
ولقد نشأ محمد عليـه الصـلاة والسلام على الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ، لأنه إن كان يتيمـا من الأبوين فلكي يتولى الله سبحانـه تربيته وتأديبه ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « أدبنـي ربـي فأحسن تأديبي » رواه البخاري .

نشأ عليه الصلاة والسلام في هذه البيئة التي تموج بالمفاسد وهو ذو الخلق العـالي ، فكان طبيعيـا أن يضيق صدره ، وتفيض نفسه بالألم الممض ، وفؤاده بالهم الثقيل ، ولعله من أجل هذا كان يفر من هذه الجهالة الجهلاء ، والضلالة النـكراء ، إلى غار حراء ، يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، يتعبد بالتفكر والتأمل في خلق

الله وبديع آياته ، في ملكوت أرضه وسماواته ، ثم فيما يمكن عمله لانقاذ هذه البشرية ، في حين كان يشعر من أعماقه شعورا يغالبه ، بأن خلاص العالم وإصلاحه سيكون على يديه ، إلى أن هبط الوحي عليه بالحق المبين ، من لدن الحكيم العليم ، فشرح الله بالاسلام صدره ، وأذهب همه وأزال غمه ، ووضع عنه هذا الحمل الثقيل الذي كان ينوء به كاهله ، وامتن عليه بذلك في سورة الشرح بقوله : (**بسم الله الرحمن الرحيم . ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك**) ــ (أي وضعنا عنك ثقلك وحملك الذي أثقل ظهرك ــ **ورفعنا لك ذكرك**) الآيات/١ ــ ٤ .

أجل ــ ما أن جاء الاسلام بصلاحه وإصلاحه ، حتى تبدل الحال غير الحال : أحيا الله بالاسلام موات نفوسهم ، وأصلح فساد أخلاقهم ، وبدل جهلهم علما ، وعسرهم يسرا ، وفقرهم غنى ورخاء ، وعداوتهم محبة واخاء ، وألان قلوبهم بالحب والرحمة ، والعطف والحنان ، فاستتب الأمن ، وساد النظام ، وأصبح هؤلاء الجهلة الغلاظ الجفاة ، الغارقون في رمال الصحراء ، منارة الهدى والرشاد ، وفتحوا الفتوحات ، ومصروا الأمصار ، ومدوا ظلال الحضارة والمدنية والعمران ، مما لايزال العالم المتحضر يتغنى بذكره حتى اليوم ! ولقد كان القرآن الكريم مدرسة كبرى يتعلم فيها المسلمون ، وقد تخرج فيها من سلفنا الصالح رجال عظام غرميامين ، خلصت لهم القيادة والريادة في شتى مجالات الحياة ، فسجل لهم التاريخ بمداد الاعجاب والتقدير أروع الصفحات : كانوا غرة في جبين الزمان ، ودرة في كف الأيام ، تخرجوا في هذه المدرسة العظيمة أسوة تحتذى ، في الصدق في القول ، والاخلاص في العمل ، في العدالة والنزاهة ، في السخاء والوفاء ، في الاحسان والايثار ، في الورع والزهد ، في الشجاعة والهمة ، والمروءة والنجدة ، والحب والرحمة ، والسياسة والحكمة ، والشرف الحقيقي ، والانسانية الكاملة !

تلكم هي الآثار العظيمة ، التي خلفها الاسلام في المسلمين ، تتجلى في أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم ، ألمحنا إليها بصورة إجمالية ، ولو أننا استرسلنا في الحديث عنها ودخلنا في التفصيلات ، لاحتجنا إلى مؤلفات ومجلدات ، وصفوة القول أن عظمة الاسلام وجماله وكماله ، وما انتظمه من مبادئ سامية ، وأخلاق عالية ، وقيم رفيعة ، ترسم النهج القويم ، وتهدي إلى الصراط المستقيم ، الموصل إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، هي أمور تجل عن الوصف والبيان ، فنحن لا نملك إلا أن نقف أمام هذا الاسلام العظيم الخالد ، وقفة أدب واحترام ، وقفة تمعن واستلهام ، نستجلي فيه هذه الروعة وذياك الجلال ، ونقول في خشوع : حسب الاسلام عظمة وخلودا ، أنه الاسلام وكفى !!



حقوق المرأة الخاصة بالأسرة

للاستاذ محمد ابراهيم عامر

الزواج :

الزواج نظام قام بين الرجل والمرأة منذ فجر التاريخ البشري ، وقد تعددت صوره واختلفت .

والتفسير الديني للتاريخ يدل في وضوح على أن الله تبارك وتعالى قد جعل الزواج صلة مشروعة من أيام آدم أبي البشر عليه السلام كما يدل على ذلك قوله تعالى : (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**) . البقرة / ٣٥ .

والزواج في اليهودية فرض على كل اسرائيلي كما تنص على ذلك المادة السادسة عشرة من كتاب « الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للاسرائيليين ».

أما الزواج في الدين المسيحي فالخلاصة التي نخرج بها من النصوص الدينية فيه هو أن الوضع المثالي الأفضل لجميع المسيحيين هو عدم الزواج والانقطاع الى العبادة والرهبنة لكن الزواج يباح خشية الزنا وعدم القدرة على ضبط النفس .

وأما الزواج في الاسلام فهو سنة حث عليها بقوة ، إرضاء للغريزة الجنسية من طريق حلال ونظيف ، وطريقا للحصول على الولد من خلال أسرة يفوح من ثناياها الشرف والفضيلة ، وسبيلا الى الأنس النفسي والسكن .

ولما كان الدين الاسلامي دين الفطرة فانه ينظر الى الزواج على أنه الفطرة الطبيعية وصدق رسول الله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخاري .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » رواه عبد الرزاق في الجامع والله تبارك وتعالى يبرز الزواج في مقام نعمته ورحمته وحكمته إذ يقول : (**ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) الروم / ٢١ .

والزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الانسان واستمرار حياته ، وهو حجر الأساس لقيام الأسرة والمجتمع ، تلك الأسرة التي إن نشأت قوية اللبنات نشأ المجتمع القوي العظيم ، ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالأسرة إذ كان اهتمامه بالزواج .

اختيار الزوج :

جعل الاسلام للمرأة الحق في اختيار زوجها غير مكرهة على قبوله ، وليس لولي أمرها أن يستأثر دونها في هذا ، وإذا زوجت المرأة البالغة الرشيدة نفسها فليس لولي أمرها حق إلغاء هذا الزواج إلا إذا كان زواجها من غير كفء لها إذ في معرة الزوج معرة لأسرة الزوجة ، أما إذا كان الزوج كفئا لها فان العقد يكون نافذا .

والقرآن الكريم يجيز للمرأة أن تباشر عقد زواجها بنفسها ويحذر الرجال من أن يمنعوها هذا الحق .

كما تضمنت الأحاديث الكثيرة وجوب استئذان المرأة عند زواجها وحتمت على الثيب أن تصرح بالأذن ، واكتفت من البكر بالسكوت وهو دليل الرضى مراعاة لحيائها .

الخطبة :

لما كان الزواج من أخطر العقود شأنا فقد لزم له دقة التريث في اختيار كل من الزوجين لشريكه ، وحتى يتوافر الاختيار السليم الحكيم شرع الاسلام الخطبة ، ويحتم الاسلام أن يرى كل من الخطيبين الآخر وأن يجلس إليه في وجود محرم تعرفا على الشكل ، وكما يحرم الخطبة دون رؤية فانه لا يقر اختلاط الخاطبين وذهابهما وحدهما هنا وهناك تحت ستار الخطوبة مما يكون سبيلا للقيل والقال ، ويعود في نهايته بأسوأ العواقب والنتائج ، وقد رد رسول الله المغيرة بن شعبة ليرى خطيبته التي خطبها دون رؤية وقال له : « انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه مسلم،على أن الخطبة وعد بالزواج وليست زواجا .

تعدد الزوجات :

ينبغي أن نعلم أولا أن تعدد الزوجات ليس من صنع الأسلام ، وإنما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات وفي مقدمتها التوراة ، وأقره الأنجيل إلا في حالة واحدة هي حالة الأسقف حيث لا يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات فانه يكتفي بواحدة ، وقد بقي تعدد الزوجات معمولا به في العالم المسيحي حتى حرمته القوانين الوضعية .

وقد كان الزواج في أكثر الظروف لغير عدد محدود ، فلما جاء الاسلام قيده بألا يزيد عن أربع فمن كان لديه أكثر منهن أمسك أربعا وفارق ما عداهن .

على إن الاسلام يرى أن الزواج الأمثل والأوثق هو الزواج بواحدة ، ولم يبح التعدد إلا لضرورات وبشرط ضمان العدل بين الزوجات ، ولم يكن هدف الاسلام ولن يكون من هذا التعدد مجرد تنويع المذاقات فان الله لا يحب الذواقين والذواقات ، ونستطيع أن نجمل حكم التعدد فيما يلي : ــ

أولا : أسباب إنسانية عامة :

١ ــ من المقرر في علم الديمو جرافيا أو علم إحصاء السكان أن الأطفال الذكور أكثر تعرضا للوفاة من الاناث في الطفولة الأولى ، وكذلك الشأن في المراحل التالية للطفولة ، لما ألقت الطبيعة على كاهل الرجال من مسئوليات مما يعرضهم دائما

للأخطار والموت ، يضاف إلى ذلك أن الذكر لا يكون قادرا على الزواج إلا في سن قد تصل إلى الثلاثين لاعتبارات كثيرة ، بينما البنت تكون مستعدة للزواج بمجرد البلوغ ، والوقوف عند الزواج بواحدة يترك طابورا رهيبا من النساء بلا زواج .
٢ ــ في أعقاب الحروب يهبط عدد الرجال عن عدد النساء هبوطا مفزعا فقد تصل النسبة إلى ١ من الرجال مقابل ١٠ من النساء فاذا اقتصر الرجل على زوجة فما مصير الباقيات ؟
٣ ــ هناك ضرورات اقتصادية في بعض البيئات والظروف يحتاج فيها الرجل إلى الأيدي العاملة التي تعاونه ولا يساعد على ذلك إلا التعدد .

ثانيا : أسباب خاصة :

١ ــ قد ينكب الرجل بزوجة عقيم يحبها ولكنه يحب في الوقت نفسه ــ تبعا لغريزة حب البقاء فيه ــ أن يمتد عمره في ذرية ينجبها وتحمل اسمه ، وتقربها عينه ، أليس زواجه بالثانية مع الابقاء على الأولى ــ إن لم تتضرر ــ حفاظا على العشرة أولى من أن يلقي بها طريدة بائسة ؟
٢ ــ قد يصاب المرء بزوجة باردة جنسيا لا تحب المباشرة الزوجية ولا تعفه تبعا لذلك عن الحرام أو كان ممن لا تعفه المرأة الواحدة ، أليس له العذر في الزواج بأخرى تحقق الحكمة المقصودة من الزواج بدلا من الانحراف ؟
أيفضل المنددون بالتعدد نظام الخليلات على الحليلات ؟
إنني أهمس في أذن هؤلاء ــ وإن تعجلت ــ قائلا لهم هل تعلمون ما تمر به المرأة الغربية من مأساة قاسية تهدد كيانها وكيان الأسرة الغربية بل ومستقبل الجيل الجديد ، وهل تسمعون عمن يسمونها « الأم الآنسة » في الغرب وعن آلاف المواليد الذين لا يعرفون لهم آباء .
فلقد ذكرت الاحصائيات الرسمية أنه من بين كل ٩ أطفال ولدوا في لندن سنة ١٩٦٠م واحد لم تتزوج أمه ، فاذا عرفنا أن عدد المواليد في لندن في العام المذكور بلغ ٧٣٦٨ طفلا عرفنا نسبة من لم يعرف لهم أب من بينهم وهي نسبة خطيرة جدا ، كما اثبتت الاحصائيات الأمريكية أن بين كل ٦ أطفال ولدوا في نيويورك عام ١٩٦٧ طفلا غير شرعي وقد كانت النسبة عام ١٩٥٧ واحدا من كل ١٥ طفلا ، وهذا يؤكد التطور الخطير نحو الخطيئة واذا عدنا إلى تعدد الزوجات والذي أباحه عند الضرورة ووضعنا تحت أعيننا دعوى القائلين بأن التعدد ضار بالأنثى نلمس عدم سلامة هذه الدعوى ، إذ أن في التعدد إنقاذ الأنثى من التسكع والتردي ، بالاضافة إلى سد الثغرات الأخرى التي ذكرناها ، ومن النقص عند من يقيم عملية ما ألا يذكر محاسنها بجوار مساوئها ثم يحكم .
ولو أن كل مسلم عدد زوجاته نفذ ما أمر الله به من العدل في ذلك السبيل ، وقامت كل زوجة منهن بما أمر الله لاستقامت الأسر واستقام المجتمع ، ولما كان ما

نعده ، عيبا على المجتمع وليس فيه .
وأهمس في أذن الصائحات هجوما على التعدد أيمكن للنساء أن يتفقن جميعا على عدم التزوج بمن هو متزوج ؟ وإذا قبلت الأنثى منكن الزواج بمتزوج فهل العيب فيه أم فيكن ؟ وهل كانت هذه ستتزوجه إن وجدت غيره أفضل منه ؟
اللهم أهدنا جميعا سواء السبيل .

الكفاءة الزوجية

من المبادىء التي تكفل دعم الأسرة في الاسلام الكفاءة الزوجية ، وهي أن يكون الزوج أهلا وكفئا للزوجة في موقعها الاجتماعي والأدبي ومن الناحية الثقافية والمالية والأسرية ، وفي ذلك حرص منه على كرامة المرأة وإعلاء لشأنها .

وفي الوقت الذي يشترط الاسلام في الزوج ألا يقل عن مركز الزوجة ووضعها على ما ذكرنا فانه يجعل كل أنثى كفئا للرجل مهما كان وضعها ، فالكفاءة تطلب من جانب الرجل لا من جانب النساء ، ولا يعير الرجل بزوجة تقل عنه ، ولكن تعير الزوجة برجل يقل عنها ، وفي ذلك ما فيه من إعلاء قدر المرأة وتكريمها .

المهر :

وهو عطاء من الزوج لزوجته ، وقد أمرت سورة النساء بأعطاء الزوجات مهورهن التي أطلق عليها « نحلة » فهي ليست أجرا ولا ثمنا ، وإنما هي عطاء يوثق المحبة ، ويربط القلوب ، ويديم العشرة .

والدليل على وجوب المهر الكتاب والسنة والاجماع .
وأقله شرعا عشرة دراهم فضة وقت العقد من أي نوع من أنواع المال ، ولا حد لأكثر المهر ، وإن كان من الخير عدم المغالاة لما فيه من إعراض الشباب عن الزواج ، وتعجيزه عن القدرة عليه ، والاغراق في الدين وسوء الحال فأيسرهن مهرا أكثرهن بركة .

والمهر حق خالص للزوجة وحدها تتصرف فيه كما تتصرف في سائر أموالها ، ولا تبرأ منه ذمة الزوج إلا بدفعه أو إبرائها له .

وللزوجة قبض مهرها بيدها وليس عليها أن تتجهز به أو بشيء منه لأنه مقابل لتمليك الزوج حق المتعة بها ، وعليه بعدئذ تأثيث منزل الزوجية لأن ذلك يدخل ضمن النفقة الزوجية .

النفقة :

أوجب الاسلام للزوجة ــ وإن كانت غنية ــ على زوجها نفقتها ، وهي ما تحتاج إليه لمعيشتها من طعام وشراب وكسوة ومسكن وفرش وخدمة بحسب المتعارف بين الناس .

ويلزم الزوج بالانفاق على زوجته كنص الكتاب والسنة ، والنفقة واجبة للزوجة من

حين العقد الصحيح فاذا امتنع الزوج عن **الانفاق كان للزوجة أن تطلب** أمام القاضي تطليقها لعدم الانفاق . وأوجب الاسلام للمرأة إذا ما طلقت نفقة العدة كما أوجب لها « المتعة » وهي ما يبذله الرجل لها بعد طلاقها غير نفقة العدة مما تحفظ به نفسها وكيانها قال تعالى : **(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين)** البقرة / ٢٤١ .

حسن المعاشرة :

إن حسن المعاشرة ــ وهو أمر أكد عليه الاسلام ــ لا يطالب به الرجل وحده ، ولا المرأة وحدها بل هو قدر مشترك بينهما ، يطالب به كل منهما .

إن كلمة رقيقة ، أو دعابة مستملحة ، أو بسمة حانية ، أو هدية في مناسبة ، لها أثر السحر في تدعيم الروابط الزوجية ، وإن بدت للبعض أمورا تافهة .

وإذا كنا نرى بعض الأزواج يرى قوامته في البيت فرض هيمنته بالتسلط والأوامر والقهر والتهديد والأيذاء ، ونرى البعض الآخر يترك لزوجته الحبل على الغارب فان الاسلام لا يريد لشخصية الزوج أيا من الوضعين ، إنما يرى أن تكون قوامة البيت بالرجولة المهابة والمحبة المذابة معا .

وقد حفل القرآن والسنة بما رسم من وجوب حسن العشرة للزوجة ، وبما يضمن سعادة الأسرة وهناءتها .

حقوق الزوجة :

قرر الاسلام للزوجة ــ بعد ضياعها عبر قرون طويلة قبله ــ حقوقا على زوجها تتضح فيما يلي : ــ

١ ــ رضا الزوجة عن زوجها عند العقد .

٢ ــ حسن المعاشرة على التفصيل الذي ذكرنا .

٣ ــ حق المداعبة والملاطفة وأخذها على فطرتها كما خلقها الله لا كما يصور خياله .

٤ ــ أن يكون الزوج معتدل الغيرة على زوجته فلا يأخذها بشك أو ظن ولا يتجسس عليها أو يتتبع عثراتها .

٥ ــ النفقة في اعتدال **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها)** الطلاق /٧ .

٦ ــ القسمة العادلة بين زوجاته .

٧ ــ الاعفاف بالاشباع الجنسي للزوجة ، وله به صدقة .

٨ ــ الرعاية الدينية وحسن التوجيه من زوجها .

حقوق الزوج :

وإذا كان كل حق يقابله واجب فان للزوج على زوجته الحقوق الآتية : —

١ ــ أن تطيع زوجها فيما يأمرها به سرا وجهرا ــ ما لم يكن في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ــ وأن تعرف له قوامة البيت بحقه ، ويأتي في قمة هذه الطاعة طاعته كلما دعاها إلى فراشه .

٢ ــ عدم الخروج من البيت إلا باذن الزوج .

٣ ــ تربية الأولاد تربية ترضي الله ورسوله فالأم هي معهد التربية الذي يتربى فيه الطفل ، وإذا قيل إن وراء كل عظيم امرأة فتلك المرأة أكثر ما تكون هي الأم .

ومما يؤسف له أن المنظمات النسائية اليهودية تقوم بدور تحبيب الطفل في دينه ، وتعويده تلاوة التوراة صباح مساء بينما كثير من الأمهات المسلمات لا يحسن تلاوة القرآن !

٤ ــ القناعة والحرص على مال الزوج فلا تطلب منه إلا ما تحس الحاجة إليه ولا تعطي من ماله إلا باذنه .

٥ ــ الخدمة في الدار وإدارة شئون البيت ورعاية متطلباته .

٦ ــ التزين لزوجها .

٧ ــ النظافة فلا تقع عينه منها على قبيح ، ولا يشم منها إلا أطيب ريح .

٨ ــ حسن الخلق . فانه إذا ذهبت محاسن الخلقة بتوالي الأعوام ، فان محاسن الخلق تبقى على الدوام .

٩ ــ ترضية الزوج عند الغضب .

١٠ ــ حسن معاشرة أهل الزوج .

١١ ــ احترام مشاعر الزوج وشكر صنيعه والوفاء له .

١٢ ــ العفة والأمانة في شرفها وعرضها وحتى في نظرتها وزيها .

١٣ ــ الاحداد على زوجها إذا مات مدة لا تزيد على أربعة أشهر وعشرة أيام ، فتلزم بيت الزوجية هذه المدة ، لا تنتقل حتى إلى أهلها ، وتتجنب الطيب والزينة فيها .

إنه لو اتقى كل من الزوجين الله وأدى ما عليه من حقوق لزوجه لوجدت الأسرة السعيدة الصالحة بحق ، ولوجد المجتمع المؤمن القوي الذي يهدف إليه الاسلام فهل يعود المسلمون الى إسلامهم ؟

الطلاق

الحياة الزوجية جزء من الحياة ، وشأنها شأن المخلوقات فيها ، لا تخلو من أن تهب على سمائها الصافية أعاصير تبدل صفوها ، وتقلب هدوءها ، وتعكر صفاءها ، وهنا يختلف زوج عن زوج ، وزوجة عن زوجة ، فاذا اعتصم الزوج أو

الزوجة أو كلاهما ، بالحكمة وضبط النفس مرت العاصفة في الغالب بسلام ، وعاد للبيت هدوؤه وصفاؤه ، وإذا لم تكن الحكمة وضبط النفس كان الشقاق ... وكان الطلاق ... فكان الفراق ! وهو خاتمة يبغضها الله وينفر منها الاسلام ويقول عنه الرسول : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواه ابو داود والحاكم .

وقد رسم الاسلام للأسرة في مثل هذه الحال مناهج الحكمة وضبط النفس ، بما لو أخذ كل من الزوجين نفسه بها أو أخذهم بها الحاكم لقلت حوادث الطلاق ، واستقرت الحياة الزوجية على قرار مكين .

وإذا كانت ريح الخلاف قد هبت من قبل الزوجة وامتنعت على زوجها فهي ناشز وإذا هبت من قبله هو وامتنع عليها فهو ناشز وإذا هبت من قبلهما معا فهو الشقاق .

وقد جعل الاسلام أساس الحياة الزوجية المودة والرحمة ، فاذا اهتز كيان الأسرة بخلاف فان الاسلام يبادر بوضع علاج متدرج يحاول به رأب الصدع وإزالة السحب وإعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية .

ففي حالة نشوز المرأة رسم الاسلام سلما تدريجيا للعلاج **(فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن)** النساء / ٣٤ .

أولى الدرجات الثلاث عظة بالحسنى والرفق واللين فعسى أن يلين القلب أو يرجع العقل ويذهب الشيطان .

ثانيهما ـ إذا لم يجد الوعظ ـ هجر في المضاجع يكون الزوج به قريبا من زوجته بعيدا عنها في الوقت ذاته ، تؤمل من قربه إطفاء لهيبها الجنسي وتعود بخفي حنين ، وفي ذلك من الايلام النفسي ما يرد الناشزة إلى رشدها إن كان لديها بقية إحساس فما يؤلم صاحبة الحس أكثر من ذلك ، هجر في المضاجع لا هجر للمضاجع .

وثالثها ـ إذا لم ينفع الوعظ ولا الهجر المطلوب ـ ضرب ولكنه غير مبرح ، إنها إذ ذاك متبلدة الحس أقرب ما تكون إلى الحيوان وهذا النوع لا يجدي فيه غير الضرب الذي حدده الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا تضرب الوجه ولا تقبح » رواه ابو داود وأحمد .

وقد انتهز أعداء الاسلام فكرة وجوب الضرب في تشريع التأديب في الاسلام ، فراحوا يولولون ويتباكون يا للقسوة في التشريع ولكن لمرض في نفوسهم أو جهل في معرفتهم .

وردنا على ذلك ينحصر في ثلاث نقاط : ـ

١ ـ ما وصى بالزوجة دين قدر ما وصى الاسلام قرآنا وسنة .

قال تعالى : **(وعاشروهن بالمعروف)** النساء / ١٩ . وقوله : **(فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف)** البقرة / ٢٣١ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « استوصوا بالنساء خيرا » رواه البخاري .

٢ ـ إن إباحة الضرب تخضع لظروف الزمان والمكان فلا يستخدم هذا السلاح إلا

حيث يرجى منه خير .
٣ ـ إن بعض علماء النفس الأوروبيين يتحدثون عن إحساس بعض النساء تجاه الضرب بما يؤيده علاجا في بعض الأحيان ، ويرون أن هذه غريزة شائعة بين النساء وإن لم يعرفنها ، ومن أجلها اشتهرن باحتمال الألم أكثر من الرجل ، وأن الزوجة من هذا النوع تزداد إعجابا بزوجها كلما ضربها وقسا عليها ، ولا شيء يحزن بعض النساء أكثر من التزوج برجل رقيق الحاشية دائما .
وقريب من هذا الاتجاه رأي للأستاذ محمد زكي عبد القادر يقول فيه : « **المرأة تحب الرجل العصى تحب أن تصطدم إرادتها بارادته ، تحب الصراع للظفر تأكيدا لسلطانها ، وتحب أكثر من كل شيء الهزيمة أمام إرادته ... ولكنها تغضب ، تغضب وتملأ الدنيا صياحا ، وفي قرارة نفسها حلاوة الضعف أمام قوة الرجل** » .
أما في حالة نشوز الرجل فان الاسلام قد أمر الأنثى هنا أن تستخدم كل ذكائها وحيلها ــ وما اكثرها ــ لترضيته واجتذابه وإزالة أسباب نفوره أو نشوزه وليس ذلك بكثير على من قال فيهن خالقهن : (**إن كيدكن عظيم**) يوسف /٢٨ فان لم تصل إلى ما تريد فمحاولة الصلح معه : قال تعالى : (**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير**) النساء /١٢٨ فاذا اشتد الخلاف بين الزوجين ولم تجد كل الوسائل الداخلية « **فليكن المجلس العائلي** » ولنستمع إلى علاج الخبير العليم حيث يقول : (**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا**) النساء /٣٥ .
ولنعش برهة في ظلال الآية نستشف منها دقائق الحكمة وفلسفة الاسلام في معالجة تلك الحالة الخطيرة لنرى : ــ
١ ــ أن الاسلام لا ينتظر حتى وقوع الطلاق بل إن مجرد الخوف من وقوعه يفرض قيام المجلس العائلي فورا للتوفيق بينهما .
٢ ــ إنه يقول : (**فابعثوا حكما**) وللحكم صفات فهو حكم وقاض فليكن العدل منهما والاحسان .
٣ ــ ثم هو (**حكما من أهله**) فلا بد أن يستشعر مصلحته العليا وهي في بقاء الأسرة ما لم تكن الخطورة لا تحتمل ، (**وحكما من أهلها**) يراعى نفس الظروف ، وكون الحكمين من أهلهما أدعى إلى إفصاح كلا الزوجين لهما عما في نفسيهما ثقة وأملا .
٤ ــ ثم هو يستحث الصلح بقوله : (**يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما**) وقدجلد عمر حكمين لم يقيما الصلح بين الزوجين تصورا لعدم حرصهما على ذلك مستدلا بهذه الآية .
٥ ــ ويأتي ختام الله منبها مذكرا مخوفا إذ يقول : (**إن الله كان عليما خبيرا**)

يقول هذه الحقيقة للزوج وللزوجة وللحكمين فليستحضر كل منهم هذه الحقيقة في مجلس الصلح فلا يزيد ولا ينقص ولا يفتات ولا يتحيف ولا يحيد عن سواء السبيل فالله عليم وخبير حتى بما توسوس به النفوس .
فاذا عجز علاج الزوجين والحكمين من بعد ذلك كله فليس هناك من علاج سوى الطلاق الذي لايقره الاسلام إلا عملية جراحية اضطرارية وعلى أنه العلاج الوحيد ولو كان مرا فان إبقاء الزوجية بهذه الصورة أشد مرارة (**وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته**) النساء / ١٣٠ إذ أن الحكم ببقاء العشرة وتحريم الطلاق في مثل هذه الحال حكم على الزوجين وهو حكم ظالم لكليهما .
وهنا مسألة جديرة بالنظر وهي أن الاسلام في عرض حالات النشوز ومحاولات الاصلاح لم يذكر كلمة « **الطلاق** » لا تصريحا ولا تلميحا وتراه يذكر جانب الصلح ويسكت عن الجانب الآخر وينأى عن لمسه فيقول : (**إن يريدا إصلاحا**) ولم يقل في الغالب « وإن لم يريدا إصلاحا فالطلاق » وهذا يؤكد حرص الاسلام على جانب الوفاق والتوفيق .
كيف لا وهو الذي دعا إلى صبر الزوج على ما يكره من زوجته ، وضمن له بصبره الخير الكثير والثواب العظيم قال تعالى : (**فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ .

حكمة استقلال الزوج بالطلاق :

ليس في إسناد القرآن والسنة الطلاق للرجل ـ وهو حقه الأصلي ـ أي غبن للمرأة بل هو من باب المحافظة عليها والتقديس للرابطة الزوجية ، إذ أن الرجل هو الذي أوجب عليه الشارع المهر ـ وتأثيث منزل الزوجية والمسكن والنفقة في الوقت الذي أعفى منها المرأة ، فكان طبيعيا وعليه وحده الغرم كله أن يكون له أمر الطلاق لا إليها ، ثم هو أضبط لمشاعره من المرأة على أنه بوقوع الطلاق تلحقه مسئوليات أخرى من مؤخر صداق ونفقة عدة وأجرة رضاعة وحضانة ، ومن مهر جديد ونفقات أخرى إذا هو تزوج ثانية فهو يفكر ألف مرة قبل أن يوقع الطلاق .
ولو جعل الطلاق بيد المرأة لاضطربت الحياة الزوجية وانهارت الأسر لرقة عاطفتها وسرعة انفعالها وانقيادها للغضب من أتفه الأسباب .
وإذا كان الشارع قد جعل عقد الزواج بيد الرجل والمرأة ـ وفيه تقبل المرأة أن يتولى الرجل وحده إيقاع الطلاق في الحدود التي شرعها الاسلام ـ فان الشارع لم يجعل حق الطلاق مشتركا بين الرجل والمرأة لأن الطلاق إنما شرع كعلاج لاضطراب الحياة الزوجية ، فلو جعل أمر الطلاق إليهما معا لما وصلا إلى اتفاق غالبا ، فقد يريده أحدهما ولا يريده الآخر فيكون الكيد والجحيم ، ثم إنهما غير متساويين في المسئولية .

حق المرأة في الطلاق :

على أن الاسلام لم يهمل حق المرأة في الطلاق فجعل المنع على الاطلاق وإنما أجازه لها في أكثر من صورة : —

١ — جعل لها الحق في أن تشترط لنفسها عند العقد أن تكون العصمة بيدها وهذا لا يسلب الزوج حقه في إيقاع الطلاق .

٢ — قد يشذ الرجل ويمعن في إساءته للمرأة ، فلا يطلقها ولا يحسن عشرتها ، وهنا أباح لها الشارع ان تفتدي نفسها منه بمال تقدمه إليه ، قال تعالى : **(فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** البقرة / ٢٢٩ . وقد يتم تنازل المرأة للزوج عن مؤخر صداقها ونفقة العدة أو بعضها ويسمى هذا **طلاقا على الابراء** أو باعطائه شيئا من المال يتراضيان عليه ويسمى هذا **بالخلع** .

وتكون المرأة بهما بائنا تملك أمر نفسها ، وليس للرجل حق مراجعتها إلا بعقد جديد باتفاق آخر وللمرأة إذن أن تطلب الطلاق لمجرد أنها تبغض الزوج ، وفي ذلك قول الرسول لثابت بن قيس في موقف مماثل : « أقبل الحديقة وطلقها تطليقا » وقد كانت الحديقة مهرها الأصلي وقبلت أن تردها .

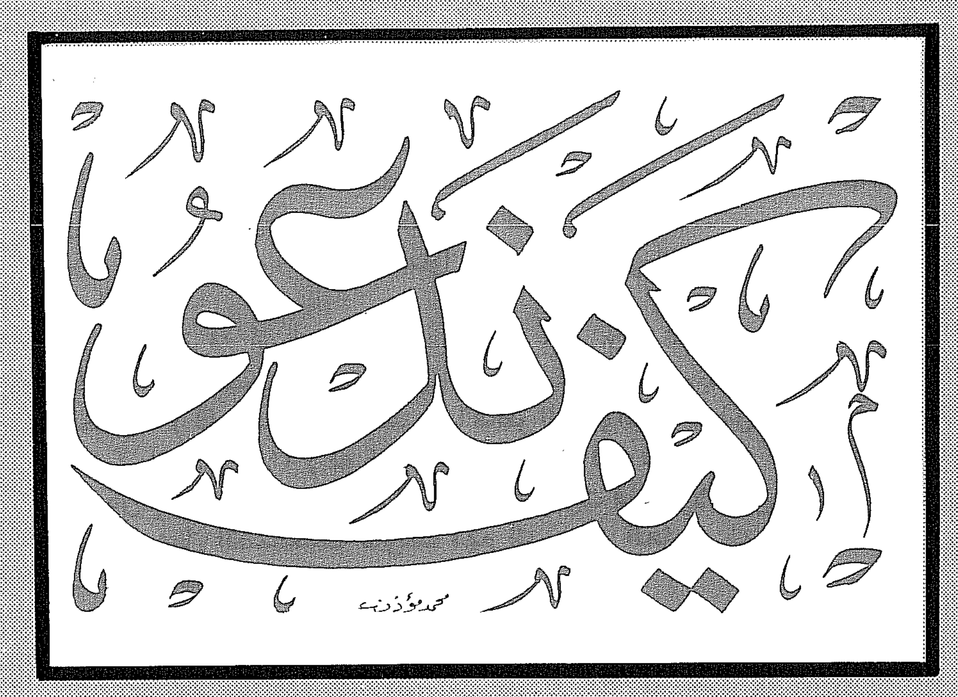
٣ — جعل الشارع للمرأة أن ترفع أمرها إلى القاضي لايقاع الطلاق من زوجها إذا أثبتت وقوع ضرر عليها يسوغ تطليقها كاعسار الزوج أو لعيب فيه كالعنة والمرض أو لايقاع الضرر أو لغيبة الزوج بلا عذر مقبول أو لحبسه .

المتعة :

وهي ما يدفعه الرجل لمطلقته بعد الفرقة بينهما ، وأساسها ما ورد في القرآن الكريم من قوله : **(لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين)** البقرة /٢٣٦ وقوله : **(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين)** البقرة /٢٤١ وفي ذلك ما يدل على حرص الاسلام وعنايته بتكريم المرأة حتى عند تطليقها وترضيتها وتعويضها وترك لمسة معروف في نهاية هذه العلاقة .

« وبعد »

فهل يستطيع أن ينكر هذا العطاء الزاخر من الاسلام للمرأة — وهو سجل حافل وخالد — إلا مكابر أو جاحد ؟ وهل يستطيع أحد ذكرا كان أم أنثى على دين أو غير دين أن يدلنا على أي نظام قام حتى اليوم استطاع أن يعطي المرأة مثل عطاء الاسلام ؟ وهل بعد عطاء الله عطاء ؟ اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . اللهم آمين .



للدكتور علي جريشة

تمهيد :

ليست الدعوة ... علما يلقن ، أو فنا يدرس ، بقدر ما هي موهبة وفضل يؤتيه الله من يشاء .

وان كان من كسب للانسان فهو أولا في خلقه ، فالتحلي بخلق الاسلام هو أكبر دعوة يسير بها المسلم بين الناس ، هي التي تفتح قلوبهم وعقولهم على هذا النور العظيم .

ثم هي ثانيا في احساسه بمسئوليته تجاه الدعوة ... انها ليست حكرا على صنف من الناس وانما الأمة كلها شاهدة على الناس بما دعتهم اليه بسلوكها وايمانها وعملها (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) ،البقرة/١٤٣ (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ .

تتوقف طرق الدعوة على عدة أمور :

١ ــ من ندعو :

فأسلوب الدعوة الى الشباب غير أسلوب الدعوة الى الشيوخ وأسلوب الدعوة الى النساء غير أسلوب الدعوة الى الرجال ، وأسلوب الدعوة الى الأطفال غير أسلوب الدعوة الى الكبار ، وأسلوب الدعوة الى المؤمنين غير أسلوب الدعوة لغير المؤمنين

ويكفي أن نأخذ نموذجا منه صلى الله عليه وسلم .... حين أتاه شاب يقول له : « يا رسول الله ائذن لي في الزنى ! فكان رده صلى الله عليه وسلم : أترضاه لأمك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لأختك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لزوجك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لابنتك ؟ قال : لا ، قال فهكذا كل النساء أمهات أو أخوات أو زوجات أو بنات ، ثم وضع كفه على قلبه ودعا له ...
فصرف الله عنه السوء . وكان تساؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دعوة لترك الزنا .
ــ وفي القرآن أساليب كثيرة لدعوة غير المؤمنين . تستجيش فيهم فطرتهم السليمة ... وتستجيش فيهم عقولهم الصحيحة ... وتستجيش فيهم القيم والمثل والأخلاق ! (**قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم**) الانعام / ١٤ (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) الانبياء / ٢٢ (**انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى**) طه / ٧٤ ، ٧٥

٢ ــ أين ندعو :

مكان الدعوة كذلك يكيف طريقها ...
فالدعوة في بلاد الاسلام ، ليست كالدعوة في ديار الكفر .
والدعوة في بلاد فيها حرية ، ليست كالدعوة في بلاد تكمم فيها الأفواه .
والدعوة في مكان انتشر فيه العلم ، ليست كالدعوة في مكان خيم عليه الجهل ... والقصد بالعلم والجهل ، العلم بالدين والجهل به ، ولو بلغ أصحابه أرفع الشهادات في تخصصات أخرى ... بيد أن ارتفاع المستوى الفكري بصفة عامة يحدد كذلك أسلوب الدعوة .

٣ ــ الام ندعو :

فأسلوب الدعوة الى العقيدة ... يغاير أسلوب الدعوة الى المعاملات ... وقد قدمنا الحديث عن هذا العنصر الأخير .
هذه العناصر ... الى جوار غيرها . كالظروف السائدة ، وكالزمان القائم ... الى غير ذلك ... تحدد أسلوب الدعوة ... وهي بعد ذلك :

أ ــ أسلوب السلوك والأخلاق :

هو أول الأساليب وأنجعها وأنجحها في الدعوة وهو أعم الأساليب كذلك ... من ناحية من يخاطب ، ومن يخاطب ، فهو خطاب ــ في الواقع ــ من الكافة الى الكافة ...
كل انسان يستطيع هذا الخطاب ، وكل انسان يفهم هذا الخطاب ... وبهذا الخطاب فتحت القلوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولنأخذ مثلا أول : حين داهم رجل يدعى (دهثور) رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو نائم ، فرفع عليه السيف ، وقال له : من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله . فسقط السيف ، فأمسك به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : ومن يمنعك مني ؟.. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم . صفح عنه ... فدخل الاسلام .

ولنأخذ مثلا ثانيا : يوم فتح مكة ... حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين آذوه على مدى عشرين عاما : ما تظنون أني فاعل بكم ... قالوا أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !

ولنأخذ مثلا ثالثا : سلوك يوسف عليه السلام مع اخوته ... الذين ألقوا به في الجب قال : **(لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)** يوسف / ٩٢

ثم لنعلم بعد ذلك :

أنه بهذا السلوك ... فتحت على المسلمين مساحات من الأرض أكثر مما فتحت بحد السيف ــ ان السيف يطيح برءوس الطغاة ... أما السلوك والأخلاق فتفتح قلوب الناس ...!

واذا كانت الأخلاق والسلوك أسلوبا عاما يخاطب به الكافة الكافة ... فهي أسلوب أخص وألزم لمن اتخذ الدعوة مهنة له ومهمة ، وبغيره يغدو أي أسلوب آخر سيفا مغلولا ، وسلاحا مغمدا لا قيمة له !

وبذا ننصح الدعاة أن يكون لهم : من الفهم الدقيق ، والايمان العميق ، والخلق الوثيق ، ما يفتحون به القلوب !

ب ــ المواقف والمثل :

لعل هذه تدخل في الأولى .. لكنها أخص ... فلا يستطيعها الا أولو العزم ... ونحن نندب الدعاة أن يأخذوا دائما بالعزيمة ، فليس لمن كان في موضع القدوة أن يترخص ...

ولذلك لم يترخص الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد به أذى الكفار ، ودعاه عمه أن يلين ، لكنه قال : والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ..

ولم يترخص أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين دعاه الحكام أن يقول ان القرآن مخلوق بل احتمل الأذى والعذاب .

ولم يترخص غيرهم ممن احتملوا العذاب ، في سبيل كلمة الحق ... لأنهم علموا أن ثباتهم يبقيهم مشاعل على الطريق تضيء لمن خلفهم وهم كثير ، وان لينهم مع الباطل وترخصهم يطفيء ضوءهم فلا يعودون صالحين لأن يضيئوا لمن خلفهم ... وكم من الناس أطفأ بترخصه نوره الذي آتاه الله ... وكم من الناس انزلق أكثر من ذلك ليصح فيه قول الله : **(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب)** الأعراف ١٧٥ ــ ١٧٦

ولئن كانت الأخلاق سبيلا ناجحا للدعوة ، فالمواقف والمثل سبيل أنجح !

ولننظر من التاريخ القديم ... غلام كان موقفه سببا في ايمان أمة .. حين قتل العالم (الراهب) وقتل (جليس الملك) ، وجرب مع الغلام وسيلتان للقتل نجا منهما ، فدعا الملك الى أن يربطه في جذع نخلة ويجمع شعبه كله في صعيد واحد ثم يقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك المتأله ، وأصاب السهم صدغ الغلام فسقط شهيدا ، فقال الناس جميعا : آمنا بالله رب الغلام ! ولم يكن موقف الغلام دافعا الى ايمان أمته فحسب ، بل دافعا الى الاصرار على هذا الايمان ، حين شق لها الملك الأخاديد (الترع الصغيرة) وأضرمها بالنيران ، وخير شعبه بين الرجوع عن دينه أو الالقاء في النار ، ففضلوا جميعا أن يلقوا بالنيران عن أن يرجعوا عن الحق الذي آمنوا به ، وخلد القرآن قصتهم في سورة البروج حيث قال تعالى : **(قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)** البروج / ٤ ــ ٨

وفي التاريخ الحديث أمثلة كثيرة لمن استشهدوا في سبيل الدعوة . متأسين بمواقف المؤمنين السابقين وسلف الامة الصالحين .

جـ ــ الخطابة ، والمحاضرة ، والدرس :

وهي كلها وسائل كلامية ، والى جوارها ... المقال ، والقصة ، والمسرحية ، والكاريكاتير ، والفيلم ، وهي وسائل كتابة ، وتمثيلية .

ولكل واحد من هذه أصول ، ولكن يجمعها في مجال الدعوة :

أ ــ ابتغاء وجه الله :

لأنه بذلك ينقلب العمل عبادة يتقبلها الله ، ومن أرضى الله بعمله ، أرضى الله به الناس ، ومن أرضى الناس بعمله وكله الله الى الناس !

ب ــ الثقة بالله :

وهي أن تشيع الثقة والطمأنينة والثبات فتكون عامل نجاح للخطيب ، والمحاضر ، والكاتب ، أو الممثل ... ما دام في نطاق الاسلام !

يؤكدها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة « أنا عند حسن ظن عبدي بي » .

جـ ــ اتقاء ما يغضب الله :

لفظا أو معنى ، فالمؤمن ليس بفحاش ولا لعان ولا سباب ، وهو ما يعلمنا اياه القرآن :

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الانعام / ١٠٨ **(قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون . قل يجمع**

بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) سبأ / ٢٥ ـ ٢٦

د ـ الصدق :

فالمؤمن يفطر على كل خلق الا الكذب والخيانة ، وحديث الصدق من القلب يصل الى القلوب ، ولو كان بعيدا عن الطلاء والزخرف ، فماذا لو كان الشكل متقنا الى جوار صدق الموضوع !

هـ ـ الاحساس بالأمانة :

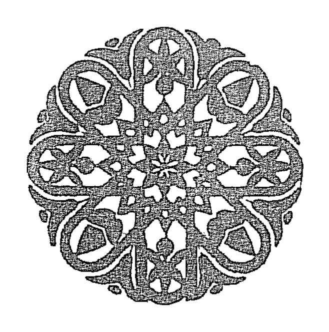
فالداعية حامل أمانة ... يبذل في سبيلها ، ويدافع عنها ... ولو أدى به الوقت أن يبذل في سبيلها الروح فانه يفعل ... فوضعه مغاير لمن يؤدي وظيفة حسبما اتفق !

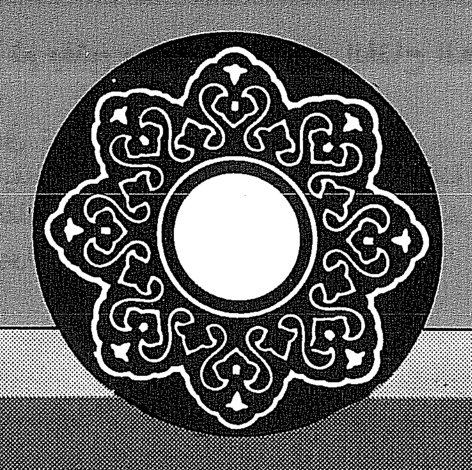
بقي ان نقول ان الأساليب تتغاير تبعا للزمان ، في القديم كانت الخطابة هي الوسيلة الأولى ، واليوم تقدمتها وسائل ... أخطرها ما يقدم على الشاشة أو المسرح لأنه يترك تأثيرا عميقا في نفوس الحاضرين ، بما يستحوذ على كل الحواس : سمعا ، وبصرا ، وفؤادا ... والى جوار ذلك نقول ...

أنه لا أثر يذكر ـ على المستوى العام ـ لكل وسائل الدعوة ، اذا بقيت وسائل الاعلام في أيدي الذين يعملون على اشاعة الانحلال بين الشعوب خاصة الاسلامية ، ليسهل على الصهيونية أن تحقق حلمها التلمودي في أن تركب الجنس الاسلامي كما امتطت من قبل الجنس النصراني وسخرته لأغراضها !

ينبغي أن تنتقل وسائل الاعلام الى أيدي الدعاة المخلصين ليسخروها في خدمة دعوة الاسلام « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) الاحزاب / ٦٠ ـ ٦٢ .





الدعوة الإسلامية والانطلاقة العظمى

للاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي

يقول المولى عز وجل في محكم كتابه العزيز : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل/١٢٥ . ويقول جل شأنه : (**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**)فصلت/٣٣ . وقال تعالى ايضا : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة/٣ .

فمن هذا المنطلق القرآني والمنهج الرباني سارت الدعوة الاسلامية والتي هي دعوة الطهارة والبقاء ، دعوة الخلود والنقاء ، دعوة النور والايمان ، دعوة الحق والعدل والمحبة ، دعوة التسامح والمساواة . دعوة الحرية والتقدم والرقي ، دعوة العلم والحضارة والأفكار السامية والمبادئ والغايات النبيلة والقيم الروحية ـ منذ انطلاقتها الأولى من مكة المكرمة وهي تسعى جاهدة . (**وجاهدوا في الله حق جهاده**) الحج/٧٨ ـ لكي تقيم عالما إسلاميا موحدا تسوده هذه المبادئ السامية وذلك لأنها دعوة لكل الأمم والشعوب بأجناسها وألوانها (**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) الحجرات/١٣ .

ومن هنا فان الدعوة الاسلامية تسعى جاهدة لكي تنطوي كل الأمم والشعوب تحت لواء دعوة التوحيد ، وتحت لواء لا اله الا الله محمد رسول الله . وعلى هذا فان الدعوة الاسلامية التي أضاءت للانسانية طريقها ، وهدتها إلى الصراط المستقيم وقادتها الى الطريق الحق المنير ، والتي حمل لواءها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم والذي اختارته العناية الالهية من بين خلق الله قاطبة ، لكي يؤدي الرسالة ، ويبلغ الأمانة ، ولكي تصل تلك الدعوة الى كل شعوب البشرية جمعاء .

والتي آمن بها وهي في المهد أبو بكر الصديق صاحب رسول الله ، ورفيق رحلته وخليفته من بعده ، وعلى بن ابي طالب ، وزوجة المصطفى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد .

وهاجر بها الى المدينة المنورة أربعون شخصا من مكة المكرمة هربا من ظلم الطاغوت والكفر في مكة المكرمة ، وتلبية لنداء المولى عز وجل في الهجرة ولايجاد الأرض الخصبة التي تترعرع فيها دعوة الحق ، واليوم بعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان فان حصاد الدعوة الاسلامية يكاد يقترب من الألف مليون نسمة مسلم ، يعيشون في بقاع الأرض المعمورة .

رجال الدعوة :

لقد خرج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاميذ مدرسته القرآنية يجاهدون في سبيل الدعوة الاسلامية عملا بقوله تعالى : (**هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة**) يوسف/١٠٨ . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » رواه الطبراني . وبهذا استطاع رجال الدعوة الاسلامية أن يتخطوا بهذه الدعوة حدود الجزيرة العربية ، وأن يحطموا كل ما أقامه الأعداء أمامهم من سدود ، ودافعوا عن راية التوحيد ، وقاتلوا وقتلوا ، ودفعوا عن الدعوة الاسلامية كيد الأعداء ، من الفرس والرومان ، وحملوا رسالتهم الخالدة ، ووسعوا حدود دولتهم الفتية ، التي ارتكزت على كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
وأقول : إن هؤلاء المسلمين الأوائل الأقوياء الأشداء بما ملكوا من قوة الايمان وعزيمة الرجال ، استطاعوا ان يقيموا قارة اسلامية ، توسطت قارات العالم القديم ، آسيا وأوروبا وافريقيا ، ولذا ظهرت الى الوجود دولة اسلامية كبرى ، فرضت وجودها بقوة ايمان رجالها ، لا بقوة السيف ، كما حاول أن يبين ذلك رجال الغرب الحاقدين للاسلام ، والكارهين لرسالته الخالدة ، ولقد حافظت هذه الدولة على حدودها بتمسك أهلها بقرآنها الكريم ، فأعز الله جندهم ، ونصرهم على أعدائهم ، بتضامنهم وتعاونهم (**وتعاونوا على البر والتقوى**) المائدة/٢ .
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الترمذي .
ولقد كان الايمان بالله ، وبكتاب الله ، ورسول الله ، هو السلاح القوي الوحيد الذي تسلح به الذين خرجوا يرفعون راية التوحيد ، ويدعون للاسلام ، وخرجوا لا يهابون الموت في سبيل الله ، ولا يطلبون الا النصر ، والاستشهاد ، خرج هؤلاء فمنهم من جاهد ماشيا وسيرا على الأقدام ، ومنهم من يمتطي حماره وحصانه وبغلته ، ولم يكن هدف كل واحد من هؤلاء الا وجه الله ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية كانت في نظر هؤلاء المسلمين الأوائل ، هي دعوة من الله ، وهم يجاهدون من اجل الله ، وفي سبيل الله ، وهم يسعون الى ايصال هذه الدعوة الى الشعوب التي لم تنطو بعد تحت لواء الاسلام ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) آل عمران/١٦٩ .

الايمان أساس الدعوة :

لقد خرج هؤلاء الدعاة الأوائل يدفعهم الحماس الشديد ، والشوق والحنين ، الى ايصال الدعوة الاسلامية الى كل أصقاع الأرض المعمورة ، خرجوا يدعون ويتاجرون فحملوا الاسلام الى اندونيسيا والفلبين وجنوب شرق آسيا ، والى كل بلاد القارة الافريقية السوداء جنوب الصحراء الكبرى ، حتى أنه لم يمض على انتقال محمد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى مائة عام ، إلا وكانت دولة الاسلام ودعوة الحق وطيدة البنيان ، قوية الجانب ، موطدة الجناح .

لقد حققت الدعوة الاسلامية في قرنها الأول الهجري مالم تستطع أن تحققه الدعوة في الثلاثة عشر قرنا الأخرى ، التي هي عمر الدعوة الاسلامية .

لقد خرج هؤلاء الدعاة والأوائل وهم لا يملكون طائرات حربية ، ولا قنابل ذرية ، ولاصواريخ موجهة ، ولا مدافع ثقيلة ، ولا دبابات ومصفحات ، ولا حصون ولا دروع ، ولا استحكامات ولا مدمرات حربية ، وحاملة طائرات ولا غواصات .

ولكن كان سلاحهم الايمان ، والايمان يعلم المرء الكثير والكثير ، يعلمه كيف يقاتل الأعداء ، وكيف يصمد في القتال ، وكيف يتحمل الشدائد ، وكيف يصبر على البلاء ، وكيف يجاهد في ملاقاة الأعداء .

ومن هنا عظمت دولتهم ، واشتد بأسهم ، وتعمق ايمانهم ، وتمسكوا بقرآنهم ، فبلغت الدعوة حدود الصين شرقا ، وسهول فرنسا غربا ، وخط الاستواء جنوبا ، وسهول سيبريا شمالا ، .

وهكذا كان الايمان هو السلاح القوي والفعال ، والمؤثر في انتصار الدعوة الاسلامية في قرنها الأول ، وكان ذلك من عوامل استغراب الغرب ورجاله من قوة المسلمين .

معوقات الدعوة :

لقد كانت الانقسامات التي حدثت في العالم الاسلامي ، وقيام ثلاث خلافات اسلامية « الخلافة العباسية في بغداد ، الخلافة الأموية في الأندلس » الخلافة الفاطمية في القاهرة ، من الأسباب القوية والمباشرة التي حدت من انطلاقة الدعوة الاسلامية وحمايتها ، وتوفير المناخ الملائم للانطلاق بها ، وهكذا أدى هذا الخلاف الى أن ضاعت أرض اسلامية كانت تتوفر بها الحضارة الاسلامية الراقية ، وتكالب الأعداء على الاجهاض على الدعوة الاسلامية ، فكانت الحروب الصليبية التي استطاعت ان تسيطر على بلاد الشام لفترة زمنية تقترب من القرنين ، ولكن الله رد كيد الأعداء في نحورهم ، إذ قيض للأمة الاسلامية احد

رجالها « صلاح الدين الأيوبي » الذي استطاع ان يرفع عن الدعوة الاسلامية الخطر الداهم .

وليس هذا فقط ، ولكن جاءت جحافل المغول والتتار كي تحطم الخلافة العباسية ، كما حطمت الحركة الصليبية الخلافة الأموية في الأندلس ، ولكن قوة الاسلام ، وعظمة الدعوة الاسلامية (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ ، استطاعت أن تحتوي الخطر المغولي والتتاري بالدخول في الاسلام ، ومكن الله لجند الاسلام ، لأنهم جند الله وجند الله هم الغالبون .

وإذا كان الغرب المسيحي الذي شهد عظمة الاسلام ، وقوة اندفاعه ، وحيوية دولته وازدهارها ، في فترة زمنية قصيرة ، قد استطاع أن يقف لها بالمرصاد ، وهي تتخطى جبال البرانس لتتجه بسهول أوروبا وفرنسا ، حيث خرجت كل أوروبا على بكرة أبيها لكي تعيق الدعوة الاسلامية في معركة « بلاط الشهداء » بعد ان كانت الدعوة الاسلامية قد وصلت الى بلدة « سانس » على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوب باريس ، عاصمة فرنسا الحالية ، وفي ذلك يقول أحد كتاب الغرب انه لولا معركة بلاط الشهداء واندحار المسلمين امام ابواب مدينة بوانيه ، لكان القرآن يدرس الآن في جامعات اكسفورد وكمبردج وباريس .

وعلى الرغم من هذا الموقف العدائي الذي اعاق الدعوة الاسلامية من جانب التعصب المسيحي ، الا ان ذلك لم يكف رجالها الذين هالهم عظمة الاسلام فعملوا على السيطرة على العالم الاسلامي بأسره ، فاستطاعوا عن طريق حركة الاستعمار الحديث أن يبسطوا نفوذهم على العالم الاسلامي جميعه .

وهكذا كانت الحركات التنصيرية التي صاحبت حركة الاستعمار الحديث أفدح خطر يتهدد الدعوة الاسلامية ، إذ استطاعات هذه الحركات التنصيرية أن تجد لها رأس قدم في بلاد القارة الافريقية ، وفي شرقنا الاسلامي ، وفي جنوب شرق آسيا ، وفي مناطق كثيرة من العالم ، وذلك للوقوف حجر عثرة أمام اندفاع الدعوة الاسلامية التي استطاعت أن تقتلع جذورها من الأندلس ، ولكن نصر الله قريب ، وغدا ستعود أرض الاسلام من جديد .

وعلى هذا فانه يمكن القول أن كل تلك المعوقات والاخطار التي أعاقت الدعوة الاسلامية ، كانت من الأسباب القوية التي حالت دون وصول راية التوحيد ، واندفاع رجالها الى افاق بعيدة من عالمنا الحديث .

ولكن كلا ، فان كل هذه الأمور سوف تنجلي ، ونحن نستقبل القرن الخامس عشر الهجري ، الذي سوف يكون باذن الله قرن انطلاق الدعوة الاسلامية .

الانطلاقة العظمى :

إن الأمة الاسلامية وقد تخلصت من الاستعمار الغربي ، وبدأت تتجه للوحدة الاسلامية والتقارب بين شعوبها ، وبدأ مظهر التضامن الاسلامي يظهر للعالم

قويا واضحا في شكل العديد من المؤسسات الاسلامية ، رابطة العالم الاسلامي ، المؤتمر الاسلامي ـ بنك التنمية الاسلامي « وغيرها من المؤسسات الأخرى ، فان ذلك يشكل خطوة على طريق انتصار الدعوة الاسلامية ، ولكن ليس هذا فقط ، بل إن الأمة الاسلامية من أقصاها الى أدناها تستقبل عن قريب القرن الخامس عشر الهجري الذي سوف يشهد باذن الله الانطلاقة العظمى ، والحركة الكبرى للدعوة الاسلامية التي بدأت بذورها تنمو في اوربا ، ٢٥ مليون مسلم ، وفي امريكا الشمالية ، ٣ مليون مسلم ، وفي امريكا الجنوبية وفي استراليا وفي افريقيا وغيرها من بقاع الأرض المعمورة .

ومن هنا ، فان الدعوة الاسلامية ومؤسساتها في عالمنا الاسلامي على امتداد اقطاره واختلاف شعوبه مطالبة بوضع الخطط العلمية ، والدراسات الموضوعية للانطلاق بالدعوة الى كل البلاد والقارات المختلفة ، ولمواجهة التحديات البالغة التي تواجهها الدعوة ، وللتغلب على العقبات التي تقف في طريق الانطلاقة العظمى .

وذلك لأن الدعوة الاسلامية في أقطار العالم أجمع سواء البلاد الاسلامية او البلاد التي تعيش فيها جماعات اسلامية ، في امس الحاجة الى رجال اقوياء ومجاهدين ، لكي يستطيعوا ان يبلغوا رسالة الله الى كل خلق الله قاطبة ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية يجب ان يعادلها وجهها الاسلامي القوي والواضح في قرنها الأول الهجري ، والذي استطاع في خلال القرن الأول ان يجد ارضا اسلامية واسعة .

اما الحركات التنصيرية فانها ترصد الأموال الطائلة لاستمرار وتكثيف نشاطها ، وتضع الامكانيات المادية والعلمية والفنية تحت تصرف العاملين في حقل التنصير .

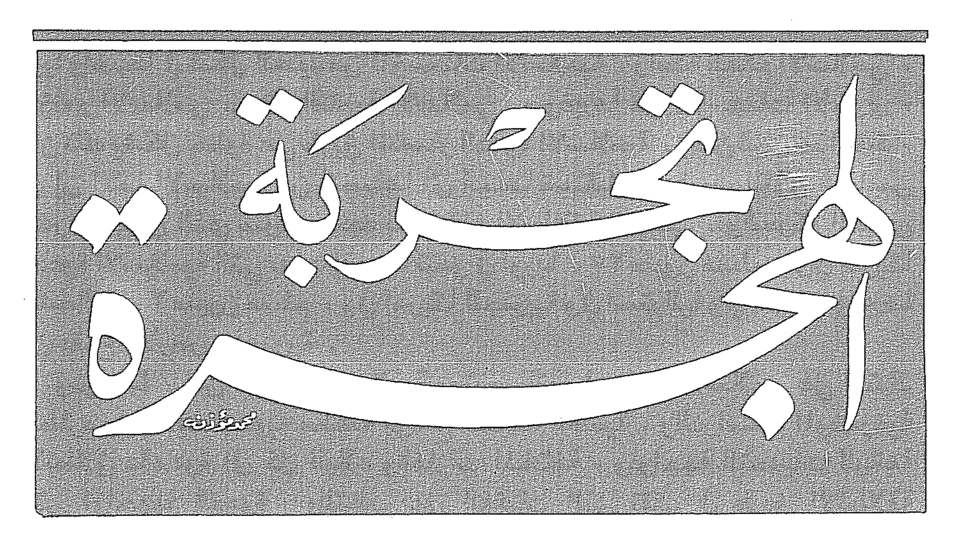
فالأولى بنا نحن أمة الاسلام ، وحملة القرآن ، وأتباع خاتمة الدعوات ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق بالدعوة الاسلامية الى كل بقاع الأرض المعمورة ، وانتشار الدعاة في كل مكان .

وايصال القرآن الكريم الى كل يد تعيش في قارات العالم المختلفة .

إن القرن الخامس عشر الهجري يجب ان يكون قرن الدعوة الاسلامية ، وان تكون الآيات الكريمة (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران/ ١٩ . (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/ ٨٥ . (**يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون**) البقرة/ ١٣٢ . (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/ ٣ .

فمن منطلق هذه الآيات الكريمات يجب أن تنطلق الدعوة الاسلامية وان تدعو للاسلام لكي لا يكون على وجه المسكونة دين غير دين الاسلام .

(**وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/ ١٠٥ .



للاستاذ/عبد التواب يوسف .

أصبحنا في زمان يقرأ كلمة « الهجرة » فيراها مجرد مغادرة أرض قفر مجدبة ، الى بلاد فيها حضارة ، يجد فيها الانسان جوا افضل ، وعيشا ارغد ، وحياة اسعد ، وبات من الضروري ان نعيد للكلمة قيمتها الحقيقية ، ومفهومها الاصيل ، فقد اهدرناها خلال مسيرة طويلة من الجهل والتخلف . وتعالوا بنا نقلب معا في سيرة ابن اسحاق التي شذبها ابن هشام ، ففاقت الاخيرة الاصل في شهرته . ولنقف عند هذه الصورة التي تضع الدموع في العيون ، وتملأ القلب بالانفعال ، وتهز منا القلوب والأفئدة .

― ١ ―

بنو عبد الاسد . وبنو المغيرة . إنهما من اهل الجزيرة العربية قبل الاسلام ، عرفهما الناس فيمن عرفوا بالبأس والقوة ، واشتهروا بالجود والكرم ، وتقاربا ، وتصاهرا قبل ان تشرق الارض بنور ربها ، وينزل عليها الاسلام ، ليطهرها من العصبية ، والعنف ، ولينزع منها البغضاء والكراهية .

كان الخير يصارع الشر في فجر الدعوة المحمدية ، واذا بالرجل ― ابن عبد الأسد ― يسلم ، ويشهد بأن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. ويدرك الرجل ― ابو سلمة ― مدى ما ينتظره من عذاب ، ولكنه لا يبالي ، فقد عمر قلبه بالايمان ، ومن ورائه زوجته ― ام سلمه ― تؤيده وتؤازره وتحاول جاهدة ان تدفع عنه الشر .. ويتعاون بنو عبد الاسد ، وبنو المغيرة في ايذاء الرجل ، ويتفننون في خلق الوان من الارهاب ، لعله يرتد ، ويقلع عن عبادة الله ، غير ان الرجل مؤمن بربه ورسوله ، قادر على ان يحتمل ويصبر ، رغم كل شيء .

ويأتيه ذات صباح ما يتصوره

الفرج . ان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسمح للمسلمين ان يهاجروا من مكة الى يثرب .. انها بضعة ايام على راحلته ، تتجاوز العشرة ايـام بقليل ، فلا بأس من احتمالهـا ، والصبر عليها ، فذلك ايسر كثيرا من البقـاء في مكة : السيـاط تمـزق جسمه ، والرمال الساخنة تكويه ، وقد يجد في يثرب خيرا يعوضه وزوجته وابنه « سلمة » عن الحياة القاسية التي يعيشونها في مكة .. نعم ، هي موطنه ، وعشه ، غير انه مضطر لكي يفارقها هربا من الظلم والظلام اللذين يظللانهـا ، ويمـلآن جنباتهـا ، ويحولانها الى سجن رهيب ، مليء بكل صور التعذيب ..

فلتكن « الهجرة » !

ـ ٢ ـ

اعد ابو سلمة راحلته ، وسـأل زوجته ان ترتب امورها لكي يهجرا معا مكة ، والطفل الصغير (سلمة) ايضا . ثلاثتهم سيتركون كل شيء ، الأرض التي ولدوا فيها ، وعاشوا عليها ، واكلوا منها وشربوا . والتي فيها اهلهم « بنو عبد الأسد » اعمام الصغير ، « وبنو المغيرة » اخواله . والتي فيها الأصحاب والاصدقـاء الذين عاشوا معهم وبينهم . انهـم سيودعون البيت ، ومكان الرزق ، الى يثرب التي لا يعرفون من شأنها . الا انها تفتح ذراعيهـا لتستقبـل المسلمين المؤمنـين في سلام وود ، فالمضي اليها لا يزيد على ان يكون هربا من واقع اليم . وانتظر الرجل حلول الليل ، ليكون سترا له وستارا يخفيه عن القوم الظالمين ، الذين كانـوا يتربصون للمهاجرين يقطعون عليهم الطريق ، ويحولـون بينهـم وبـين الانطلاق الى يثرب .. ولكن قريشا كانت تبث العيـون في كل مكان ، وكانت تتسمع الانباء من رجالها ، فنمى اليها خبر عزم ابي سلمة على ان يهجر مكة ، ونقلت ذلك الى بني عبد الاسد ، والى بني المغيرة . وثار هؤلاء واولئك ، وقرروا ان يحولوا بين ابي سلمة وبين مغادرة مكة ، وان يمنعوه من الهجرة . ولم يبلغه ذلك ، لكنه ما ان وضع زوجته وابنه فوق الراحلة ، ومضى يقودها الى خارج مكة ، حتى تعرض لنا اهلي ، رجال بني المغيرة ، واخذوا منه مقـود البعـير ، وهـم يقولون .

ـ هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ، ولم يكن في استطاعة ابي سلمة ان يقاومهم ، فهم كثيرون ، لذلك نجحوا في اناخة البعير وانتزاعي من فوقه انا وابني سلمة . وكان بنو عبد الاسد يقفون عن قرب يشهدون الموقف دون تدخـل من جانبهـم ، ولكنهم اقبلـوا على بنـي المغـيرة يصرخون فيهم .

ـ والله لا نترك ابننـا عندهـا اذا نزعتموها من صاحبنا .

وتشاجر الطرفان ، وتجاذبا الصغير حتى لقد خلعت ذراعه ، وصرخاته تعلو ، يستغيث بالاب والام وما من مغيث ، الى ان انطلق به بنو عبد

الاسد ، ومضى بنو المغيرة ، بالزوجة المنتحبة على فراق ولدها وزوجها .

ـ ٣ ـ

هاجر ابو سلمة ، وقد اسلم وجهه لله ورسوله ، وحط رحاله في يثرب ، ولقيه ابناؤها اهلا وسهلا وراح يعبد الله ، ويدعوه ان ينصر الاسلام والمسلمين ، ويسأله ان يجمع شمله مع زوجته وابنه .. بينما بقى الصغير عند بني عبد الاسد محروما من ابيه المهاجر ، ومن امه التي سجنها اهلها بنو المغيرة ، وحالوا بينها وبين زوجها وابنها . وكانت ام سلمة تخرج كل يوم ، فتجلس في ذات البقعة التي فارقت عندها الزوج والابن من الصباح ، وتظل تبكي حتى المساء ، والناس يمرون بها فتتقطع منهم نياط القلوب ، وتهتز الأفئدة .

ومضى عام كامل على لحظة الفراق . عام امتلأ ببكاء الأم المتصل ، ويأس الصغير في وحدته ، وبحزن دفين من الأب على اسرته التي تمزق شملها ، وتشتت افرادها ، ولا احد يدري كيف يمكن لهذه المأساة ان تنتهي ، ولا احد يستطيع ان يجد للمشكلة حلا . مؤمن بعيد عن دياره في يثرب ، يتعبد ويصلي ويدعو ، وطفل محروم من ابيه وامه . وزوجة حيل بينها وبين زوجها وابنها . ويستمر ذلك عام كامل ، وذلك ما تعنيه حقا كلمة « الهجرة » ، إنها تجربة انسانية شديدة القسوة ، بالغة الثمن ، لا يقدر على مكابدتها ، واحتمالها غير انسان مؤمن بربه ورسوله .

ويمر عام ، ويمر واحد من بني المغيرة . من أبناء عم ام سلمة ، ليراها في بكائها كالثكالي ، وما هي من الثكالي ، ويحن قلبه ، ويشعر نحوها بعطف لا يستطيع ان يسكت عليه ، فذهب الى اهله ليصرخ فيهم : الا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها . الى متى هذا ؟! وتبادل بنو المغيرة الرأي ، وكانوا قد ضاقوا بالمرأة وبكائها ، فقالوا لها :

ـ الحقي بزوجك ان شئت !

ورقصت الفرحة في قلبها ، وزغردت النشوة ، وبعثت الى بني الاسد ترجوهم وتتوسل اليهم ان يعيدوا اليها ابنها سلمة . وكان هؤلاء قد ضاقوا بالصغير وسؤاله ـ مع كل شمس تشرق او تغرب ـ عن امه وابيه ، ولهفته عليهما وشوقه اليهما ، فما كان من بني عبد الاسد الا ان ردوا اليها ولدها .

ـ ٤ ـ

وبدأت رحلة « هجرة » اخرى ...

اعدت الام راحلة لها ، تحملها وابنها الى يثرب . وما وجدت المسكينة احدا يصحبها في هذه الرحلة التي تقطع فيها الصحاري والقفار ، على مدى احد عشر يوما ، او تزيد . ولكنها وولدها الصغير في شوق ولهفة الى رجلهما المؤمن الصابر ، لذلك وضعت الصغير على حجرها فوق

الراحلة ، وانطلقت به وما معها احد من خلق الله ـ على حد تعبيرها ـ وقالت لنفسها .

ـ اتبلغ بمن لقيت حتى اقدم على زوجي .

وعندما وصلت الى التنعيم ـ وهو مكان في اطراف مكة ـ لقيت عثمان ابن طلحة . فقال لها .

ـ الى اين يا بنت ابي امية ؟

قالت : اريد زوجي في المدينة

فقال : او ما معك احد ؟

قالت : لا . والله إلا الله وابني هذا .

قال : والله مالك من مترك !

واخذ بخطام البعير ، وانطلق معها ، ماضيا الى ان بلغ المدينة .

ـ ٥ ـ

وتقول ام سلمة والله ما صحبت رجلا من العرب قط ارى انه كان اكرم منه !

وتستقبل المدينة المهاجرة العظيمة ام سلمة ووليدها .. ويستقبلها زوجها بفرحة غامرة ، تعوضهم جميعا ما عانوه خلال عام الفرقة ، ومالقيه الأب قبل ذلك من عنت وعذاب . وعندما رحل الرجل من الحياة اصبحت ام سلمة واحدة من أمهات المؤمنين ، ووجدت في رسول الله نعم الزوج ونعم الرجل ، وعوضها الله خيرا

ـ ٦ ـ

هذه « واحدة » من قصص « الهجرة » . رجل تنزع منه زوجه وابنه . وزوجة يؤخذ منها رجلها وابنها . وطفل يحمل قسرا بعيدا عن ابيه . ولكن يبقى الايمان . فان هذه الاسرة المزقة الشمل ، اجتمعت وعادت اليها وحدتها ، وسارت تحت لواء الاسلام ، مع عشرة آلاف مقاتل مضوا في العاشر من رمضان ـ عام ٨ هـ ـ من المدينة ، والجزيرة تزلزل تحت وقع اقدامهم ، والجبال تهتز لهتافهم : الله اكبر الله اكبر . مضوا تحت قيادة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ اعظم المهاجرين ، لكي تسلم لهم مكة ، وتفتح ابوابها للقادمين ، المنتظرين ، الفاتحين :

(إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح / ١ وانطلقت من قلب محمد بن عبد الله اعظم صيحة للحرية في تاريخ الانسانية .

ـ « اذهبوا فانتم الطلقاء » !

هذا هو المعنى الحقيقي والاصيل لما نطلق عليه « الهجرة » . اما هؤلاء الذين ننفق عليهم دماءنا واموالنا لكي يتعلموا ثم يهجرونا بدلا من ان يردوا الجميل ، وعوضا عن اداء الواجب ، فهم هاربون من الميدان ، وليسوا بمهاجرين لقد كانت الهجرة تجربة قاسية ، وكانت الى حين . وعاد المهاجرون يرفعون اللواء ، ويطلقون النداء أن : الله اكبر وكان الله دائما اكبر ، وكان بجانب المؤمنين ، يثبت اقدامهم وينصرهم على القوم الظالمين .. ولا هجرة بعد الفتح كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

مائدة القارئ

المؤمنون حقا

قال تعالى : (والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم)

الآية ٧٤ من سورة الأنفال .

خطوات في التاريخ :

لم يكن في الاسلام أول بدأته الا رجل وامرأة وغلام ، اما الرجل : فهو صلى الله عليه وسلم ، واما المرأة : فزوجته خديجة ، واما الغلام : فعلي بن عمه أبي طالب .

ثم كان أول النمو في الاسلام بحُر وعبد ، اما الحر : فابو بكر ، واما العبد : فبلال . ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها ، وصبر الحر في تجلده ، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح ، ضيق لا يتسع ، جامد لاينمو ، وكأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم ، حتى اذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول الى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في الارض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب . (وحي القلم) .

قد عافاني

خطب الحجاج يوم جمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرك ، وإن الله لا يعذرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا انه مجنون ، فقال : إن أقر بالجنون أطلقته ، فقيل له : اعترف بذلك وتخلص ، فقال : والله لا اقول إنه ابتلاني ، وقد عافاني .

افضل هجرة :

عن أم أنس ـ رضي الله عنها ـ قالت : يارسول الله أوصني .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اهجري المعاصي ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظي على الفرائض ، فانها أفضل الجهاد ، وأكثري من ذكر الله ، فانك لا تأتين الله بشيء أحب اليه من كثرة ذكره) .

دعاء :

قال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فان غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، ألا اني أشهد أن لا اله الا انت وحدك ، لا شريك لك ، وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الامانة ، ونصح الأمة ، فعليه السلام والرحمة .

صدقت

كتب الله النصر للمسلمين في غزوة بدر الكبرى ، وضربت أعناق الكفر ، وجبابرة الطغاة .. والقيت جثث القتلى المشركين في القليب . وكان مما قاله حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه :

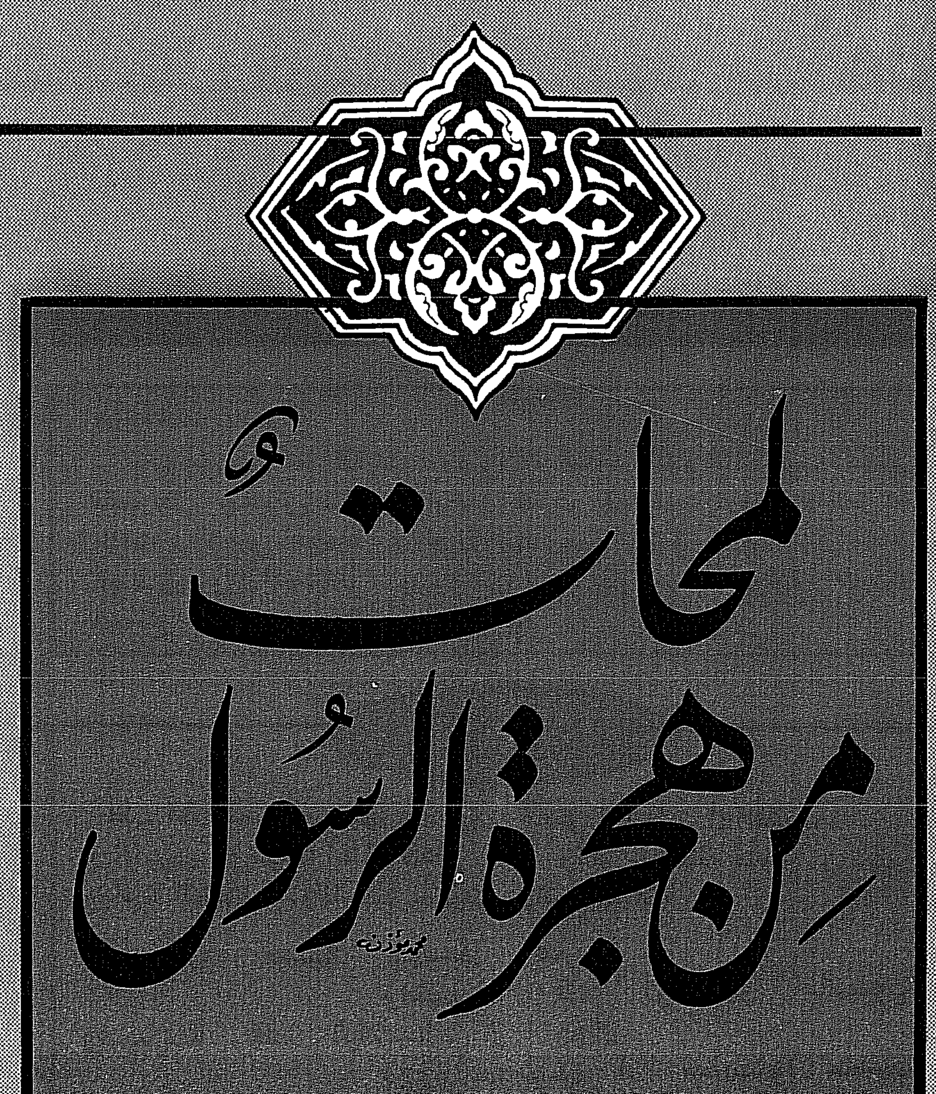
فغادرنا أبا جهل صريعا
وعتبة قد تركنا بالجبوب

وشيبة قد تركنا في رجال
ذوى حسب اذا نسبوا حسيب

يناديهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب في القليب

ألم تجدوا كلامي كان حقا
وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟

فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأي مصيب



لمحات من هجرة الرسول

الاسلام يحارب في امـاكن كثيرة .. ولن يصلح امـر هذه الامة الا بما صلح به اولهـا : الايمـان ونصرة العقيدة

للاستاذ: محمد نعيم عكاشة

مع إطلالة شهر المحرم هذا العام .. يطوي التاريخ آخر صفحات القرن الرابع عشر الهجري . ويبدأ المسلمون في مشارق الارض ومغاربها عاما جديدا في حساب القرن الخامس عشر من الهجرة المباركة .

وتعود بنا الذكرى الى فجر البعثة المحمدية وما حفلت به من أحداث جلال عظام ..

فقد مكث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثلاثة عشر عاما يدعو قومه في مكة الى الله ، وترك عبادة الاصنام ، فما استجاب لدعوته الا نفر قليل ..

ثم شاءت ارادة الله أن يمضي رسوله الأمين في رحلته المجيدة التي غيرت وجه التاريخ ، وانقذت البشرية وأطلقت زمام الحرية ، فالناس بعدها أحرار في عقائدهم ، طلقاء في مذاهبهم . لا فرق بين قوم وقوم . ولا تفاضل في الأجناس والألوان .

الحق يزهق الباطل .

إن حادث الهجرة كان حدا فاصلا بين الباطل في ظلمته وعدوانه ، وبين الحق في برهانه ويقينه . قبائل قريش في جهالة وشرك بالله ، ومحمد – صلوات الله وسلامه عليه – يبشر بدين جديد .. بين يهدي إلى الخير وإلى سبيل الرشاد ..

وتأبى قريش على الرسول دعوته .. ويكابر أهل الكفر ويستكبرون .. ويقولون : إن هو إلا إفك افتراه .. وإذا رأوه سخروا منه وقالوا في غيظ : هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ..

وجادل الرسول قومه بالتي هي احسن .. دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكنهم جمدوا على عاداتهم المنكرة – واخلاقهم السيئة . وكيف يتقبلون دينا يدعو الى الحق ، وقد نشأوا على الجمود والتخلف والبغي ..

ويدبرون ويكيدون .. فاما ان ينصرف محمد – صلى الله عليه وسلم – عما يدعو إليه .. واما فالويل له ولمن يتبعه ..

وفي ثقة بالله وبالمستقبل يقول الرسول . فصبرا جميلا .. وكلما اشتد عليه الخطب وتضاعف الألم والايلام ، ازداد اصرارا وتصميما على المضي في رسالته ، ومواجهة الباطل وان غلب وتأصل .

فبقدر المشاق يكون الجزاء .. وأي شيء يهون في سبيل اظهار رسالة ربه .. هكذا كان صلوات الله وسلامه عليه ذا عقيدة راسخة .. ابتلى بأشد انواع الاذى وبيت قتله ، فما أرهبه

تهديد او وعيد .. رغب في المال والجاه ، فما فتنه نلك قط ..
ومن أول نشأته عرفوه بالصدق والأمانة ورجحان العقل وسلامة التحكيم ، حتى قال عنه هرقل ملك الروم : لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله .
وروى أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم : والله لو أني اخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب : ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر الى الله يضعه حيث يشاء » ـ فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ ـ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .
درس عظيم ينبغي ان نستفيد منه . كان الرسول صادقا مع نفسه فأصدق القول لغيره .. رفض العون في الشدة ، وهو أحوج ما يكون اليه ، وأرجع الأمر الى ربه فيما طلب منه .
وتوالت المحن على الرسول بموت زوجه خديجة وعمه « أبو طالب » وكان كل منهما عضدا له ، وناصرا على قومه .. وفي خضم الأحداث لم تلن عريكته او تضعف عزيمته بل ظل شامخا كالطود .. ولكنه لم يكن ليرضى ان تظل دعوته محكومة بالوثنية ووجد ان تربة مكة غير صالحة لغرس دين جديد ، فعزم الهجرة الى ارض طيبة قابلة لنبت دعوته واشتداد عودها .
وعلمت قريش بنية الرسول في الهجرة الى المدينة ، فأجمعت على التخلص منه بقتله حتى يطفئوا نور الله ، ويجتثوا شجرة الايمان من جذورها .. واجتمع لتنفيذ المؤامرة فتيان من أشداء قريش ليضربوه ضربة رجل واحد ، فيتوزع دمه بالتساوي بين القبائل .

آيات كبرى .. ومثل عليا في الهجرة

في تلك الليلة خرج رسول الله من بين صفوف المتآمرين .. خرج من داره محوطا بعناية الله ورعايته ، فلم يره أحد ، او يحس به متربص .. ويتبعه في هجرته نفر كثير من المؤمنين ، يفدونه بالعزيز من الولد والمال ..
وتتجلى على طول رحلة الهجرة المباركة آيات كبرى ، وبطولات رائعة في التضحية والفداء والجهاد والثبات على الحق ونصرة العقيدة ، ستظل أبدا مضرب الأمثال مهما تعاقبت الأجيال ومضت السنون ..
وأي تضحية وانكار للنفس أروع من نلك :

● علي بن ابي طالب في شبابه وفتوته ينام في فراش الرسول ليلة الهجرة ويتغطى ببردته ، وهو يعلم أنه عرضة للموت في اي لحظة .

● أبو بكر في شيخوخته يمشي خلف الرسول حينا وامامه حينا ، ويسأله الرسول في نلك فيجيب : « أخشى

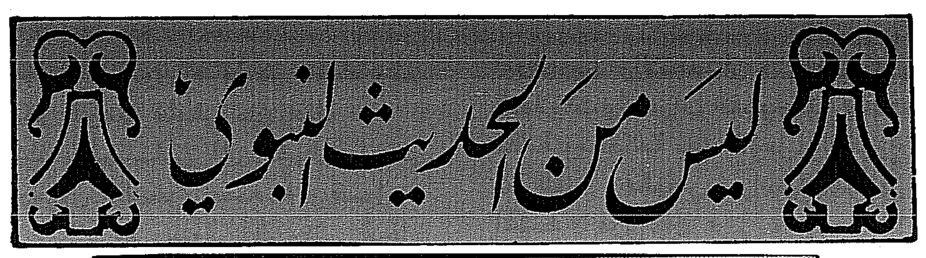
الطلب يا رسول الله فأمشي خلفك ، ثم انكر الرصد فأمشي بين يديك » .
وعندما يصلان الى الغار ويهم الرسول بالدخول يمنعه ويقول : « مكانك يا رسول الله حتى أدخل قبلك فاستبرئه » ثم يدخل ليطمئن على حياة الرسول مما عسى ان يكون مختبئا في جوف الغار من وحش كاسر أو زاحف سام .

● والزوج الذي يفارق زوجته .. والاب الذي يفارق أولاده .. والابن الذي يفارق والديه .. وكل منهم فرح بما يصنع ..

● واسماء وعائشة بنتا ابي بكر تعدان زاد السفر في ليلة الهجرة ولا يشغلهما عن نلك حزن ولا بكاء .. وتقطع اسماء نطاقها فتربط جراب الطعام وقربة الماء بعضهما ببعض .. ولهذا سميت اسماء : ذات النطاقين .
وأمثلة كثيرة يطول نكرها .
وحين فارق الرسول مكة دعا ربه : « اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد الي ، فأسكني احب البلاد اليك » . ويستجيب الله دعوته .

واقع الأمة الاسلامية في الماضي والحاضر ..

وسرعان ما اصبحت يثرب ملاذ جماعة المسلمين وسميت « المدينة المنورة ، ومدينة الرسول » .. وآخى صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والانصار ، وقضى على الخلافات والنعرات القبلية التي كانت قائمة ومتحكمة بين الاوس والخزرج منذ القدم ، فالناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى . ولا خضوع لغير الواحد الديان ..
ومن المدينة انطلقت جيوش المسلمين الى مكة حيث تم الفتح العظيم ، وتطهرت الكعبة من وثنيات الكفار ، وانتشرت رسالة التوحيد والمعرفة .. وحلت رابطة الاسلام محل رابطة الارحام .
وقويت شوكة المسلمين بتأسيس اول دولة اسلامية على مبادىء الحق والعدل والرحمة والمساواة .. وامتدت فتوحات المسلمين الى أرجاء كثيرة من العالم .. وشاعت إنسانية الاسلام وحضارته كما يشيع النور في الظلام .
فما أحرى المسلمين اليوم – وهم يستقبلون القرن الخامس عشر الهجري – أن يراجعوا مجدهم الماضي ، ويأخذوا منه ما ينفع الحاضر والمستقبل .. فالاسلام كما حورب في اول امره ليدفن في مهده .. يحارب الان في اماكن كثيرة من العالم لاطفاء نوره والقضاء على اهله .. ولن يصلح امر هذه الامة الا بما صلح به أولها : الايمان ونصرة العقيدة .. وليكن معلوما لنا جميعا ان تأييد الحق لا بد أن يستتبعه الجهاد والتضحية والثبات في كل زمان وأي مكان :(**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/ ٧

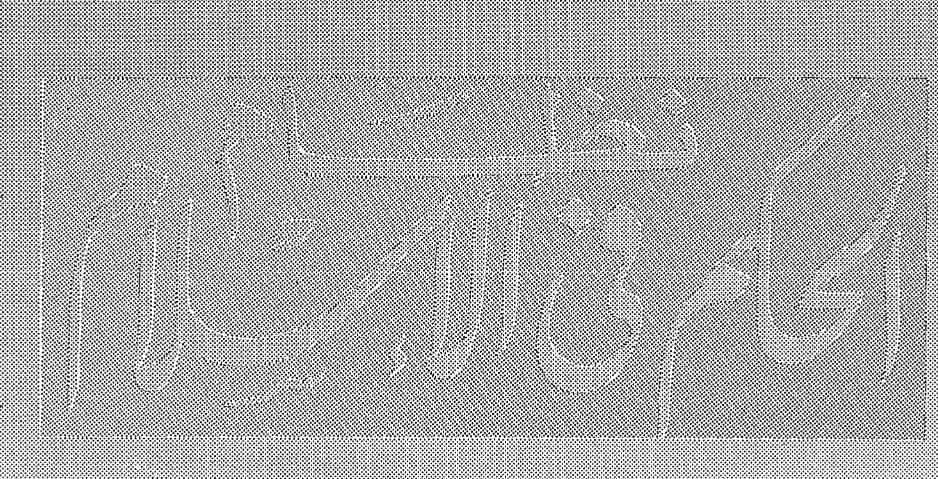


يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« قال انس كنت يوما مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تفرق اصحابه فقال : ياأبا حمزة قم بنا ندخل السوق فنربح ويربح منا فقام وقمت معه حتى صرنا الى السوق فاذا نحن في أول السوق برجل جزار شيخ كبير قائم على بيعه يعالج من وراء ضعف فوقعت له في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة فهم ان يقصده ويسلم عليه ويدعو له اذ هبط عليه جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك لا تسلم على الجزار فاغتم من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندري اي سريرة بينه وبين الله اذ منعه منه فانصرف فانصرفت معه ولم يدخل فلما كان من غد تفرق اصحابه فقال قم بنا ندخل السوق فننظر اي شيء حدث الليلة على الجزار فقام وقمت معه حتى جئنا الى السوق فاذا نحن بالجزار قائما على بيعه كما رأيناه بالأمس فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقصده ويسأله أي سريرة بينه وبين الله إذ منعه عنه فهبط جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك سلم على الجزار فقال له حبيبي جبريل امس منعتني منه واليوم امرت به فقال نعم يامحمد ان الجزار الليلة وعكته الحمى وعكا شديدا فسأل ربه وتضرع اليه فقبله على ما كان منه فاقصده يامحمد وسلم عليه وبشره فان الله تعالى قد قبله على ما كان منه فقصده وسلم عليه وبشره وانصرف وانصرفت معه » .

موضوع :

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة هذا القول موضوع .
ومن رواته دينار بن عبدالله وهو آفته .
وايضا تظهر فيه الصنعة ويبدو فيه الاختلاق والكذب وسوء التركيب .



للشيخ : سليمان التهامي

ان الاسلام شرع نظاما للحكم ، وجعل دعامته الرئيسية الفرد المسلم لأنه أساس المجتمع المتحضر ولبنة من لبناته ، فلا يصح قيام مجتمع متحضر بدون الفرد الصالح ، ولو أن كل مجتمع راعى في نظامه الأخذ به لعم الخير والنفع وساد الاصلاح .
والنظام الذي أقره الاسلام وراعى فيه المصلحة العامة أخذ به الفكر الحديث ، ففي مجال الاختيار والتعيين كان الاسلام قائما على مبدأ تكافؤ الفرص والقدرة الفنية والسمات الشخصية للعامل .
والموظفون في الاسلام أخذوا قسطا وافرا من العناية بنظامهم ، ومن العدل أن نذكر بعض ما أخذ به النظام الاسلامي فيما يخص إدارة أفراده وموظفيه .
وقد أخذ النظام الاسلامي بقسط كبير فيما يتعلق بالفحص الطبي للأفراد عند الحاقهم بوظائفهم من ذلك أن الشبان الذين يراد إلحاقهم بالوظائف العسكرية يجردون من ثيابهم للاطلاع على عيوبهم من الوجهة الطبية حتى اذا كان هناك بالجسم عيب يحول دون إحسان العمل ، نحوا صاحبه عن الخدمة العسكرية .

وقد كان للسن اعتبار خاص في هذا الموضوع ، وهذا حرص من أولى الأمر على أن من يتولى وظائف الدولة يجب أن يكون مسئولا مسئولية كاملة . والحكومات في العصور الحديثة تشترط سنا معينة لا تقبل طالب الوظيفة قبلها ، لأن أي تقصير أو عبث بالمصالح العامة منهم ، ينصب ضرره عليها ويكون التقصير صادرا منها ، وليس في الدنيا حكومة رشيدة تقبل أن ينسب إليها لوم او تقصير .
ومن اعجب ما تحويه المكتبة الاسلامية ما جاء في تاريخ الطبري من أن عمر بن الخطاب كان يتعقب الموظفين في سيرتهم الخاصة وفي تصرفاتهم كذلك ، وينصحهم الى ما فيه المصلحة ولو كان على حساب مصلحتهم الخاصة ، ومن ذلك ان « حذيفة بن اليمان » تزوج اجنبية

فطلب إليه عمر أن يطلقها مع أنه تزوجها على شريعة الله ، لكن عمر يرى أن زواجهما إضرار ببنات العرب وتضييق عليهم حيث قال عمر : « إن في نساء الأعاجم خلابة ، فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم » وهذا هو شعور الحاكم الذي يعتبر نفسه مسئولا عن رعيته فالذكور لهم حظهم ، والاناث لهن نصيبهن وهذا هو ما يسمى بالشعور الوطني في هذه الأيام .

وإذا امعنت النظر فيما فعله عمر وفيما يفعله ولاة الحكومات العصرية ، فانك واجد تشابها في منع الموظفين السياسيين من الزواج بالأجانب .

وقد عزل عمر عامله علي ميسان (النعمان بن عدى) لأنه سمع أنه قال أبياتا جاء فيها :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال عمر إنه ليسوؤني وعزله مع أنه يعلم علم اليقين بان ذلك لم يكن وانما هو قول شاعر ، وهذا احتياط وبعد نظر فيما يتعلق بوظائف الحكم ، اذ هي بعيدة كل البعد عن الهفوات التي تلفظ بها عامله .

وقد كانت سياسة عمر هذه لها عظيم الأثر فيمن خلفه من ولاة المسلمين حيث أنهم كانوا يحملون الموظفين اثم تقصيرهم واخلالهم بواجبهم ومسئولياتهم فيما يتولون من أعمال العامة فالموظف الذي يعفي نفسه من المسئولية عليه مسئولية ذلك ، قال أبو يوسف للرشيد « واذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك ، واحتجاز شيء من الفيء ، او سوء سيرته ، فحرام عليك استعماله والاستعانة به وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك ، أو تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له وإياك ودعوة المظلوم فان دعوته مجابة » .

والمسلمون كانوا ينتقون الموظفين الأكفاء لتولي الوظائف ففي « طبقات ابن سعد » أنه كان من عمال عمر « عمير بن سعد » وفيه يقول عمر : وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين (ولاه عمر علي حمص وتوفي سنة ٤٥هـ)

ومن أقواله على منبر حمص : « لا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذا بالعدل » .

ومن أهم ما يلزم لأداء العمل هو الحيطة في اختيار الموظف ، وانتقاء الصالح منهم الذي يتمتع بكفاءة وأمانة في أداء العمل بحيث يكون هذا العمل موافقا لما احله الله ، ومطابقا لشريعته ، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » رواه ابو داود .

ومن آداب الموظف لزوم العفاف

والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعمال والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعن الوخيمة والترفع عن المكاسب اللئيمة فان ذلك يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى ، والحظوة عند السلطان وجميل السيرة عند الرعية فان ذلك يقرب من كان بعيدا على من كان قريبا ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة لدى السلطان .

والاسلام قد وضع نظاما خاصا لرواتب الموظفين لها قواعد منسقة تنسيقا عادلا ، فلا يعطي عامل إلا على قدر عمله ، ولا يمنح أقل من كفايته ، ومن دواعي زيادتها ان يبدي الموظف في عمله كفاية وحكمة .

فقال الله سبحانه وتعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة / ٧ و ٨ .

وقد روى ابن سعد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى ائمة المسلمين بعده بموظف احسن صنعا في بعض الامور ، فكتب له بهذا كتابا وختمه ، فظل الموظف يأخذ من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبدالعزيز .

وراتب الموظف كان يتناسب مع مركز الموظف ، وما يتخذه لنفسه من هيبة في نفوس الناس ، ولعل من اصدق الشواهد على ذلك ما يروى ان المعتضد بلغه ان عامله على فارس أظهر ابهة في ولايته وأنفق مالا طائلا ، فوقعت له بذلك هيبة في نفوس الرعية فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مظهره .

وقد روى ابو داود ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه الفيء قسمه في يومه ، فأعطى صاحب الأهل حظين واعطى العزب حظا واحدا . فهو يراعي الحالة الاجتماعية وما يعول الموظف من افراد اسرته . وهذا ما توصلت اليه نظم الموظفين الحديثة ، بعد كثير من العناء والمشقة والجدل والمراء ، على الرغم ان الاسلام كان سابقا لها ومتقدما عليها .

والنظام الضريبي له أصل في الاسلام وخاصة « ضريبة الدخل » فقد كانت الزكاة المستحقة على اصحاب الأعطيات تخصم من اعطياتهم قبل أن يستولوا عليها ، ولا يسلم اليهم الا ما بقي بعد خصم الزكاة ، هداهم الى هذا فطرتهم واستقامة فكرهم ، حيث ان مؤلفي علوم المالية الحديثة لم يتوصلوا الى ما انتهوا اليه الا بعد ان اجتازوا ما فيها من التعقيد وصولا الى ما وصل اليه الفكر الاسلامي العريق .

وقد رأى خلفاء المسلمين إنصاف الموظفين بوضع نظام عادل لرواتبهم ، فأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يوصي أحد عماله أن يسبغ الأرزاق على الموظفين ، فان ذلك قوة لهم على اصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا الأمر او ثلموا الأمانة .

ولعمر بن عبدالعزيز محاورة في ذلك تدل على مبلغ حرصه على إنصاف الموظفين .

قيل له : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك ؟
فيقول : « أراه لهم يسيرا ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ، وأحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم » .
وكان من أهم ما جرت عليه الادارة في عهد المأمون للتوسعة على العمال ، يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان .
ولعمري ان ذلك حزم وبعد نظر وحسن بصر وبصيرة بالأمور فان من تولى أمور الناس واعطى الفصل فيها وتصريفها يجب ان يكون مرزوقا موسعا عليه ، لا يشعر بضيق ولا تلذعه حاجة ، لأن الشعور بالضيق فتنة ، ولذع الحاجة مدرجة للخيانة ، فتمتد يد الموظف الى ما في أيدي الناس وتتطلع عينه الى المعونة بما يملكون .
ومن احق بهذا الحزم من المأمون ، وهو من هو علما وحكمة ؟ وهو الذي رفع منزلة « الفضل بن سهل » وعقد له على الشرق طولا وعرضا ، وجعل عمالته ثلاثة آلاف الف درهم !
ورواتب الموظفين تجري عليهم من بيت المال لأنهم في عمل المسلمين'كذلك ارشد بهذا أبو يوسف الرشيد ففي كتاب الخراج ان الرشيد قال : يجري على القاضي إذا صار إليه ميراث من المواريث . فأجاب قاضيه ابو يوسف : لا،إنما يعطي للقاضي رزق من بيت المال ، ليكون قيما للفقير والغني ، والصغير والكبير ولا يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع اذا صارت اليه مواريثه رزقا .
ونظام المعاشات والمكافآت في الاسلام معروف ، فقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همذان لما استعمله على قومه عربهم وعجمهم ومواليهم فأقطعه من ذرة (نسار) مائتي صاع ومن زبيب (خيوان) مائتي صاع ، جار له ذلك ولعقبه من بعده ابدا ابدا ،ابدا .
وعمر بن عبدالعزيز أمر أن يرفعوا اليه كل مقيم ومن لا احد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فامر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بالسوية وفرض للعوانس الفقيرات ، وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم فنادى معاوية لا تعجلوا اولادكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الاسلام .
وراعى الاسلام العجزة من موظفي الدولة ومنحهم رعاية اجتماعية فقد كتب عمر بن عبدالعزيز الى اقطار الشام ان يرفعوا اليه كل أعمى في الديوان ، او مقعد او من له فالج او من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة ، فأمر لكل اعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم وعلى هذا النحو كانت رعاية الولاة العادلين لمصالح الموظفين بل للمسلمين اجمعين .
وليس بعزيز على من يشعر بانه مسئول امام الله عن كل صغيرة وكبيرة من امور رعيته ان يسد حاجتهم بل ليس بعزيز عليه ان يغنيهم وان يبيت ساهرا لا تغمض له عين وفي رعيته غرثان حتى يشبع ، او

ظمآن حتى يروى ، لا يقصد بذلك الا وجه الله وطاعته فيما ولاه ، لا يبغى جزاء من عباده ولا شكرا من طالب الاحسان .

عن ابي هريرة رضي الله عنه :«ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوف عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه فضلا ؟ فان حدث انه تارك لدينه وفاء صلى والا قال للمسلمين ، صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

فقد جاءت امرأة من العراق الى عمر ابن عبدالعزيز وشكت عيلتها وفقرها وقالت ان زوجها لحق بربه وترك بنات خمسا وطلبت أن يفرض لهن : فقال

ما اسم الاولى ؟ فقالت فلانة : قال فرضت لها كذا فقالت : الحمد لله يا امير المؤمنين ثم قال والثانية ؟ قالت فلانة قال : فرضت لها . قالت الحمد لله يأمير المؤمنين ثم سألها عن الثالثة ففرض لها فحمدت الله ثم الرابعة ففرض لها فحمدت الله ثم قالت :

والشكر لأمير المؤمنين بقيت الخامسة واسمها فلانة فقال لها عمر لا،اننا لا نفرض لها فقد فرضنا لاخواتها حين اوليت الحمد اهله ، اما الان فقد اوليت الحمد غير اهله ، فمري الاربع ان يتفضلن على الخامسة ! ولم يفرض لها لان المرأة اتجهت لغير الله .

ونظام الحكم في الاسلام سجل حافل بالكثير كلما قلبت صفحاته راعك منه جديد ، وكلما امعنت في البحث طمعت في المزيد وذلك لان الدولة الاسلامية كانت لها طبيعة الانتشار فملكت جوانب الأرض حقبة من الزمان ، وكانت لها طبيعة خلق كل جديد والتأثير في كل مجال من قريب أو بعيد حتى أصبحت تراثا عالميا يعتد به ــ وخاصة ــ نظم إدارة حكمها ، فازدهرت هذه الدولة في الشرق ، فبنو أمية وبنو العباس » اقتبسوا نظمهم من القواعد التي جاء بها كتاب الله وسنة الرسول وأعمال الخلفاء ، وكذلك بنو أمية في الغرب مسترشدين بقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**) النساء / ٥٩ .

وقد كانت هذه البقاع أزهى بقاع المعمورة في ذلك الزمان ، فكانت خليقة أن يكون لها نظام محكم وتنظيم دقيق مكنها من أن تكون قدوة على مر العصور والأجيال .

ونود ألا ننسى أننا في هذا المقام نحتاج الى أسفار طوال لجمع شتات نواحيه وكتابة ما يستقصيه لذا فنحن نضرب الأمثال ونسترشد ونستنير ببعض الأصول ، لنتصدى لكل من

افترى على الاسلام كذبا وقال بانه شريعة الصحراء ، وتناسى وغفل بأنه شريعة الله التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، يهدي بها الناس الى العقيدة الخالصة والى طريق الحكم السليم ، في كل زمان ومكان .

وسترى في بعض ما نورد لك ، أن كثيرا من الأحكام التي سنها المسلمون لادارة حكمهم وشئون أفرادهم وموظفيهم ، له كبير الشبه بما تجري عليه الحكومات في هذه العصور .

ومن عظيم التشابه في نظام الموظفين عبر التاريخ الاسلامي ، هو ما نجده في نظام استقلال الموظف بدون الرجوع الى رئيسه وهو ما يسمى الآن بمبدأ (اللامركزية) وقد سبق الاسلام الى هذا المبدأ ، من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى ان السعاة الذين كان يبعثهم الرسول على الزكاة رجع بعضهم احيانا الى المدينة وليس معه شيء منها ، لأنه وجد للزكاة موضعا يضعها فيه .

وقد كان تردد بعض العمال وخوفه من استقلاله بالتصرف مرجعا للتعنيف من بعض الخلفاء ، لأنهم كانوا يرون أن انتظار الرأي مضيعة للوقت في غير طائل ، وربما أضاع الزمن بعض الحقوق على أصحابها .

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامله باليمن « أما بعد فاني أكتب إليك أمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني ولا تعرف مسافة ما بيني وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت ، حتى لو كتبت اليك ان أرد على مسلم مظلمة شاة لكتبت أردها عفراء أو سوداء فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني ! » .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه أن عمر بن عبدالعزيز كتب الى عامله بالكوفة أنه يخيل الي اني لو كتبت إليك أن تعطي رجلا شاة لكتبت الى اذكر ام أنثى ! ولو كتبت إليك بأحدها لكتبت الي صغير أم كبيرة ! ولو كتبت بأحدها لكتبت اضأن أم معز ! فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد علي ! » .

فأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز يرشد عامله الى الاستقلال برأيه في بعض الأمور يصرفها كما يرى ، ويلومه بأسلوب لاذع على أنه يرجع الى رأي الخليفة في صغير الأمور وكبيرها .

استنادا للحديث الشريف : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » رواه احمد والبيهقي .

وقد كان المأمون يحرص الحرص كله على الانتفاع برجاله ويطلق لهم حريتهم في العمل .

وكان العباس بن الحسن وزير المكتفى يقول لنوابه في الأعمال : « أنا أوقع لكم وافعلوا ما فيه المصلحة » .

وبعد هذا يمكننا أن نقول بأن « اللامركزية » هي نظام عرفه الاسلام في العهد الأول ، واتبعه الخلفاء والوزراء مع عمالهم ، وأن الذي حدث في هذا الزمان هو الاسم فقط اما المعنى فهو غير حديث ولا مبتدع .

ويجب التنويه بأن « المركزية واللامركزية » هما صورة التنظيم الاداري في الدولة الحديثة تأخذ كل دولة منهما بنصيب يتفق وظروفها الخاصة ، وهما على الرغم من تعارضهما النظري تتعاونان معا في العمل .

والمركزية الادارية : تعني توحيد وتركيز وعدم تجزئة كل مظاهر النشاط الاداري في الدولة ، بل تجميعه في يد السلطة المركزية في العاصمة وفي فروعها بالأقاليم . ثم تطورت الوظيفة الادارية حتى اصبحت في يد كل وزير ، كل في نطاق وزارته يحتكر كل خصائص السلطة فيها .

وللمركزية صورتان : احداهما المركزية المطلقة او الوزارية بحيث يكون كل شيء مرهونا بارادة الحكومة المركزية القائمة في عاصمة الدولة ، اما الصورة الاخرى للمركزية فهي اللامركزية الوزارية أو نظام عدم التركيز الاداري ، وذلك بأن يخول الوزير بعض موظفي الوزارة في العاصمة أو الأقاليم سواء بمفردهم أم في شكل أجهزة وإدارات ، سلطة البت نهائيا في بعض الأمور دون حاجة للرجوع الى الوزير ، وهو نظام لا يعني الا تخفيف العبء عن الحكومة المركزية وزيادة سلطات الممثلين المحليين لها ، ويجعلهم أكثر ميلا وتعاطفا مع مصالح الأفراد المحلية .

أما اللامركزية : فتنقسم إلى اللامركزية السياسية وهو نظام يتصل بالتنظيم الدستوري للدولة وهو صورة من صور الحكم واسلوب من اساليبه في الدولة المركبة (كالدولة الفيدرالية) .

أما نظام **اللامركزية الاقليمية** فهو صورة من صور الادارة وأسلوب من أساليب التنظيم الاداري في الدولة وخاصة الدولة البسيطة (كالدولة الموحدة) .

والاسلام يحظر على الموظف ان يتخذ عمله وسيلة للكسب من غير طريقه ، ولا يبيح له أن يستولي على ما في أيدي الناس بالباطل ، وذلك ما يسمى في اللغة الحديثة : باستغلال النفوذ .

فدين المسلمين يسد المسالك على الموظف ، فلا يتسرب الى حوزته مال فيه شبهة ، ولو كان المظهر مشروعا سواء أكان العامل مجاهرا بسلب الأموال ام متسترا وراء اسم ظاهره فيه الاباحة وباطنه فيه الاثم ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، » رواه البخاري ومسلم . فان ولى الأمر عليه ان يتعقبه ولا يتركه يخدع الناس او يعبث بعقولهم .

والتاريخ يذكر بأن عمر بن الخطاب مر على نياق لابنه عبدالله فرآها ترعى مرعى خصبا ، ورأى كثرتها وبدانتها فسأل لمن هذه

النياق ؟ فقيل له : لابنك عبدالله ، قال : اجعلوها لبيت المال فان عبدالله لم يكن قادرا على جمعها وتسمينها لو لم يكن ولد أمير المؤمنين .

وإن العجب ليبلغ من نفسك مبلغا عظيما ، حين تراه ينكر على عماله أن يتحايلوا لجمع الأموال ولا يقرهم عليها ويصادرها فقد اجتمعت لابي هريرة اموال كثيرة ، فلما سئل قال : ان خيله تناسلت ، وسهامه تلاحقت ، وإنه اتجر ، فقال له عمر انظر رأس مالك ورزقك فخذه واجعل ما بقي في بيت المال .

وأني للنظم الحديثة مثل هذا النظام ! بل أني لهم حاكم عادل مأخوذ بالشعور الديني والعقيدة الالهية ، وينفذ لهم ما يصيغون من النظم بتلك الصرامة والقوة التي لا تفرق بين ابن أمير المؤمنين وسواه ، ولا تعرف لأحد منزله فيما شرعه الله !

وهل ترى في الحكام اليوم من يقسو على ابنه في سبيل الصالح العام ، هذه القسوة التي رأيتها من عمر ؟! ثم هل ترى حاكما يصنع مع رجل من أجلاء الصحابة وكبار العاملين في الدولة ما صنع عمر مع ابي هريرة ؟!

ان هذه قوة الاسلام ونظامه الذي ينبغي ان يكون للناس اجمعين ويجب ان يفرض على كل صغير وكبير في الدولة ، فالاتجار واستغلال الجاه ليس من شأن العاملين . فأذا حرمت القوانين الاتجار في شرائعها الوضعية فقل إن هذا حكم الاسلام من قديم السنين .

وعدم استغلال النفوذ والسلطة هي احدى الواجبات الملزمة للموظفين كافة ، مع مراعاة باقي الواجبات وعدم الاخلال بها ، والتقصير فيها وعلى رأسها أن يؤدي الموظف واجبات عمله على نحو مرض ، بحيث يكون في خدمة المجتمع والمواطنين قال تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة / ١٠٥ ، وأيضا قوله تعالى : **(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)** الكهف / ٣٠ .

وأيضا أن يكون نزيها وشريفا دون انحراف وفساد في أداء الخدمات العامة للمواطنين فبدون ذلك له خطورة ليس فقط في آثارها الاقتصادية الضارة ، بل في آثارها الاجتماعية والاخلاقية على المجتمع كله .

ولعلنا لا نبالغ إذا أكدنا ان قبول الموظف العام لهدية أو خدمة عينية ، أو رشوة لأداء خدمة من الخدمات العامة التي يتعين عليه اداؤها للمواطنين تعد ليس فقط جريمة يعاقب عليها القانون،بل تقويضا للثقة بين الحاكم والمحكوم ، ونشرا للفساد في المجتمع كله .

وأيضا طاعته واجبة ، طاعته للقانون والأوامر الصادرة اليه مع ايضاح الأسباب الداعية لصدور كل قرار حتى لا تكون طاعته طاعة مطلقة عمياء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع

أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » رواه البخاري .

وعليه أن يؤدي واجباته بالسلوك القويم ، في أنفة وعزة وكرامة ، تتفق مع منصبه للمحافظة على هيبة الوظيفة العامة وكرامتها ، ومن مقتضيات هذا السلوك أن يحافظ الموظف على مظهره العام وسلوكه خارج وداخل العمل .

ومن واجباته المحافظة على سرية العمل والولاء والاخلاص للدولة والنظام السياسي والحكومة .

اما حقوقه بعد ان كانت بمثابة منحة تتحكم فيها جهة الادارة وفق ما تشاء وما ترى ، اصبحت حقوقا مكتسبة بحكم القانون مثل حق الموظف في الاجازات السنوية والمرضية والمرتب والمعاش .. الخ .

وتوجيه الموظف ضرورة واجبة — فضلا عن أنه عنصر من عناصر الادارة فهو ضروري في أي عمل ، لأنه يحفظ عليه وحدته : فالناس لا يتركون ، يعمل كلٌ وفق أسلوبه الخاص، وطريقته المستقلة ، بل يجب أن يعملوا في تعاون وانسجام، لكي يتحقق الهدف ، وتلك مهمة التوجيه .

إن للتوجيه أدوات مثل الحوافز والتدريب والعلاقات الانسانية . ولا يعتبر التوجيه فعالا لمجرد توافر تلك الادوات والنظم المقررة لها بل تتوقف فعالية التوجيه على حسن استخدام تلك الأدوات .

فلا بد لنظام الحوافز داخل أي جماعة من أن يعمل على تحقيق المصلحة العامة ، ويؤدي الى حب العاملين للعمل ويثير رغبتهم فيه واهتمامهم به ، ويكون علاقات طيبة بين المرؤوسين والرؤساء من ناحية وبين الزملاء من ناحية اخرى ، ويجعل العاملين يحسون بمشاركتهم في أداء نشاطهم ويتيح لهم التمتع بالخدمات الاجتماعية والترفيهية ويوفر لهم فرص الترقي والتقدم في العمل ، ويبعث بينهم الاحساس بالمكانة الاجتماعية .

والتدريب أمر لازم لكل المستويات الادارية على اختلاف درجاتها ، والتدريب يعني السعي نحو زيادة المهارة وليس التزود بالمعلومات فحسب .

ومبدأ الثواب والعقاب له عظيم الأثر ، وحفز الناس عن طريق إثابة المحسن اقوى أثرا من عقاب المسيء ، والحرمان من الثواب أفضل أنواع العقاب عند العقلاء ، أما الشواذ من الناس فقد يكون العقاب باترا لهم ورادعا لغيرهم ، والعقاب يجب ان يتنزه عن كونه انتقاما بل يستهدف الاصلاح وحده .

والعلاقات الانسانية التي تسودفي الجماعة لها أكبر الاثر على كفاية التوجيه فيها فيجب العمل من جانب القادة على تنمية الروح المعنوية للأتباع وان يشبعوا حاجاتهم المادية والنفسية ، ويسلكوا سلوكا من شأنه ان يكسبهم محبة المرؤوسين واحترامهم وان يعملوا على تصويب اخطاء التابعين بغير ايذاء لشعورهم وكيانهم والله الموفق لما فيه خير الاسلام والمسلمين .



تعقيب على مقال
« مع انجيل برنابا »

للاستاذ مصطفى محمد

اطلعت مسرورا على البحث القيم الذي كتبه الاستاذ الفاضل احمد عادل كمال بعنوان « مع انجيل برنابا » بالصفحة الثامنة عشرة بالعدد رقم « تسعون ومائة » الخاص بشهر شوال عام ألف وأربعمائة من هجرة رسولنا العظيم .. ووجدت ان اكتب لكم ببعض ملاحظاتي عليه .

الملاحظة الاولى :

قول الكاتب « وهو كتاب شيق ممتع ابلغ في الموعظة ـ من وجهة نظرنا ـ من الاناجيل الأخرى وهو عالي المواعظ والحكم والآداب والتعاليم » .

اقول وبالله التوفيق ..

ان مثل هذا القول يؤخذ منه أنه دعوة لمطالعة هذا الانجيل ومن ثم الاناجيل الاخرى من باب المقارنة بينهم وبينه .. لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة كتب اهل الكتاب ، فلقد جاء في صحيح البخاري باب قول النبي « لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء » أن معاوية حدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال « انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » .

ثم لماذا نقرأ وعندنا « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وعندنا « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » المائدة / ٤٨ وعندنا « **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** » الاسراء / ١٠٥ وعندنا « **وما كان هذا القرآن ان يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** » يونس / ٣٧ ولكنهم فرطوا وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله (كما سيأتي) ولذلك قال تعالى في سورة براءة « ذلك قولهم بأفواههم) اي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم

واختلافهم . والآيات في ذلك لا حصر لها والقرآن عندنا يقول « **وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » فصلت : ٤١/٤٢ .

وعندنا السنة ويكفي ان انقل لكم هذا الحديث الذي جاء في سنن ابن ماجة باب « اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » قال أبو الدرداء : صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » .

والقول بان هذا النهى لان المسلمين كانوا حديثي عهد بالاسلام فأقول : لقد أصبحت الكثرة الكاثرة ــ واقول ذلك والحزن يملأ الفؤاد ــ من أن المسلمين لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ولا يعرفون من القرآن الا رسمه همهم بطونهم السنة عندهم بدعة والبدعة عندهم سنة بل اصبحوا ينهون عنه وينأون عنه فرقتهم الأهواء وحطمتهم القوميات والكلام في ذلك يزيد نفسي حسرة فكأنني أمضغ الحنظل واتجرع المر .

ومن هنا اعود فأقول إنه أصبح لزاما علينا ان نطالع وبكل ذكاء وبعظيم الاهتمام قرآن ربنا وسنة نبينا وكتب علمائنا وبعد ذلك نجد انفسنا غير محتاجين إلى مثل هذه الاساطير والخرافات التي تسمى بالتوراة والانجيل بعد أن اتضحت الصورة امامنا وجلى الامر بيننا .

الملاحظة الثانية :

الفقرة التي تقول .. واخيرا يحكى انجيل برنابا رفع المسيح دون ان يصلب فيقول : « فجاء الملائكة الأطهار واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه » ..

نلاحظ ان سياق الكلام يدل على أن الكلام جاء على لسان برنابا وليس من الله ولا عن الله ولا من قبل سيدنا عيسى ولا عنه وهذا يعني انه كلام موضوع من قبل برنابا ومهما كان فلا يجوز التعبد بدين وضعه بشر ولا الأخذ به لأن الاديان لا تأتي من قبل البشر ولكن تأتي من قبل الله الواحد . ولقد بحثت في الكتب التي تيسرت لي فلم اجد برنابا هذا ضمن من كان عند عيسى عليه السلام من الحوارين اثناء الرفع الى السماء .

ثم إن الاحاديث الواردة في رفع سيدنا عيسى عليه السلام تدل على انهم كانوا يقظين اي لم يكونوا نائمين كما ذكر انجيل برنابا .

فان كان الكتاب يتحدث عن بعض الحقائق الثابتة ــ رغم انها مشوشة ومشوهة فلربما دس السم داخل العسل .. من يدري فهؤلاء وهؤلاء لا أمان لهم ولا عهد لهم كما اخبرنا بذلك المولى عز وجل (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق**) النساء /١٧١ اي انهم جاوزوا الحد وقالوا على الله الكذب والا لماذا ينهاهم ؟ وقوله عز وجل (**ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما**

ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يعملون) اي ومن الذين ادعوا لانفسهم انهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك اخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره وعلى الايمان بكل نبي يرسله الله الى اهل الارض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال تعالى (**فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)** تفسير ابن كثير لسورة المائدة الاية ١٤ الجزء الثاني وقال ايضا فيهم (**اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا**) وعلى هذا فأحبارهم ورهبانهم ليس لهم امان ولا ميثاق ولا عهد ولا ايمان ولا ايمان .

الملاحظة الثالثة :

قول الاستاذ الكاتب « وانما تقاس على كتب السيرة » اي سيرة المسلمين كما ذكر الكاتب .

فأقول يا أخي رحمك الله واعزك اي سيرة تقصد واي كتب تريد . ان كتب السيرة عندنا (إذا اهملنا اليسير مما جاء فيها من الاسرائيليات وغير ذلك) لوجدنا كتبا صحيحة شافية كافية لا غلول فيها ولا اختلاف .. لاكذب ولا تضليل انما هذه الاناجيل ـ واقولها بكل صراحة ووضوح ـ مملوءة من آخرها بل وفاضت ايضا بالدس والتدليس والكذب والتضليل والبهتان كما اخبر بذلك الله بقوله (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق)** النساء ١٧١ .

وقال (**وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله اني يؤفكون)** التوبة / ٣٠ .

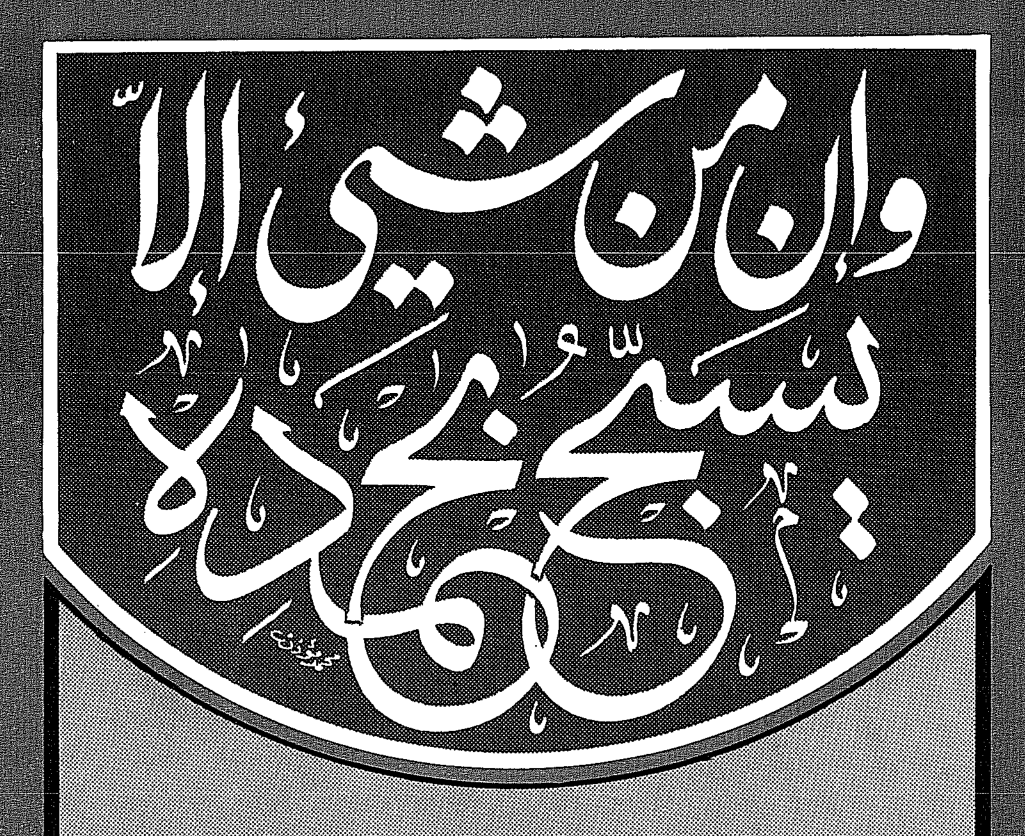
وقال تعالى : (**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)** البقرة : ١٤٦

والآيات في ذلك كثيرة جدا جدا .

واخيرا اقول

مما لا شك فيه ان هذه مغالطات جوهرية يجب الاحتراز منها حتى لا تسمم افكار المسلمين لأنها تعارض النصوص الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة واقول ذلك لاننا نحن المسلمين عانينا وما زلنا نعاني من تلاعب النصارى ومستشرقيهم ومبشريهم ، بالالفاظ والكلمات والعبارات بل بألفاظ القرآن ذاته فعلينا أن ننتبه وعلينا ان نفهم وعلينا أن نعي فالمشاهد عليهم أنهم يذكرون مائة كلمة صادقة ويدسون بينها الضلال ليحققوا مآربهم واحلامهم .

ثم لماذا لا نوجه جهدنا اولا وقبل كل شيء الى دراسة ديننا وذخائرنا فان تسعة اعشاركتبنا وتراثنا ما تزال حبيسة مكتبات دور الكتب .



للدكتور احمد شوقي ابراهيم

يقول علم الفلك الحديث إن عدد النجوم في الفضاء الكوني مثل عدد حبات الرمل في صحراء مترامية الأطراف .. والكون واسع فسيح إلى ما لا نهاية نعلمها .. فاذا تصورنا صاروخا يسير بسرعة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة حول الكون الذي يعرفه علم الفلك .. فان هذا الصاروخ يكمل دورته في ٣٠٠ ألف مليون سنة . ولما كان الكون يتسع باستمرار .. مثل بالون من المطاط ينتفخ شيئا فشيئا ، فالكون يتسع إلى ضعف حجمه بعد حوالي ألف مليون سنة .. وهذه حقيقة اكتشفها علم الفلك حديثا .. سبق القرآن بالعلم بها في قوله تعالى :

(والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) الذاريات / ٤٧ .. وعلى ذلك فان ذلك الصاروخ الذي افترضنا أنه يطوف حول الكون الذي يعرفه الانسان .. سيظل يواصل رحلته في الفضاء الكوني دون أن يكمل دورته أبدا .

وكل الأجرام في الكون في حركة مستمرة منذ بدء خلقها إلى ما شاء الله

لهـا .. وأقــرب جرم للأرض هو القمر .. ويبعد عنا بحوالي ربع مليون ميل ويدور حول الأرض في ٢٩ ونصف يوم .. والشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميـل .. والأرض تدور حول نفسها بسرعة الف ميل في الساعة .. وفي نفس الوقت تطوف في فلك حول الشمس طوله ١٩٠ مليون ميل في سنة كاملة بسرعة اكثر من نصف مليون ميل في اليوم الواحد .. وتوجد تسعة كواكب سيارة تطوف حول الشمس بسرعة كبيرة منذ بدء خلقها الى ما شاء الله لها .

أما الشمس فهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة .. وكما ان القمر يسبح في فلك خاص به .. والأرض تسبح هي الأخـرى في فلك خاص بها .. فكذلك الشمس اكتشف حديثا جدا انها ليست ثابتة .. فهي بدورها تدور حول نفسها .. وتجـري هي ومجموعتهـا من الـكواكب في فلك حلزوني حول المجرة .. إنها حقائق كونية عرفناها حديثا فقـط ولـكن القرآن الكريم ذكرها في سورة يس في قوله تعالى :

(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/٣٨ ـ ٤٠ .

وهنـاك المجـرات .. وهـي مجموعات ضخمة من النجوم .. في كل مجرة ما يقارب الالف مليون من النجوم .. وقطر مجرتنا مائة ألف سنة ضوئية .. ويقدر علماء الفلك أن بالكون ـ أو بالجزء من الكون الذي يعرفونـه ـ حوالي ٥٠٠ مليـون مجرة .. وتطوف كل هذه المجرات في الفضاء الفسيح في دورة كاملة حول مركز طواف لها كل مائتي مليون سنة .

وحركات النجوم تحدث في منتهى الدقة والنظام دون أن تتصادم مع بعضها البعض .. ولا بد أنه نظام وقانون يعجز الانسان عن وصف دقته وانضباطه .. فلـم يعـرف العلـم البشري ـ رغم المحاولات الكثيرة ـ شيئا عن مواقع هذه النجوم أبدا .. فلكل منها موقع .. يحدده قانـون محكم منضبط .. ولا شك أن مواقع النجوم أمر على جانب عظيـم من الأهمية .. لا يمكن لعقل بشر أن يحيط به .. لذلك أقسم الله تعالى به **(فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسـم لو تعلمـون عظيـم)** الواقعة/ ٧٥ ـ ٧٦ .

ومن خلال علومنا الحديثة تبين لنا أن خلق الأرض ومن عليها أقل كثيرا مما خلق الله تعالى في الكون الفسيح من عظمة واسرار يقول تعالى :

(لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) غافر/٥٧ وكان النـاس وقت نزول القرآن يعتقدون أن الأرض هي مركز الكون .. وأنها أكبر شيء فيه ..

وهذا الكون كله .. يدور ويدور .. الأرض تدور حول نفسهـا وحـول

الشمس والقمر يدور حول الأرض .. والشمس تدور حول نفسها وتطوف حول المجرة .. والمجرة بكل ما تحتوي من آلاف الملايين من النجوم تطوف حول نفسها .. والمجرات كلها تطوف حول مركز طواف لها في الفضاء الكوني الذي لا نعلم له نهاية ..

وفي كل حبة رمل .. وفي كل خلية في كل مخلوق من نبات وحيوان توجد ذرات .. والذرة تتكون من جسم في وسطها يسمى « البروتون » تطوف حوله جسيمات في منتهى الدقة تسمى الاليكترونات في نظام يشبه النظام الشمسي تماما .

فكل شئ في الكون كبيرا أم صغيرا يدور ويطوف طاعة لخالقه تعالى الذي قدر له منهج خلقه .. وسنة حياته .. فدوران كل المخلوقات طوعا أو كرها في الكون كله .. هو طاعة وانصياع وتسليم لأوامر الله تعالى .. وذلك تسبيح لخالقها وصلاة له .. قال تعالى : **(ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)** النور/٤١ ويقول تعالى :

(تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء/٤٤ وقال تعالى :

(ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) الحج/١٨ .

ومن هنا يمكننا أن نفهم معنى الطواف حول الكعبة المشرفة فهو اشتراك البشر مع ما في الكون كله وما في الوجود جميعا في منهج ارتضاه الله لعباده وهو الطواف والدوران تسبيحا له تعالى وصلاة وسجودا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أحل فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم الا بخير » .

وبالطواف حول الكعبة ينسجم الانسان مع باقي المخلوقات جميعا ويندمج مع الملائكة الذين يطوفون حول العرش في تسبيح الخالق العظيم مصداق قوله تعالى :

(وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) الزمر/٧٥ .

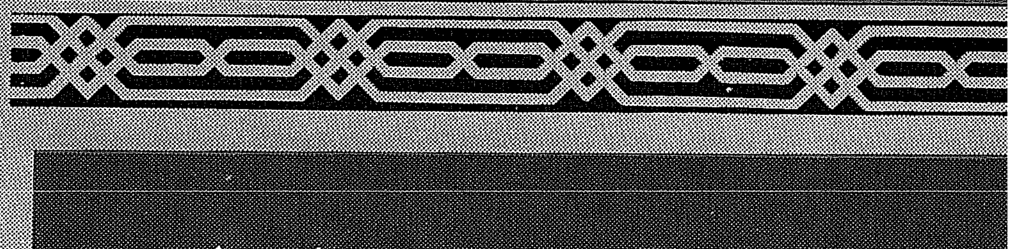
والله تعالى صنف المخلوقات جميعا وجعل كلا منها عبدا له قائما في العبادة والتسبيح له مستقلا بذلك عن باقي المخلوقات جميعا .. فالفرد عبد لله .. والمجتمع كذلك عبد لله .. والامم هي في مجموعها عبد لله والكون كله عبد لله .

وهكذا لا يخرج عن عبادة الله تعالى في الكون كله كل ولا جزء وهناك إيقاع جميل بين كل فرد ومجتمعه وبين المجتمعات جميعا .. كل ذلك في مهرجان نوراني روحاني جميل يتجه كله الى التسبيح والسجود لخالق الكون وبارئ الخلق جل وعلا علوا كبيرا .

في استقبال القرن الخامس عشر الهجري الجديد

ماذا

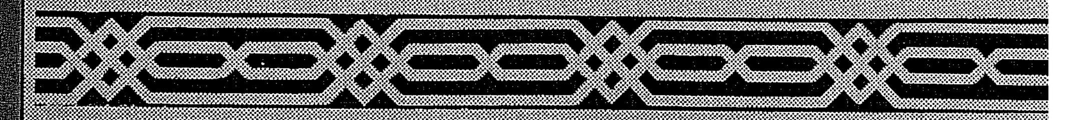
ماذا وراءك أيها العام الوليد ماذا لنا يا مطلع القرن الجديد
بعد الذي قد كان في قرن مضى مما يشيب لهوله الطفل الوليد !!
بل يصدع الصخر الأصم بوقعه ويذيب في نيرانه صلب الحديد !!
مما يضيق به الكلام ولا يفي ببيانه مهما يطل هذا القصيد !!
فلقد تمادى الغرب في استعماره وأذل هذا الشرق إذلال العبيد !!
ومضى يخدر بالوعود وبالمنى وبكل ما يغري وحقق ما يريد
في ظل ما أسماه من مدنية زوراً ومما لا يقدم أو يفيد!!
من مغريات قوضت ما قد بنى الأسلاف والأخلاف من مجد تليد!!
في ظل دين محمد علم الهدى من جاء بالآيات والذكر الحميد
والناس قد حادوا عن النهج الذي من سار فيه واصطفاه لا يحيد
نهج العدالة والمعالي والهدى والحب والأخلاص والرأي السديد
هذا الذي ملكوا به الدنيا وكا نوا سادة أيام هارون الرشيد!!
لكن أذاب الغرب في اغرائه ما قد بنينا تحت سلطان الجديد!!
وغدا التبرج للنساء حضارة واللهو مفخرة به اللاهي يشيد !!
وفشا الربا في المسلمين ولم يبا لوا في المعاملة العقاب أو الوعيد!!
والخمر والقمر استحالا عادة في كل واد للكبير وللوليد !!
واستمرأ الناس المفاسد واشتروا هذا الضلال بكل شرقي حميد
وتفرق العرب الأماجد وارتدوا ثوب الخلاف وإنه الثوب المبيد !!



لماذا؟

للاستاذ محمود محمد بكر هلال

هذا لأمريـــكا وذاك لروسيا كل يردد خلــف مولاه النشيد ! !
حتى استطالت في الحياة عليهمو فئة اليهود وحطمت كل الرصيد!!
واستعمرت أرض العروبة وارتدت ثوب القوى وعربد الشعب الشريد
والمسجد الأقصى استجار ولم يزل يشكو من الأرجاس والظلم الشديد
يدعو صلاح الديــن للقــدس التي صارت مباءة كل شيطان مريد !!
والقــدس مثــوى الأنبيــاء ومهبط الأديان والأيمان في أنقى صعيد !!
والمسلمــون وكل قوتهــم كلا م في كلام ليس يجدي أو يفيد !!
ماذا عليهـــم لو أفاقـــوا مرة من نومهم والكهف زايله الوصيد؟!
واضيعــة الإســلام في هذا الورى وبنوه قد هجروه من زمن بعيد !!
قد عطلـــوا أحكامـــه ونظامه وهما أساس الأمن والعيش السعيد
ماذا عليهـــم لو أقامـــوا دينهم ومشوا على أضواء منهجه المجيد ؟
وتوحـــدوا في ظلـــه وبنوره يغدو المسير بكل منطلـــق جديد ؟
وكفى ضياعـــا في المتاهـــات التي ضلت بنا في خطوها الواني الوئيد
فبدينـنـــا كل المنـــارات التي تهدي وترشد في المسيرة من يحيد
ولعـل هذا القـرن يطلـــع مشرقا بالسعد والتوحيـــد والنصر الأكيد
وبوحـــدة عربيـــة دينيــة تعلى لهـــذا الشرق مبنـــاه الوطيد
في ظل ديـــن محمـــد وبنوره والـكون بالأنـــوار مبتهـــج سعيد





للاستاذ/احمد عبد الرحيم السايح

هجرة الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهجرة أصحابه الذين نهضوا بإيمان صادق ، ووفاء بحقوق الدين ... تعد تحولا خطيرا في تاريخ الانسانية ، معبرا بوضوح عن تحرك الخير ، نحو الهدف الأسمى ، ومعربا عن فاعلية قوة الحق ، دون ملل أو كلل ... في إطار قابل للتكيف حسب منطق العصر .

ومن هذا المنطلق .. كانت الهجرة حركة إسلامية رائدة ، في توطيد دعائم الاسلام ، وتثبيت ركائز الأخوة ، وبناء الجماعة الاسلامية التي أخرجت للناس لتكون خير أمة .

وتحمل الهجرة في معانيها ... سمات التجدد والبناء ، والعظمة الشامخة ، والقوة الصامدة ، والنور المضيء ، والأمن المطمئن ، ومراقي العلا والسمو ، وبرد اليقين ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان ..

وذكرى الهجرة دافع قوي للأمة الاسلامية ، في مقاومة الالحاد ، والمذاهب الهدامة التي تكالبت مسعورة على نهش القيم والفضائل ..

والهجرة تجيء بعد ثلاثة عشر عاما ، يدعو فيها الرسول الأمين الى الاسلام ، ويتحمل هو وأصحابه الوانا من العذاب ، والتشتت والحرمان ..

وللهجرة دوافع وأسباب كثيرة ... نجملها فيما يلي :

أولا : اشتداد الأذى بالمسلمين ... قال تعالى : (**إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين** (سورة المطففين آية ٢٩ ـ

٣٣ .

وقال تعالى : **(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** الانعام / ٣٣و٣٤ .

ولما أسلم نفر من أهل مكة ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ..

وكان بلال بن رباح ، صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف ، يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره .. ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى .. فيقول وهو في تلك البلاء : أحد أحد .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه وامه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« صبرا آل ياسر . موعدكم الجنة « فأما أمه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام » .

ثانيا : اشتداد الأذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنالت قريش من رسول الله من الأذى ، ما لم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب .. فخرج رسول الله ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة منهم ، من قومه ، ورجاهم أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، لأنهم كانوا أخواله .. ولكن الرسول وجد من هؤلاء صدودا وإعراضا ، وأذى .

ثالثا : بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الكبرى .. وكانت البيعتان ، تنمان عن الايمان الصادق ، والغراس التي بدأت تؤتي ثمارها ..

فقد كانت البيعة الأولى على الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الأعمال ، وقد تمت مع نفر من الخزرج ، كانوا بعد البيعة طليعة الدعاة إلى الاسلام في يثرب .

اما بيعة العقبة الكبرى فقد بلغ فيها الايمان أوجه ... وحيث جاء سبعون نفرا من يثرب ، مؤمنين أشد الايمان بالله ، وبالحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، ونص البيعة كما قال عبادة بن الصامت ، وكان من النقباء . قال : بايعنا رسول الله بيعة الحرب ، بايعناه على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، والا ننازع الأمر اهله ، وأن نقول بالحق أينما كان ، لا نخاف في الله لومة لائم .

وبهذا الحلف الجديد . انفتح لرسول الله ، والذين معه من أهل الايمان باب الرجاء ، في حرية الدعوة ..

رابعا : تآمر قريش على الرسول صلى

الله عليه وسلم ، ومن معه ... قال تعالى : (**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) الانفال / ٣٠ .

بعد بيعة العقبة الكبرى ، وما كان فيها من نصرة الاسلام ، ومنعة أهله ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يلحقوا بالانصار بيثرب ، على أن يتركوا مكة متفرقين ، حتى لايثيروا ثائرة قريش عليهم ..

وبدأ المسلمون في الهجرة إلى يثرب فرادى وقد فطنت قريش للأمر ، فحاولت أن ترد كل من استطاعت رده إلى مكة ، لتفتنه عن دينه ، او لتعذبه ، وتنكل به ، وبلغت من ذلك أنها كانت تحول بين الزوج وزوجه ، وأنها كانت تحبس من تستطيع حبسه ممن لم يطعها ..

وكانت قريش تحسب لهجرة النبي إلى يثرب ألف حساب .. فقد كانت تخشى كثرة المسلمين بالمدينة ، فاذا لحق بهم محمد ، كان ذلك قوة للمسلمين ، تهدد دعاة الوثنية واذا بقي محمد بمكة ، وحاولوا منعه من الخروج منها . فهم معرضون لأذى أهل « يثرب » فلم يبق الا التآمر على قتل محمد ، وأحكمت المؤامرة في دار الندوة ، لكن عناية الله ، كانت تلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترعاه ، وتحيط به .. وقد أذن الله له في الهجرة ، ليغرس شجرة الاسلام في تربة ، تساعد على النمو . ولا تعرف احدا احق بنصر الرحمن ، وأجدر بتأييد الله من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لاقى في سبيل الدعوة ما لاقى .

ولكن التأييد الالهي ، لا يعني أبدا التفريط في أسباب الحياة ، وترك العمل ، والاخذ بالاسباب ..

ولهذا احكم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، خطة الهجرة ، فلم يبق بمكة إلا علي وأبو بكر ..

أما علي فقد نام على فراش الرسول ، وتغطى ببردة الرسول ، وكان صلوات الله وسلامه عليه ، قد أمر عليا أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ..

أما أبو بكر فقد خرج مهاجرا مع رسول الله ، بعد أن أعد للهجرة ما يلزمها ، وانتهى رسول الله ، وأبو بكر إلى الغار ليلا ، وأقاما فيه ثلاثا .

ورغم الصعاب ، ووعورة الطريق ... وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكلها أفراح ، والانصار يتسابقون في الاحتفاء بالنبي الأمين ، وتكريمه ..

وبدأ صاحب الرسالة الكبرى ... يضع خطوط المجتمع الاسلامي ، ويرسم له قواعد السلوك والأخلاق ..

وكان الأخاء العملي الذي قضى على كل ألوان العصبية ، ليتفرغ المسلمون إلى مزاولة الشعائر الاسلامية ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم ، وتعاليمه ... ومن المدينة الاسلامية ، قاعدة انطلاق الدعوة ... استطاع النبي أن يرسل كتبه إلى الملوك والرؤساء ، يدعوهم إلى رسالة

الاسلام ..

وفي الدولة الاسلامية ... أعد المسلمون ليكون قوة رادعة لكل افاك أثيم ، ولا يمكن أن تهتم أمة باعداد القوة ... ثم تظلم من جيرانها ..

وفي الهجرة دروس مستفادة ... يمكن أن يكون فيها عظات بالغة لمن كان له قلب وعقل ونجمل بعض هذه الدروس فيما يلي :

اولا : كتم الاسرار ، والمحافظة على سير الأمور ، في نطاق التخطيط المركز ، القائم على الايمان بالله .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يطلع أحدا على مسيرة الهجرة .. إلا من لهم صلة ماسة بها ، ولم يتوسع الرسول في اطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم ..

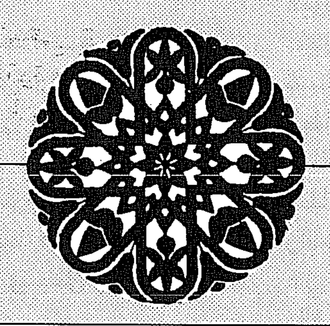
ثانيا : الاعتماد على الله ، مع الأخذ بالأسباب قال تعالى : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠ .

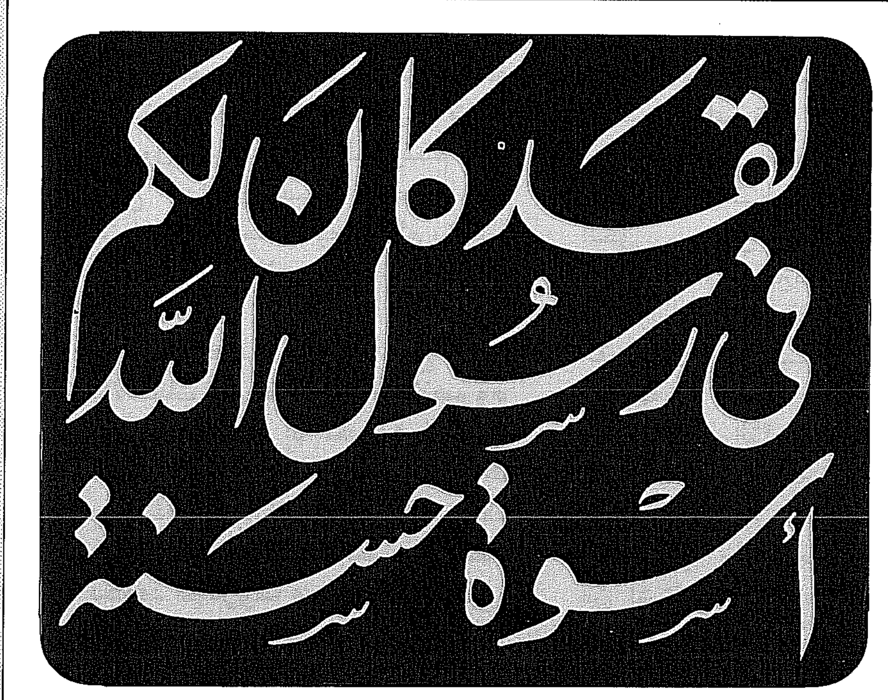
ثالثا : الايمان بالله هو دليل الفاعلية والحركية ، وذلك أن الايمان هو الروح التي تحرك الجسد ، فتبعث فيه الحياة ، وعندئذ تكون النفوس مستعدة لتحمل المسؤوليات والتضحيات . ولابد للمؤمنين من الاختبار والتمحيص .. لأنه هو الثمن الذي تعز به العقيدة في نفوس المؤمنين . والعقائد الرخيصة التي لايؤدي أصحابها تكاليفها ، لا يعز عليهم التخلي عنها . والشدائد دائما تستجيش مكنون القوى ، ومدخور الطاقة ، وتفتح في قلب المؤمنين ، منافذ ما كان يعرفها المسلم إلا تحت مطارق الشدائد ..

رابعا : الأخوة الاسلامية ، القائمة على العقيدة ... أخوة لا تعترف بالقوميات ، ولا باليمين ولا باليسار .. تلك الأخوة التي جمعت المسلمين في جامعة إسلامية واحدة ..

خامسا : الدستور القائم على كتاب الله، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ... وكتاب الله هو ميزان الحق ... حتى لا تحتاج الامة الاسلامية في مسيرتها في الحياة إلى تجارب الامم وأفكار سماسرة القوانين الوضعية ، والمذاهب الهدامة ..

وقد أثبت التاريخ والتجربة . أن كتاب الله خير حكم بين الناس ... ولم يعد المسلمون في حاجة إلى تجارب الاشتراكية والرأسمالية وما اليهما من اشتقاقات ومذاهب . وكم من الدروس يمكن ان يستقيها المسلم من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .. ففيها مثل حية للثبات والصبر والعزم ، والصمود ... وفيها : نماذج فريدة في البطولة والتضحية ، ونكران الذات والفداء ... وفيها : عمل منظم ، وتخطيط مركز ، ودراسة واعية ، واحاطة تامة .. وتعاون كامل ، وإخاء شامل ، وإيثار بالغ ، ووحدة رائعة وعزة وإباء وكرم ووفاء ...





كانت مكة في فجر البعث بلدا غريبا في تكوينه ، تجمع بين التناقض في كل شيء ، ففي عبادتها تعبد الاصنام التي نصبتها حول الكعبة ، وأكثرت منها ، فتنوعت أشكالها ، فمنها ما هو على مثال إنسان ، أو على شكل حيوان ، أو ما لا شكل له او هيئة تتصل من قريب أو بعيد بالأنسان أو الحيوان ، وفي الوقت الذي يدينون لها فيه بالعبادة يجهرون بأنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى ، ويتواصون بالمعروف بشأن الزائر الغريب ، ويجعلون هذا قانونا من قوانين حياتهم ، ودستورا من دساتير تعاملهم مع الوافدين عليهم ، فيعقدون حلفا فيما

بينهم يتعاهد عليه الجميع ، ويدين له أهل مكة ومن جاورهم يطلقون عليه حلف الفضول ، وهو حلف كريم شريف ، حتى ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقد حضر هذا الحلف يقول فيه : لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفا لو ان لي به حمر النعم ..

في هذا الوقت الذي يجمعون فيه على نصرة الغريب ، ويقفون معا صفا واحدا هذا الموقف الذي يتسم بالمروءة والنجدة .. وهي قيم يعتز بها الانسان على مدى سيرته عبر تاريخه المغرق في القدم ، فانهم لا ينصفون أنفسهم أو نوى رحمهم من الظلم والاجحاف والتجرد من أبسط العواطف الانسانية ..

فهم الذين يدفنون بناتهم بأيديهم ، ويهيلون عليهن التراب ، وعيونهم ترى الوجوه الغضة تختفي بين الرمال وتحت طيات الثرى دون أن تتحرك القلوب بنبضة حب او تفيض عيونهم بدمعة حزينة ، او تتحرك عواطفهم بقليل من الرحمة أو العطف ، إنه موقف لا يستطاع تصوير حدود قسوته وغلظة قلوب من يقومون به ، فكيف لأب له قلب ينزل هذا العقاب بفلذة كبده ؟، وكيف لأم يهنأ لها عيش وهي تسلم ابنتها راضية لأب يقوم بدور الجلاد ، وقد يتكرر هذا الفعل كل عام إذا أنجبت امرأته أنثى بعد أنثى ، وما أكثر من ينجبن الاناث بصورة مستمرة ..

ففي الوقت الذي ينشد العدل لغيره يوقع الظلم على نفسه وأهله ، برضاه وبرغبته ، وهو سعيد راض عن فعلته ، كما أن قريشا كان منها سدنة الكعبة ، وحماة البيت ، وقد أتاحت لهم هذه المكانة الرفيعة أن يرحلوا في الصيف إلى الشام والعراق ، وفي الشتاء إلى اليمن ، رحلة الشتاء والصيف كما ورد في محكم القرآن الكريم فقريش الآمنة العزيزة الجانب الثرية ، تعادي من غير شك من يريد لحياتها أو لدينها الذي ألفته تبديلا ، ولنظام حياتها تغييرا ..

وعندما جاءهم محمد « صلى الله عليه وسلم » يدعوهم إلى التوحيد ، كانت الوثنية تضع عصابة سميكة سوداء على عيونهم ، ولما دعاهم إلى الايمان بالبعث والعودة بعد الموت ، وهم يعتقدون ألا حياة إلا حياتهم الدنيا ، يولدون ويموتون وما يهلكهم إلا الدهر والقدر ، صدمهم ، وعادى فكرهم بدعوته ، ونكس معتقداتهم ، ومزق تاريخهم ، ولم يكتف بهذا بل تعداه إلى الوقوف في وجه نزواتهم ، وغرائزهم ، وحيوانيتهم ، وعدوانهم على أرزاق الآخرين ، ودعاهم إلى أن يبتعدوا عن الاتصال الجنسي إلا في حدوده المشروعة بالزواج ، وبتحريم الربا وعقاب مرتكبيه ، وحطم كئوسهم في أيديهم بالنهي عن شرب الخمر ، وجعلها أم الكبائر ، واللذة القاتلة التي تعقبها الحسرة والندامة ، ووقف حائلا بصلابة لئلا

يستغل الغني حاجة الفقير إلى المال فيوقعه في حبائل الربا التي قد لا يستطيع أن يجد لنفسه من شباكها مخرجا .

ولم يكتف بهذا ، بل إنه يدعو إلى تغيير مجتمعهم من أساسه ، وإقامته على أساس إنساني سليم ، بالمساواة بين الناس ، لا فرق بين كائن وكائن ، وبين سيد وعبد ، فالجميع سواسية كأسنان المشط ، وهم الذين قضوا حياتهم وأعمارهم في التفاخر بالأحساب والأنساب ..

لا شك أن قوما كهؤلاء يحتاجون إلى شجاعة الداعي ، وكثير من الصبر والمعاناة مما لا يتحمله عامة الناس أو يطيقونه ، ومنها يدرك المسلمون وكافة الناس إذا كانت لهم أفئدة يعقلون بها مدى ما تحلى به الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الشجاعة وقوة الاحتمال ..

فالشجاعة وقوة الاحتمال قدرتان لازمتان لكل من يتصدى للوقوف امام هذا العناد الصلب ، وضرورتان حتميتان للوصول إلى الهدف المطلوب ، وقد امتحنت شجاعة الرسول وقوة احتماله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طول حياته فما تطرق إلى عزمه وهن ، أو بدا عليه ضعف ، هذه الشجاعة لازمته منذ الصبا وحتى نهاية حياته الكريمة الفاضلة ، ففي حداثته كان يجمع لأعمامه النبال والسهام في حرب الفجار ، وخرج إلى اليمن في قافلة مع عميه فرأوا فحلا في واد قد توحش وجمح وقطع الطريق ، ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده تقدم منه غير هياب ولا وجل ، وأمسك زمامه وقاده طيعا كطفل صغير ، وبعدها اعترض القافلة واد ملئ بالماء فهابته الجماعة فتقدمهم في بساطة وشجاعة قائلا : اتبعوني .. اتبعوني ، واستحلف مرة باللات والعزى وهو صبي ، فقال : لا تسلني بهما شيئا ، فوالله ما ابغض شيئا بغضى لهما ..

فاذا كانت هذه شجاعته في صباه ، فانها إرهاص لما تلاها من شجاعة النبوة ، والتي تجلت في مواقف خالدة بقيت على مر الدهور ، شاهد صدق على شجاعة تفوق ما يحتمل البشر ، إلا من اختصه الله بها ..

ولنأخذ موقفا من هذه المواقف العديدة التي برزت فيها قدرته عليه الصلاة والسلام على مجابهة الأحداث بما يليق ، فعندما جاءته قريش عند بئر بدر بجيش كبير يزيد عدده على الألف بكثير ، معهم السلاح والكراع والعتاد ، وكلهم شجعان غارات وحروب ، شهدتها أيامهم في الجزيرة .

أما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته ، فلم يكد عددهم يجاوز الثلاثمائة إلا قليلا ، معهم سلاح قليل ، وعتاد رقيق .. فهل أخاف جمعهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ أو أرهبه عددهم وعدتهم ؟ وهو أدرى الناس بقوتهم وبطشهم وطغيانهم ، وشدة كراهيتهم لدينه ورسالته التي جاءت تسفيها لأحلامهم ، ومعتقداتهم ، وقلبا لمعايير ومفاهيم حياتهم .. كما يعلم أن بينهم وفي صفوفهم الكثير من الفرسان والمغاوير والصناديد ممن خلد الشعر شجاعتهم ، وأيام العرب وقائعهم ..

وإذا أضفنا إلى هذا أن جيش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان متألفا ، وليس من طائفة واحدة فمنهم القريشي المهاجر ، والخزرجي ، والأوسي ، ومن جاورهم من القبائل ، ممن شرح الله قلوبهم للاسلام ، كما أنهم لا ينتمون إلى طائفة اجتماعية محددة كشأن قريش ، ففيهم السيد والعبد ، وقليلهم غني ، وكثيرهم الفقير المعدم ..

إن أي قائد لجيش كهذا في مقابلة جيش قريش لابد أن يولى الأدبار ، وينثني مهزوما قبل أن يحدث اللقاء ، لأن النتيجة محسوبة سلفا ، والهزيمة محققة لا ريب فيها ..

ولكن شجاعة الرسول لا يجوز لها أن تنهار أو تنهزم أمام هذه المظاهر المادية ، هذه الشجاعة مكنته من الوقوف بقدراته المتواضعة أمام هذه القوة الضارية في هذا الوقت البعيد ، كما أن ثباته انتقل إلى قلوب تابعيه ومن كانوا معه ، عندما رأوا جلده ، وقدرته على لقاء الأحداث بعزم لا يلين ..

كما جسم موقفه في ظل دعوته ورسالته ـ دون تردد ـ فهو يناصر الحق ، ويحمل رسالة الخالق إلى البشر ولن يهزم من قلة .. والرأي الحاسم والنظرة السديدة في مواطن الشدة شجاعة أصيلة تليق بالتكريم والتمجيد إنها دروس الرسالة الخالدة التي نجد في كل فقرة فيها فصلا من فصول القدرة والحكمة والشجاعة والأباء ، وبين كل سطر من سطورها عظة باقية خالدة ، نستنير بها في كل درب من دورب الحياة ومزالقها ، ومنعطفاتها المظلمة المتعددة ، وما أجدر المربين أن يعوا هذه الدروس ليقدموها الى البراعم الغضة من أبنائنا ، وأن يعرضوها لهم في صورها السمحاء والبسيطة دون اغراق او تكلف او تعصب ، حتى تكون تربيتنا أصيلة أصالة هذه الرسالة ، وهذه الجزيرة التي درج عليها الدين ، فيعرف أبناؤنا لماذا كنا خير أمة أخرجت للناس ، وأن رسولهم الصادق الأمين خير أسوة كريمة لهم : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)** الأحزاب/٢١ .

لم تغن عن قريش تلك الجموع ولا تلك الأسلحة التي جمعوها وأعدوها ، بل ذاب كل هذا كما تذوب الثلوج تحت أشعة الشمس الملتهبة ، وحرارة القيظ الملتهب ، وتحطمت أحلام قوادهم وزعمائهم على صخور العـزم الأشـم ، والشجاعة والثبات والتضحية والفداء والايمان والاخلاص لرسالة السماء ..

وكل ما يهمنا هنا أن نشير إلى موقف مشركي قريش بعد هذه الهزيمة التي لقيتها في معركة بدر ، فقد انكفأت مكة على نفسها تغلي من الغيظ ، وتموج بالموجدة ، وتتقلب على نار الهزيمة عاما كاملا ، اثنى عشر شهرا أو خمسة وستين وثلاثمائة يوم من الأيام التي لا يمكن التفرقة فيها بين الليل والنهار .. فليل الموتور كليل المريض كله ألم ومشقة ، وملؤه عنت ومشقة وارهاق ، وأكثره سهر ونصب ..

كان أهل مكة ينظرون الى بعضهم البعض ، ولكن الخزى يرى في قسمات

وجوههم ، والحقد يغلي في قلوبهم ، والألم يعتصر نفوسهم ، إذ كيف للقلة القليلة التي تركت أرضها وبلادها الحصينة فرارا بدينها ، عندما اشتد الكرب وعظم البلاء ، وبعد أن أصبحت مكة على سعتها ، وامتداد أرباضها ساحة للتنكيل والعذاب والانتقام .. وصاروا يتفننون في تعذيب ارقائهم والمستضعفين منهم ..

وكيف لهؤلاء الضعاف المستضعفين الذي جاءوا الى الحرب راجلين لا يملكون فرسا أو بعيرا ؟ كيف لهم وهم لا يكادون يحملون قوتهم وزادهم ، وبيدهم هذه الاسلحة البسيطة التي لا تصمد للقتال إلا قليلا ، لقد كانوا أشبه ما يكون بمن يحمل مدية جاء بها لمن يحمل سيفا ، وبمن يحمل غدارة جاء ليقاتل بها من يحمل مدفعا ، كما أن هؤلاء الضعاف المستضعفين ليس لهم تاريخ سابق كتاريخ قريش في شجاعتها وشجعانها ، وبأسها ونوى البأس فيها ، فهذا الوليد وأبناؤه يتقدم الصفوف ، وهذا عمرو بن ود ونظراؤه يقفون حيالهم ، وذاك أبو جهل بعنفه ورجاله وعبيده ، وغيرهم ومن حولهم .

فهم الأكثر جندا ورجلا ، والأثرى مالا ، والأعز نفرا ، فكيف ينكفئون مهزومين مثخنين بالجراح ، ويعودون يحملون جثث أبنائهم وآبائهم وإخوانهم ، ومن لم يفقد أعز أقربائه وأحبابه فقد عضوا من أعضائه أو عبيدا من رقيقه ، ومن لم يفقدسلاحه فقد لسانه ، فقد أخرسه ما حدث ، ومن لم يفقد لسانه فقد عقله ، فانطلق لسانه دون ضابط أو رابط ..

لقد كانت هزيمة أقل ما يقال عنها أنها كانت منكرة أو أبسط ما توصف به أنها كانت هزيمة لا يستطاع تقدير حجمها ، لأنها هزيمة لم تكن متوقعة ، هزيمة المتباهي بجبروته وقوته ممن لا يتوقع منه هزيمة ، كانت جولة خاطفة خروا فيها صرعى تحت ضربات قاضية في الوقت الذي كان يتصورون أن النصر في أيديهم ، وأن محاربة المسلمين ما هي إلا نوع من المزاح ، قد يجلب إلى قلوبهم السرور والتسلية والتندر ، عندما يعودون إلى ديارهم ومرابعهم ، يحملون على سيوفهم دماء المسلمين ورءوس المهاجرين ، وشباب يثرب الخاطئين ، الذين وقفوا ندا لقريش ونسوا أنها سادنة الكعبة وسيدة العرب دون منازع ، ومكة مركز التجارة والحضارة .. وزادهم غيظا تندر الشعراء بهم في شعرهم ، ووصفهم الكريه للهزيمة التي ألمت بهم وبجموعهم ، والاذلال الذي لحق بهم وهم يهربون من الميدان ، وكأن الجن تلاحقهم ، والوحوش تنوشهم وتتخطفهم ، والنبال تتبعهم وتخترق قلوبهم وأكبادهم ..

ولقد كانت نساؤهم من أشد من عيرهم ، وأنحى باللائمة عليهم ، وأخذوا على مدى عام كامل يطعمونهم ذكرى الهزيمة ، ويسقونهم مرارة الذل ، ويرددون على مسامعهم صباح مساء وقائع المعركة ، وانتصار المسلمين فيها ، وما تردد من قصص وأخبار وشجاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته ، وتولى قريش يوم الزحف ، وعندما التقى الجمعان ، وتلاحم الجيشان ..

إن الهزيمة التي لحقت بهم في « بدر » بأبعادها ، جعلتهم يأخذون للأمر

أهبته ، ويستعدون للقاء في معركة يستردون فيها كرامتهم الجريحة ، ويرفعون فيها هامتهم التي أثقلتها الهزيمة ، يرفعونها ليس بين العرب قاطبة في انحاء الجزيرة وعلى امتدادها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ولكن بين ذويهم أيضا ، وبين ذوى قرابتهم وأهليهم ، فقد كان عاما طويلا أقصر منه الدهر ، شاقا على النفس ، فليس أشق على النفس من الذل بعد العزة ، والهوان بعد الرفعة والسمو ، والخيبة والمذلة على المشاعر التي تعودت الانتصار والغلبة ..

ومن ذلك ما كان من أبي سفيان حين رجع الى مكة ، ورجع المهزومون من بدر ، فنذر ألا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يتصور وهو زعيم من زعمائهم ، ورأس من رءوسهم ان يصل الأمر الى هذا الحد ..

فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه ، فسلك « النجدية » حتى نزل قناة الى جبل يقال له « ثيب » من المدينة على مسافة قريبة ــ دون أن يعلم به أحد ــ ولما جن الليل ذهب متسللا حتى أتى بنى النضير تحت جنح الظلام ، فأتى « حيى بن أخطب » وهو زعيم من زعماء اليهود في المدينة ، فضرب عليه بابه ، فأبى ان يفتح الباب وخاف الطارق ، فانصرف أبو سفيان إلى « سلام بن مشكم » وكان سيد بنى النضير في ذاك الزمان وصاحب كنزهم ومستودع أموالهم ، فاستأذن فأذن له فقراه وأطعمه وسقاه ، وأخبره ما يريد عن المدينة وعن المسلمين وعن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

وعاد في ليلته إلى أصحابه حتى أتاهم ، فبعث رجالا من قريش ليلا إلى ناحية منها يقال لها العريض ، فأشعلوا النار في بعض نخيلها ، ووجدوا بها رجلين أحدهما من الأنصار وحليفا له من المهاجرين ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، كقطاع طرق ، ولم يجرءوا على الاعلان عن أنفسهم ، وهذا يدل على مدى اليأس الذي أحاط بهم بعد انتصار بدر ..

وإذا كان المسلمون قد جدوا في طلبهم بعد أن علموا بهم ، فان هذا لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا أن نرى صورة كفار مكة بعد الهزيمة .. وأن نعلم أن المسلمين لا يهزمون من قلة ، وأن الهزيمة تكون في القلوب والسرائر ، وأن النفوس الملأى بالايمان ، الغنية بمشاعره ، الثرية بقيمه وأحاسيسه ، المطمئنة إلى جواره ، هي التي ترفع ألوية النصر وأعلامه دائما .. فالكثرة لا تسلب الانتصار والغلبة دون هدف أو عقيدة ، إنها كالسيل العرم ، صادف أرضا هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت زرعا .

(قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) البقرة/ ٢٤٩ .

إن من واجبنا في مجتمعنا المسلم أن نجعل من أهدافنا كآباء ومربين أن نركز العقيدة السمحة في نفوس أبنائنا ، وأن نبين لهم أن الوقوف بجانب الحق يكسب صاحبه القدرة ، ويمنحه الانتصار دائما ، والحق على كبر حجمه ، وعظمة آثاره ، لا يمكن وصفه أو الاحاطة به سوى أن نقول : إنه كل ما جاءت به رسالة

السماء ، من إيمان بالله ، وعبادته ، وطلب المنفعة وتجنب المضرة منه وحده ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وإقامة العدل بين الناس ، والتقيا في الضعيف ، وإعانة المحتاج ، والوقوف في وجه الظلم ، والبعد والتباعد عن كل ما يجلب الضرر للمسلمين ، والعفة في القول والعمل ..

(ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز) ابراهيم/١٩ و ٢٠ . وصدق الله ورسوله .

مكثت قريش وأحابيشها الذين حاربوا معها عاما كاملا تجتر هزيمتها ، وتستعد للاخذ بثأرها ، فالعربي قد يصبر على الجوع والعطش ، وقد يصبر على الالم والمرض ولكنه لا ينسى ثأره مهما تعاقبت عليه الاحداث في هذه الحياة ، انه كالابل التي عاش في كنفها ، ورضع لبانها واكتسى بأوبارها لا تترك ثأرها ، ولكنها تتحين الوقت الملائم للقصاص .

وقد تحينت الوقت بعد عام جمعت فيه ثلاثة الاف ويزيد من المقاتلين ، وليس كل من يحمل سيفا مقاتلا ، ولكنهم انتقوهم من المشهود لهم في ميادين الكر والفر ، والجلد والبطش ، والقتال والنزال ، والقدرة على تحمل الصعاب والمشاق ، فهي معركة ثأر وكرامة ورد اعتبار .

وتزعم الجيش الذاهب للميدان ابو سفيان بن حرب ، وهو يتحرق شوقا لهذا اللقاء ، وهو الذي نذر عندما عاد بعيره من بلاد الشام بقافلة التجارة ، بعد معركة بدر ، نذر الا يضع على شعره ماء حتى يثأر من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه .

ولم يكتف ابو سفيان بقريش ، ولكنه استعان بأحلافها من كنانة واهل تهامة ، ووفر للجيش المقاتل حاجته من ظهور الابل والخيل والسلاح ، وعاهدهم الا يفروا ، والا يتركوا ارض المعركة ، فاصطحبوا معهم نساءهم ، وكان اول جنده في هذا الامر فاصطحب معه هند بنت عتبة ، واحتذاه سادة قريش فخرج عكرمة بن ابي جهل بام حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن امية ببرزة بنت مسعود الثقفية ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منيه بن الحجاج .

وساروا في تحد حتى نزلوا بعينين ، وهو جبل قريب من المدينة يسمى الان جبل الرماة ، فلما سمع بهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون وقد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله لصحابته : اني قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقراً لي تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت اني ادخلت يدي في درع حصينة .. ثم قال رسول الله صلى عليه وسلم مفسرا ما رأى : اما البقر فهم ناس من اصحابي يقتلون ، واما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو

رجل من أهل بيتي يقتل .
ثم اتبع قوله هذا : فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا ، فان اقاموا اقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، فقال رجال من المسلمين : يارسول الله ، اخرج بنا الى اعدائنا ، لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا ، وقال قلة منهم : اقم بالمدينة لا تخرج اليهم ، فو الله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ، ولا دخلها علينا الا اصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما اتوا الينا .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نزل على أمر الكثرة منهم .

وفي الطريق الى أحد انفصل عن جيش الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلثه قادهم عبد الله بن ابي بن سلول زعيمهم وعاد بهم الى المدينة ، وكلهم من اهل النفاق والريب ، ولما انفصلوا عن الجيش ناداهم عبد الله بن عمرو بن حرام قائلا :

« يا قوم اذكركم الله الا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم .. » فقال قائلهم : « لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال » فلما استعصوا وابوا العودة ، قال لهم : « أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه .. ومضى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره الى أحد ، وقال : « لا يقاتلن احدكم حتى نأمره بالقتال » .

وكان جيش رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سبعمائة رجل ، وامر على الرماة عبد الله بن جبير وعددهم خمسون رجلا فقال : ياعبد الله انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، ان كانت لنا او علينا .. ودفع اللواء الى مصعب بن عمير .. وكان بالجيش عدد من الصبية ، أرجعهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة ، واثنى عليهم ولكن اثنين منهم وهما سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة أصرا على البقاء والقتال ، وقال سمرة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ انني احسن المصارعة يارسول الله ، وقال رافع : انني احسن رمي النبال ، واصرا على البقاء ، فرضخ لرغبتهما ودعا لهما وباركهما .. وانصرفا فرحين متهللين ليأخذا مكانهما بين صفوف الجيش من صحابة رسول الله .

وعلى الصعيد الاخر كان خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل .

وقبل ان تبدأ المعركة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط جنده وعسكره وكلم صحابته واتباعه مناديا وقد رفع سيفا في يده :

من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ .. فوفد اليه الكثير ، وتقدم منه رجال ، ولكنه أمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال : وما

حقه يارسول الله ؟ فقال : ان تضرب به العدو حتى ينثني .. فقال أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فاعطاه إياه .. وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكانت له عصابة حمراء يضعها على رأسه ليعلم الناس أنه سيحارب .. فلما أخذ السيف من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين رأى ابا دجانة هكذا : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن .. وقال ابو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يابني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما رأيتم ، وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فاما أن تكفونا لواءنا ، وإما ان تخلوا بيننا وبينه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم اذا التقينا غدا كيف نصنع فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، واخذن يضربن بالدفوف خلف الرجال ويحرضنهم قائلات :

ويها بني عبد الدار
ويها حماة الاديار
ضربا بكل بتار
ان تقتلوا نعانق . ونفرش النمارق .
او تدبروا نفارق . فراق غير وامق .

وقبل ان نرحل الى ساحة المعركة لابد لنا من وقفة قصيرة ، نتعرف فيها على بعض الملامح والمعالم الاسلامية ، فالاسلام لم يعرف الضغينة ، ولو كان الامر كذلك لكان المسلمون قد ذهبوا الى مدى بعيد في التحرش بقريش ، وبخاصة بعد ان انتصروا عليهم في بدر وكسروا شوكتهم ، ولقنوهم درسا قاسيا ، ولكن التحرش أتى من الناحية الاخرى ، أتى من المشركين الذين امتلأت نفوسهم غيظا وكمدا وحقدا ، بعد أن هالهم حجم الانتصار في بدر ، ورأوا في الثأر شفاء لأنفسهم المريضة ، لان الاسلام لا يعرف الثأر والحقد والبغض ، وإنما يعرف الدفاع عن كل ماهو حق وعدل ، كأن تستباح ارض الاسلام او عرض المسلمين او دماؤهم او اموالهم ، او يتهددهم غيرهم في دينهم :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة / ١٩٠

كما نرى ان الرسول الكريم اخذ اصحابه بالشورى ، ولم تستخفه طاعتهم وإذعانهم له ، واتباعهم لكل ما يقول ، وهو لا ينطق عن الهوى . ورغم ان رأيه كان البقاء بالمدينة وعدم الخروج الى الاعداء ، فاذا سولت لهم انفسهم الدخول لاقوا هزيمة اشد وانكى من هزيمة بدر ، ولكنه نزل على رأى الكثرة من صحابته ، لانهم احتكموا الى مبدأ إسلامي يريد الله ان ينشره بين المسلمين لتكون الشورى عماد الحكم في كل بلد ، وعلى كل ارض حملت لواء الدين الحنيف .

استعد الجيشان للقتال ، وقد أخذت نساء قريش اللاتي صحبن أزواجهن الى المعركة ، يرددن الرجز على دقات الدفوف ، ويدعون جند الكفار الى القتال ، والمسلمون في الطرف المقابل يتحرقون شوقا للقاء ، فقد وعدهم الله احدى الحسنيين في كل قتال مشروع : النصر أو الشهادة وفاقا لهم ..

والتحم الجيشان ودارت المعركة ، وهنا يحق لنا أن ننقل بعض مشاهدها أو صورا منها لم نسمع عنها من قبل فيما ألفنا أن نسمع ، ان هذه المعركة رغم نتائجها كانت ذات أثر فعال في حياة المسلمين وفكرهم ، وسوف نتحدث عن هذا بعد أن ندخل الى صميم المعركة وننزل الى أرضها ، وننقل مشاهدها عن كثب ، لقد اقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الكفار ، فجعل لا يلقى أحدا الا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا للمسلمين الا أجهز عليه ، فدعا الله أحد المحاربين المسلمين أن يلتقي هذا الرجل بأبي دجانة فقد كان قريبا من موقعه ، واستجاب الله الدعاء والتقيا وتضاربا بسيفيهما ، وكان المشرك هو البادىء فتلقى أبو دجانة الضربة بدرعه فأصاب سيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله بضربة واحدة ، ورأى امرأة تبقر بطون شهداء المسلمين فتبعها وأراد قتلها لفعلها القبيح ، ورفع سيفه يريد الاجهاز عليها ولكنه ربأ ـ كما قال ـ أن يضرب بسيف رسول الله امرأة ، وعندما تأملها مليا وجد أنها هند بنت عتبة زوج أبي سفيان .. وقاتل حمزة ابن عبد المطلب عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتالا شديدا وكان المشركون يهربون من وجهه عندما يلوح لهم من بعيد ، وكان يختار من يتجه اليه بسيفه ، فكان يعمد الى زعماء الكفر ، ولاح له من بعيد أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، فانقض عليه ، ولم يستطع النجاة منه ولم يفارقه حمزة الا والسيف يمزق أحشاءه والراية تسقط على الرمال مضرجة بدماء أرطاة ، ثم مر به محارب مشرك يقال له سباع بن عبد العزى الغبشاني ، فلقيه حمزة قائلا : هلم الى يا بن مقطعة البظور ، وكانت أمه ختانة بمكة .

قال وحشي غلام جبير بن مطعم : والله لأنظرن الى حمزة يصول ويجول بسيفه في رقاب أهل مكة ما يبقى شيئا مثل الجمل الأورق عندما يستثار اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلم الى يا بن مقطعة البظور ثم ضربه ضربة أطاحت برأسه ، وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فاخترقت جسمه من أسفل بطنه ، فأقبل نحوي رافعا سيفه ، وكاد يقضي علي ، ولكنه غلب قبل أن يصلني فوقع عن فرسه ، وأمهلته حتى اذا مات ، عدت فأخذت حربتي ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره ، فقد قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أعتقت ، حتى اذا فتح رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ، هربت الى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليسلموا ضاقت علي الأرض بما رحبت فقلت : أين أذهب ؟ الى الشام أو الى اليمن ؟ أو الى بلاد غيرهما ؟ فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل : ويحك ! انه والله ما يقتل أحدا دخل في دينه من الناس مهما كانت ذنوبهم أو خطاياهم قبلها .. فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعندما وقفت أمامه نطقت بالشهادتين ، فنظر الرسول الي مليا وقال : أوحشي أنت ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ..

فقال : اقعد ، وحدثني كيف قتلت حمزة ؟ فلما فرغت من حديثي قال : ويحك ، غب عني وجهك فلا أرينك ، فكنت أتنكب ـ أي أبتعد ـ عن رسول الله حيث كان ، لئلا يراني حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم ..

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرجع الى قريش فقال : قتلت محمدا .. فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللواء علي بن أبي طالب .. ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت راية الانصار وطلب علي بن أبي طالب ، وقال له : تقدم وخذ الراية ، فتقدم علي وقال : أنا أبو القصم ـ أي أنني أبو النوائب ـ فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم في المبارزة ؟ فقال علي كرم الله وجهه : نعم أنا لك ، وأسرع وخرج بعيدا عن الصفوف لملاقاة أبي سعد ، وتضاربا بسيفيهما ، ولم تمض سوى جولات بينهما حتى ضربه علي بن أبي طالب بسيفه ولم يجهز عليه .. ولما قال له الصحابة رضوان الله عليهم : أفلا أجهزت عليه ؟ قال : عطفتني عنه الرحم ، وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ..

والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن حرب ، وكانت لهما جولات ، فلما استعلاه حنظلة وأوشك أن يضربه بسيفه ويقضي عليه رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان ، فضربه وقتله دفاعا عن أبي سفيان .. ولما بلغ الخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال عن حنظلة : ان صاحبكم لتغسله الملائكة .. وذهب حنظلة في عداد الشهداء الذين كتبت لهم الجنة .

وأنزل الله نصره على المؤمنين وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المكان ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .. قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشجرات هوارب ، ما دون أسرهن وأخذهن قليل أو كثير : وأخذ المشركون يولون الأدبار ، ويهربون من أرض المعركة ، ونزل الرماة من الجبل ، وكشفوا ظهورنا للخيل ، فجاءنا

المشركون من خلفنـــا ، وصرخ صارخ ، الا إن محمدا قد قتل .. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللـواء حتـى لم يستطع أحد أن يدنو منه ، ولم يزل لواؤهم ملقى على الأرض ، حتـى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيـة فرفعته لقريش ، فاجتمعوا حوله من جديد ..

يقول الرواة ان السبب في هزيمة المسلمين في أحد ، هو نزول الرماة من الجبل الى أرض المعركة بحثا عن السلب ومتاع الدنيا ، بعد أن أصاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمـون نجاحـا ، وأمسـكوا بتلابيب النصر ، وأصبحت المعركة مضمونة الكسب والنهاية لصالـح المسلمين ، وهذا يبين لنا أن النصر دائما يكون للايمان الذي يملأ القلب ثباتا والنفس ثقة وعزة ، وهذا درس يجب أن يعيه المسلمون ، فلن يكون هناك نصر للمسلمين اذا حاولوا أن يغلبوا جانب الدنيا على الآخرة ، وأن يرخصوا دينهم في سبيل دنياهم ، وأن تتحـول الحـروب الى مغانـم ومنافع ، وأن يحيد الجهاد عن هدفه الاسمى ، وأن نكون صادقين في كل ما نأتيه من عمل حربا أو سلما ..

وقد كتب الله الشهادة ، وضمن الجنة للمسلمين الذين أسلموا قبل معركة أحد بوقت قصير ومن هؤلاء رجل يدعى الاصيرم ، يقول أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ حدثوني عن رجل دخل الجنة فور اسلامه ، ولما سألوه عنه قال : أصيرم بني عبد الاشهل ، وهذه كنيته واسمه عمرو بن ثابت فقد كان يأبى الاسلام ، فلما خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى أحد ، دخل الاسلام الى قلبه فأسلـم ثم امتشق حسامه ولحق برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أحد ، ثم قاتل حتى جرح جرحا بليغا فبينما رجال ــ بني عبد الأشهل ــ يلتمسون قتلاهم في المعركة ، اذ بهم يعثرون عليه ، وفيه بقية من روح ، فيعجبون للأمر ، فقد تركوه وهو أشد الناس عداوة للمسلمين ، فيقتربون منـه ، ويسألونه : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أو رغبة في الاسلام ؟

فيقول لهم وهـو ينتـزع آخـر أنفاسه : بل رغبة في الاسلام ، آمنت بالله ورسوله وأسلمت ، ثم لم يلبث أن مات بين أيديهم .. فذكروا ما حدث لرسول الله صلى الله عليـه وسلـم فقال : انه لمن أهل الجنة ..

لقد انجلى غبار معركة احد ، ولم يكد كفار قريش ينتزعون النصر في اعقاب هزيمتهم حتى ولوا مدبرين خوفا من ان يكر عليهم المسلمون مرة اخرى فتنقلب الموازين كما انقلبت مرتين منذ بدء المعركة ، فقد رأوا ان النصر قلب ، وقد تتحول الامور الى غير ما يهوون ، وهم ادرى بقـوة المسلمين وجلدهم بعد ان خاضـوا غمار معركتين معهم ، وذاقوا بأس لقائهم ، وقوة شكيمتهم ..

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الاخبار يستعـد لجولة اخرى لتجبـر ما حدث لولا رحيلهم العجل ، فقد ارسل ــ صلى

الله عليه وسلم ـ الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ـ فلما وافاه قال له : اخرج في اثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان تركوا الخيل وركبوا ظهور الابل فانهم ذاهبون الى مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدوننا مرة اخرى بالمدينة ..

ثم يتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجاعة وثبات : والذي نفسي بيده لئن ارادوها ، لأناجزنهن .. ولسوف ينصرني الله عليهم .

ويقول علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ : خرجت في اثارهم فرأيتهم يحثون السير ، وقد اعتلوا ظهور ابلهم واطلقوا العنان لافراسهم تعدو في الوادي امامهم ، فرجعت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بالخبر ..

وقبل ان نترك ميدان المعركة ، او نطوي صفحتها او نجاوزها الى غيرها نستعرض بعض مشاهد ختامها .

عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب في اعقاب المعركة وقبل ان ينجلي غبارها ، حاول امية بن خلف ان يهجم عليه وهو يقول : لا نجوت ان نجوت يا محمد ، فقال القوم من اصحاب الرسول ايعطف عليه رجل منا يا رسول الله ؟. فقال صلى الله عليه وسلم :دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حربة من الحارث بن الصمة ، ويقول بعض القوم الذين شهدوا الموقف ، فلما اخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير ـ اذا انتفض بها ـ والشعراء ذباب له لدغ ـ ثم استقبل أمية بن خلف بالحربة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه هرارا .ولأمية قصة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقد كان عندما يلقاه بمكة وكان من اشد الناس كفرا يقول : يا محمد ، ان عندي « المعوذ » وهو فرس سريع العدو ..

ويتابع امية حديثه الى الرسول : اعلفها كل يوم فرقا من ذرة ، وسوف اقتلك عليه ، فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بل انا الذي اقتلك ان شاء الله .. وعندما عاد امية الى قريش وقد خدشه بحربة الحارث بن الصمة ، وقد احتقن الدم في جسمه قال امية : قتلني والله كما وعدني ، فقال له القوم : ذهب والله فؤادك ، وما بك من بأس ، فقال امية لقد توعدني بمكة وانذرني بالقتل فوالله لو بصق علي لقتلني عندما اقتربت منه ثم مات من جرحه وهم في الطريق عائدون الى مكة ..

وهكذا نجد ان شجاعة الرسول لم تزايله في اشد اوقات الضيق ، كما لم تفارقه نظرته الصائبة للامور عندما بعث عليا رضي الله عنه لينظر في اثر القوم فاذا كانوا يستعدون لجولة اخرى لقيهم كما لم تفارقه فراسته وحدة ذهنه عندما قال له : اذا وجدتهم يعتلون ظهور الابل فهم يريدون مكة واذا رأيتهم يركبون خيلهم وافراسهم فهم يبطنون العودة للقتال وعلينا ان نستعد لهم ..

وفي اشد ساعات الحرج والضيق

لم ينس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحابته الذين استشهدوا في ساحة القتال فقال : هل من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ افي الاحياء هو ام في الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : انا انظر ما فعل سعد ،.. فنظر فوجده في الجرحى وبه رمق فقال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان انظر افي الاحياء انت ام في الاموات فقال سعد : انا في الاموات فأبلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عني السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : انه لا عذر لكم عند الله ان خلص نبيكم وفيكم عين تطرف قال الانصاري : ثم لم ابرح حتى مات فجئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته خبره ..

وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فقال حين رأى ما رأى : لولا ان تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطن السباع والطير ولئن اظهرني الله على قريش لامثلن بثلاثين رجلا منهم كما مثلوا بسيد الشهداء فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب ويقول ابن عباس رضي الله عنه ، ان الله عز وجل انزل في ذلك قوله تعالى :

(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) النحل / ١٢٦و١٢٧ فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم امر بالقتلى يجمعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه مرة ثانية معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ..

وهكذا نجد وفاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفة ظاهرة وواضحة من بين صفاته الكريمة المتعددة فهو لا ينسى صحابته في أوقات الشدة يسأل عنهم ويتقصى اخبارهم فرغم البلاء الذي نزل بالمسلمين والكرب الذي حل بهم في هذا اليوم الا انه لم يهتم بنفسه قدر اهتمامه بصحابته والسؤال عما اصابهم ، كما كان بارا بأهله ، يدل على هذا حزنه على حمزة وصلاته عليه هذه الصلاة الكثيرة المتتالية كما كرمه لبلائه في الاسلام وتضحيته في سبيله بكل شيء فأطلق عليه لقب سيد الشهداء ..

ومن رأفته بأهله ما قاله لاصحابه عندما شاهد صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة رضي الله عنهما مقبلة نحو حمزة بعد ان استشهد حتى لا ترى ما حل به بعد ان مثلت به هند بنت عتبة زوج ابي سفيان لانه قتل أباها واخاها في معركة بدر ..

قال ابن اسحاق وقد اقبلت فيما بلغني ــ صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وقد كان اخاها لابيها وامها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها يا امه ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمرك ان ترجعي فقالت : ولم ؟ وقد بلغني ان مثل بأخي وذلك في الله لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله .

فلما جاء الزبير الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخبره بذلك قال : خل سبيلها فأتته فنظرت اليه واسترجعت واستغفرت له ، ثم امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فدفن ..

وكان موقف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجلده على ما الم به وما الم بأهله باعثا على الاسوة الحسنة بين المسلمين الذين اصابهم قرح في احد او غير احد او اصابهم مصيبة فقد عودهم الصبر والنظر الى السماء في انتظار الفرج والطمع في ثواب الله ورضاه ..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ رواه عبد الله بن ثعلبة ــ لما اشرف على القتلى يوم احد قال : انا شهيد على هؤلاء .. انه ما من جريح يجرح في الله الا ويبعثه الله يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون الدم والريح ريح مسك ..

ثم يقول : انظروا اكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه امام اصحابه في القبر .. ان قيادة الامم امتحان صعب لمن يتولون زمام الامور ومن يصلون الى اماكن الصدارة فيها .. واذا كان هذا ينطبق على قادة الامم والشعوب فما بالنا برسول يرسله الله لتغيير المجتمع واعادة التوازن الى فكر الناس وحياتهم وارساء قواعد الحق والعدل وبث الطمأنينة وزرع السعادة في قلوب الناس جميعا ووضع حدود لقوة القوى بما له او جاهه او سلطانه وأمن الضعيف وتثبيت المذعور والخائف ..

لذا كان الامر بعد ان حدث ما حدث في « احد » وبعد ان استطاع المشركون ان يحرزوا نصرا هزيلا وان يفروا به ان يعيد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثبات الى قلوب اصحابه والا يجعل نصر بدر يذهب بددا ويضيع هباء او ان تعبث به رياح احد ..

لقد كان يوم احد يوم السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال اذن في الناس مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يطلب العدو .

وبهذا استطاع ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يرد كيد اعدائه الفرحين بما حل به وبأصحابه الى نحورهم وان يقضي على شماتة الشامتين وان يبدل شعورهم خيبة وحسرة وان يدفع المنافقين ليقضموا اصابعهم من الغيظ ، وأن يعيد الطمأنينة الى صحابته واتباعه ومن سار على درب الهدى والايمان في اثر نبيه الصابر الكريم .. وأذن المؤذن مرة ثانية ليقول للناس : لا يخرجن الى طلب العدو الا من كان معنا بالامس ، فالجهاد شرف لا يناله الا من سعى

اليه ..

فجاءه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ان ابي قد خلفني بالامس على سبع اخوات وقال : يا بني انه لاينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك بالجهاد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نفسي فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له الرسول فخرج معه وقد خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرهبا للعدو وليعرفوا انه خرج في طلبهم وانه لازال كما كان في بدر وعند اول النصر في احد وانه يستطيع ان ينازلهم حتى بعيدا عن المدينة وقريبا من ديارهم ... وعسكر برجاله في « حمراء الاسد » وهي من المدينة على ثمانية اميال واقام ثلاثة ايام الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة وقد مر به وهو هناك معبد بن ابي معبد الخزاعي وكانت خزاعة رغم أنهم لم يدخلوا في الاسلام بعد الا انهم كانوا يودون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا لا يخفون عنه شيئا فقال معبد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا محمد اما والله لقد عز علينا ما اصابك ولقد وددنا انتصارك عليهم .. ثم قال : ان قومي وان كانوا على غير دينك الا اننا كنا نود انتصارك عليهم بعد ان ملئوا الارض فسادا ورجسا .. وسار في طريقه بعد ان ترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلقي ابا سفيان ومن معه من جند المشركين بالروحاء وكانوا قد استقر رأيهم على العودة للقتال فقد اعتقدوا انهم قد انزلوا ضربة موجعة بالمسلمين وان العودة لقتالهم افضل من الانتظار وقد تشاوروا فيما بينهم وقالوا : لقد اصبنا اصحابه واشرافهم وقادتهم ثم نرجع ونكر عليهم ونستأصل شافتهم قبل ان يستعدوا لقتالنا مرة اخرى ولكن ابا سفيان عندما رأى معبدا قال له : ما وراءك ؟

قال معبد : محمد قد خرج يطلبكم في جمع من اصحابه لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد خرج معه من كان قد تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم الشيء الكثير .

قال ابو سفيان : ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .. قال لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال له معبد : اني انهاك عن ذلك والله لقد حملني على ما رأيت الاخلاص والوفاء لك وكان يقصد من هذا صرفه عن قتال المسلمين فثنى ابا سفيان عن عزمه والقى الرعب في قلبه حتى ان ابا سفيان عندما مر به ركب عبد القيس قال لهم : اين تريدون ؟ فقالوا نريد المدينة ولما سألهم عن السبب اخبروه انهم يريدون الميرة اي الطعام او الحبوب التي يصنع منها الدقيق والطحين فطلب منهم ابو سفيان ان يبلغوا عنه محمدا رسالة ومقابل هذا سيحمل رواحلهم هذه بأحمال من الزبيب من عكاظ .

ولما سألوه عن الرسالة قال : اذا وافيتموه فأخبروه اننا قد قررنا السير

اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو بحمراء الاسـد فأخبروه بما قال ابو سفيان فعرف ما وراء الرسالة وهو ان ابا سفيان يود اخافته ولكنه لا يستطيع العودة فليس هناك من الاسباب ما يدعـو عدوا محاربا ان يقول هذا فالحرب خدعة ومفاجأة متى استطاعهمـا الجيش المحارب مهد لنفسه سبيل النصر في أغلب المعارك .

ولما قدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة وكان عبد الله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة قد سره ما حدث واثلج فؤاده انتصار اعداء الدين وكان يظن انها المعركة التي ينتهي فيها شأن الاسلام وانه لن تقوم له قائمة بعدها .. وعندما رجع الرسول من بني اسد قام عبد الله ابن ابي بن سلول كما كان يقوم كل جمعة في قومه وبعد ان ينتهي صلى الله عليه وسلم من خطبة الجمعة ليقول : ايها الناس هذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين اظهركم اكرمكم الله واعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوا .

وبعد ان صنع يوم احد ما صنع وعاد بثلث الجيش وامتنع عن القتال قام يفعل ما كان يفعل كل جمعة فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت .. فخرج يتخطى رقاب الناس في المسجد وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا ــ اي شرا لقد قمت لاشد ازره ــ يقصد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد وقد بان عليه الغضب فقال له : مالك ؟ ويحك فقال عبد الله بن ابي : قمت اشد امره ــ اي اؤازره وانصره وادعو له فوثب على رجال من اصحابه يجذبونني من ثوبي ويعنفونني .

قال له الرجل الانصاري : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال : والله ما ابتغـى ان يستغفر لي .

وقـد يتسـاءل سائـل عن صبـر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المنافقين وهو قادر على البطش بهم والضرب على ايديهم وقد نقول انه صلوات الله وسلامه عليه قد ارسل هاديا ولم يرسل منتقما ولا جبارا يقضي على كل من يعارض او يقف في طريقه والا لنفر الناس منه وفي اكثر من موضع يوصي الله عز وجل رسوله الهادي بالصبـر وسلـوك السبيـل المحبب الى نفوس البشر قائلا عز من قائل :

(ادع إلى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيلـه وهـو أعلـم بالمهتدين) النحل / ١٢٥ .

قال ابن اسحاق : كان يوم احد يوم بلاء ومصيبة ويوم تمحيص اختبر الله سبحانه وتعالى به المؤمنين واظهر به المنافقين ممن كان يظهر الايمان لسانه وهو متخف بالكفر في قلبه ، وبما اكرم الله فيه من اراد كرامته بالشهادة من اهل ولايته .



الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم . والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل . وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

المستشرقون

ارسل الاخ فايز أبو شيخة ـ الكويت ـ كلمة للشباب فيها دعوة وموعظة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد

قدم المستشرقون من بلاد شتى بثقافات مختلفة ومشارب متعددة وقد سيطرت عليهم فكرة مؤداها ان الشرق يغط في نوم عميق وتسهل السيطرة عليه لذلك نراهم قد اندفعوا متسلحين بكل الاسلحة العلمية الحديثة ودخلوا بلاد الشرق المسلم وخالطوا ابناءه وشاركوهم حياتهم اليومية وعرضوا افكارهم على البسطاء منهم وبعض المثقفين فجرف تيارهم فئة تاهت عجبا بما انجزه الغرب ونسوا اوتناسوا تاريخهم العظيم ومجد اسلافهم الافذاذ وتراثهم الهائل الذي اسهم بشكل فعال في تكوينهم وتوجيههم الوجهة الطيبة الصادقة وبنى لهم دولتهم التي طاولت بجاهها السحاب . وضربت بنهضتها المثل تلو المثل لجيلها وللاجيال من بعدها وما ارتقت كل هذا الارتقاء الا لانها اسست على التقوى وبنت مجدها على هدى من كتاب الله وسنة رسوله لم تلعب بها الاهواء ولم تشدها المفاتن والاعراض الزائلة .
ولكن انصراف المسلمين اليوم عن دينهم وتعاليم ربهم جعلهم فريسة لكل متنمر وغاصب فما اسهل ذلك ما دامت الساحة قد خلت من الرجال الذين تسلحوا بدينهم واصبح انصاف المتعلمين يتصدرون الصفوف .

في هذا الجو تنمو الافكار المنحرفة وتروج المذاهب الهدامة وتنشر الثقافات الملحدة ، وسط هذه الظروف الملائمة وجد بعض المستشرقين ضالتهم المنشودة فعاثوا في الارض فسادا يكتبون وينشرون ويجمعون انصارا استهواهم البريق

الخادع والامل الواسع ولكنه في الحقيقة سراب يراه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

والعيب ليس في المستشرقين فهم يخدمون مصالح بلادهم ويحققون اغراضهم انما العيب في تخاذلنا وجهلنا فلم نحافظ على شبابنا وهم رجال المستقبل وعدته وقادة نهضته ومسيرته فان كانوا قد نشئوا على ما صلح به جيلنا السابق سادوا واجادوا وان كان غير ذلك صاروا وبالا على قومهم وامتهم واصبحوا عوامل هدم وتدمير وتأخر .

فبدلا من ان تكون امة قوية صامدة تضرب المثل الدال على قوتها وعزها في كنف الاسلام تفتخر بمجد زائف يزول ويتحطم امام اي زحف مهما كان ضئيلا .

ودينا يحذرنا بشدة في حرص وحسن رعاية يقول الله سبحانه :

« يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يرد وكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

فهل من صحوة وعودة لديننا حتى نكون جديرين بخلافة الله في الارض ؟

خصال حميدة

أرسل لنا الأخ عبدالجواد محمد الخضري كلمة حول الروابط الاجتماعية واثرها الفعال وحسن المشاركة عند حدوث نبأ سار وذلك تأكيدا على ما يدعو اليه الاسلام من دوام الشكر لله سبحانه على نعمه .

تلك كلمة تذكرنا بما نسيه المسلمون وهجره الناس في مجتمعنا المعاصر من خصال طيبة واننا ندعو الشباب ان يعيشوا مع هذه النسك وينشئوا ابناءهم على حبها والى الشباب هذه الكلمة .

حين ننظر الى الاسلام بين الأنصاف والمنهاج التجريبي ، ندرك ولأول وهلة أن قيم التشريع لم تترك أي باب إلا طرقته ـ مادام يتعلق بالانسان مع ربه أو بالانسان مع مجتمعه ـ ولعلك ترى أن الفقه الاسلامي زاخر بالمكنونات ، عبادات ومعاملات تشريعات وحدود ، أما الأطعمة فقد أفرد لها بابا خاصا لأنها قوام الانسان ونلتقي هنا مع نسيكة من نسك الله تعالى ، هجرها مجتمعنا المعاصر ونسى الناس وما أحسبهم إلا متناسين « العقيقة » التي هي محط آمال الفقراء الذين لا يجدون إلى كسب القوت حيلة ولا يستطيعون سبيلا ، لا أستطيع أن أقول شيئا إلا التبيان حتى يعلم من يريد العلم ـ أن كل شعيرة من شعائر الله لها سر خفي عنا ، وربما لو علمناه لتعجبنا ، على سبيل المثال .. يشتكي الناس من غلاء سعر اللحوم ! نعم ، ولولا أن الحق تبارك وتعالى عوض الانسان بالبروتين النباتي لما أمكن أن يعيش ولخارت قواه .. وماذا على المسلمين لو علموا أن كل مولود من الأغنياء من السنة أن يذبح عنه وليه ذبيحة ويوزعها على الفقراء

أو يطعمهم في وليمة عنده .. هل يبقى أحد من الفقراء يحس طعم الفقر وألم الجوع ؟ لا ورب الكعبة .. زد على ذلك ان الاغنياء ضنوا حتى بالاضاحي وعندنا في مصر تكاد تنقرض هذه السنة إلا في الأقاليم .. وكلي أسف على هذا الحال المخزي ثم أجد القلم يسيل بلعابه ليخط لعل وعسى ، وكأنني أرى الخلق يودعون الشعائر !! قلق بالغ أحسه وهيهات !! وأيا ما كان الأمر فان العقيقة تحفظ على المجتمع الانساني حبه وتعيد اتزانه على أقوم نسق ..

العقيقة لغة — أي عند علماء اللغة — اسم للشعر على رأس المولود حين ولادته وشرعا : الذبيحة عن المولود يوم سابعه — ذكرا كان أم أنثى .

وتكون في اليوم السابع من حين الولادة ، ولو فعلت قبل الولادة فليست من السنة في شيء بل تكون للافتخار ليس إلا !

ودليلها واضح من السنة النبوية :—

فعن سمرة رضي الله عنه — أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلى ويسمى — رواه احمد والأربعة .

ومن هذه العجالة السريعة نتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم سن شاة عن الغلام ذكرا كان أم أنثى وسن ايضا شاتين عن الغلام وشاة عن الأنثى فما علة ذلك وهل هناك تعارض بين الروايات ؟! لقد وقف علماء الاسلام من الفقهاء مواقف شتى منها (أ) انه يعق عن الغلام بضعف ما يعق عن الجارية واستدلوا بالحديث الوارد عن عائشة وقووا رأيهم ، وعاضدوه برواية ابن عباس من طريق عكرمة بلفظ كبشين كبشين — أعنى عن الحسن والحسين ! وإلى هذا الرأي ذهب الشافعي وأبو ثور وأحمد وأصحابه ، وذهب مالك إلى أنه يجزيء عن الذكر والأنثى عن كل واحد شاة للحديث الوارد عن سمرة (سبل السلام) .

ويرى الخطيب الشافعي أن أصل السنة أن يعق بشاة ، وما أراه إلا مخالفا لجمهور الشافعية كما أورد صاحب سبل السلام ، ولو أنه علم أن الرواية أتت بلفظ كبشين كبشين لحل رأيه — على العموم فصل ابن القيم رحمه الله تعالى — فقال : إن العقيقة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديث الشاتين من قوله وقوله عام وفعله خاص وهي متضمنة الزيادة فكان الأخذ بها اولى .. هذا ما أورده (زاد المعاد ج ٢ ص ٣ ط المطبعة المصرية — القاهرة) .

« حكم العقيقة مثل حكم الأضحية الشرعي »

وهي سنة مؤكدة للأحاديث الواردة فيها وإلى هذا الرأي ذهب جمهور العلماء .

تلك هي أحكام العقيقة ولأن اللغة تجبرنا أن نجد موضعا لنلحقها بالشارع فان الأمام الزمخشري أغنانا عناء البحث بقوله : العقيقة في الأصل للشعر على رأس المولود ، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم ليبين اعجاز التشريع بقوله في الحديث الشريف .. يافاطمة :.. احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضة على المساكين) ولابد ان نتأمل موقف الاسلام من عناء الحياة تجاه المحتاجين — ان الفقير لو اخذ حقه من الأغنياء لما سمعنا انينا وسخطا على الدنيا ومن فيها !!



بقلم : صلاح احمد الطنوبي

إن الهجرة من مكة الى المدينة تعد من الأحداث الفاصلة في تاريخ الدعوة الاسلامية ، فهي نهاية لعهد تعرض فيــه المسلمــون الأولــون لألــوان الاضطهاد والأذى فما ضعفوا وما استكانوا وبداية لعهد جديد نصر الله جل جلاله فيه الاسلام على أعدائه نصرا عزيزا مؤزرا ، حيث خاضت القلة المؤمنة حروبا عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما أجدت كثرة المشركين

وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم ، لتصبح كلمة الله تبارك وتعالى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

اختار المصطفى صلى الله عليه وسلم لمرافقته في رحلته الكبرى ابا بكر الصديق (رضي الله عنه) دون سائر أصحابه فكان اختيارا موفقا ، لان ابا بكر (رضي الله عنه) أصلح الصحابة للقيام بهذه المهمة ، وتاريخ أبي بكر قبل الاسلام وبعده يؤيد ترشيح الصديق لهذا الاختيار النبوي الكريم ..

أبلغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) امر الهجرة الى أبي بكر رضي الله عنه تلميحا لا تصريحا ، فلما أذن لأصحابه ان يهاجروا من مكة الى المدينة طلب أبو بكر (رضي الله عنه) منه أن يأذن له في الهجرة ، فأمهله صلى الله عليه وسلم قائلا :

« لا تعجل يا أبا بكر لعل الله يجعل لك صاحبا » .

وفهم الصديق (رضي الله عنه) من هذه الجملة انه قد يصاحب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هجرته ، فاستعد وجهز راحلتين تنقلانه هو والرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، فلما أذن الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة واخبر ابا بكر (رضي الله عنه) بذلك فاضت دموع الصديق من فرط السرور ، واخذ يقول : « الصحبة يا رسول الله ، الصحبة يا رسول الله » فقال صلى الله عليه وسلم : « الصحبة يا أبا بكر » فبكى ابو بكر من شدة الفرح ، وخرجا سرا في ظلام الليل الى غار ثور .. ولقد جد الكفار في البحث عن محمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه (رضي الله عنه) إلى أن وقفوا على باب الغار ، فقلق أبو بكر خوفا على حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وقال له : « لو أن احدهم نظر الى قدميه لأبصرنا » فقال النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم) « يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

فهدأت نفس ابي بكر (رضي الله عنه) وعادت الى قلبه الطمأنينة ، وقال الله جل ثناؤه :

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة / ٤٠ .

اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه :

كانت المؤامرة التي دبرها الكفار ان تقوم مجموعة من قريش تتألف من كل عشيرة فيها ، بحيث تنتدب عنها شابا فتيا ويعمد هؤلاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فيضربونه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتوزع دمه في جميع العشائر فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم ، فلما كانت الليلة التي عزموا فيها على تنفيذ المؤامرة تربصوا قرب داره ، منتظرين الفرصة الملائمة لاغتياله ، فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ان ينام على فراشه قائلا : « نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » . ودعا الله عز وجل أن يعمي ابصارهم فخرج صلى الله عليه وسلم ، وقد غشيهم النوم ، فوضع على رؤوسهم التراب :**(وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون)** يس / ٩ .
قال المرحوم عباس العقاد في تحليل شخصية الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) : « آداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة ، كانت القوة طبعا في على فطر عليه وأدبا من آداب الأسرة الهاشمية نشأ فيه ، وعادة من عادات الفروسية العملية التي يتعودها كل فارس شجاع » .

عبدالله بن ابي بكر (رضي الله عنهما)

وكان دوره هو استطلاع اخبار قريش بمكة ، والوقوف على رد الفعل الذي احدثه خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) سرا ، وما عسى ان يدبره زعماؤها لوقف مسيرته ، وبذلك يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم وابو بكر (رضي الله عنه) على بينة مما يحاك خلفه من مؤامرات ، فيستطيع ان يتقيها ، ويبلغ مأمنه في طيبة (المدينة) .

أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) :

وكان دورها (رضي الله عنها) في الهجرة أن تأتي النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه (رضي الله عنه) بالماء والزاد وهما في الغار ، وظلت (رضي الله عنها) على ذلك ثلاث ليال متعاقبة تقتحم الصحراء الموحشة في رهبة الظلام ، وهي غر صغيرة ولا تبالي العيون والأرصاد التي تبعثها قريش في الطريق من مكة الى المدينة ، لتظفر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) .. ولما هم الصاحبان بالرحيل الى المدينة جاءتهما اسماء (رضي الله عنها) بما يحتاجان اليه في رحلتهما من زاد وماء ، وهمت بتعليقه في رحل البعير ، فلم تجد رباطا ، فحلت نطاقها وشقته نصفين ، ربطت بأحدهما الزاد ،

وانتطقت بالآخر ، فقال لها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) « أنت ونطاقاك في الجنة » وسميت بعد ذلك « بذات النطاقين » .

عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) :

ولقد شاركت اسماء دورها الخالد في الهجرة اختها عائشة (رضي الله عنها) ـ كما تروي معظم كتب السيرة ـ وكانت لا تزال طفلة دون العاشرة فخاضت بذلك تجربة اكبر من سنها الصغيرة ، مما اكسبها نضوجا فكريا ونفسيا مبكرا اتاح لها القيام بادوار كبرى في مستقبل حياتها .. ولقد كان اقتحام ابنتي الصديق (رضي الله عنهما) ظلمات البيداء حاملتين لابيهما وصاحبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حاجتهما من الماء والطعام ، غير مباليتين بما قد يصيبهما من اذى ، بلاء أي بلاء ، وجهادا اجل جهاد .

عامر بن فهيرة (رضي الله عنه) :

وكانت مهمته في الهجرة مهمة مزدوجة ، ان يرعى غنم ابي بكر رضي الله عنه نهارا ، فاذا امسى قصد الى الغار ، واحتلب للنبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (رضي الله عنه) .. وأن يتبع بالغنم مسار عبدالله بن أبي بكر بعد عودته من غار ثور الى مكة ، فيعفي على ما تركته أقدامه من آثار في رمال الصحراء .. قوة إيمان وصدق عقيدة .

دليل الهجرة « عبدالله بن أريقط » :

ان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم والصديق (رضي الله عنه) لعبد الله ابن أريقط الديلمي (وهو رجل من كفار قريش) ليكون دليلهما في الطريق الى طيبة (المدينة) ليدل على حسن الاختيار ، لان ابن أريقط قد سلك بالنبي « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه « رضي الله عنه » طريق الساحل ، الأمر الذي لم يرد على خاطر قريش ، اذ لم يكن طريقا مألوفا في ذلك الحين ..
وثمة شرطان اساسيان للاستعانة بخبير من غير الملة :

اولهما : ان يكون موثوقا به .
والثاني : ان يكون اختياره حتميا بمعنى الا يوجد من اهل الملة مثيل له وقد توافر هذان الشرطان في عبدالله بن أريقط ، اذ يقول كتاب السير : انه كان كافرا ، لكن النبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (رضي الله عنه) وثقا به ، وكان دليلا بالطرق ، وجاء في الحديث الصحيح :
« انه كان هاديا خريتا اي حاذقا يعرف مضايق الطرق » لذلك دفع الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (رضي الله عنه) راحلتيهما اليه ، واستأجراه ليدلهما الى طيبة (المدينة) .

الهجرة النبويّة الشريفة

للدكتور : أحمد حسنين القفل

ما بالُ مكةَ زُلزلَتْ زِلزالَها … والأرضُ فيها أَخرجتْ أثقالَها
والناسُ فَوضَى ، والمشاعرُ سُعِّرتْ … وقلوبُهم شَتَّى . تُرى ما هَالَها ؟
ماذا دَهَاهُم ؟ قد تَنَاثَرَ عِقْدُهُمْ … حَبَّاتُه انصدَعَتْ ، ولا رَأْبَ لها
أوثانُهم تلك التي فُتِنُوا بها … بَاتَت بَوَارًا ، يتقون زَوالَها
هَاجُوا ومَاجُوا شاهِرِين سُيُوفَهم … خَانُوا العُهودَ حَرَامَها وحَلالَها
السَّيْلُ قد بلغَ الزُّبَى في مكةٍ … مَاذا أَلَمَّ بهَا فَغَيَّرَ حَالَها

هو ذلك « الأُميُّ » يَدعُو جاهدًا … « اللهُ لا نِدٌّ له » قد قالَها
وَحْيُ السماءِ عليهِ ينزلُ مُنذرًا … لا تُعبَدُ الأصنامُ ، بل تَبًّا لَهَا
هو ذلك « الدينُ الجديدُ » تأَرقَتْ … منه الجُنُوبُ ، ونالَها ما نَالَها
دينٌ تساوَى الكلُّ تحتَ لِوَائِهِ … فاللَّونُ والأجْنَاسُ لا وَزْنَ لها
دينٌ : هي التَّقوى تُميِّزُ أهلَه … والفضلُ فيه لمن تَفَيَّا ظِلَّها
دينٌ : هي الشورى دِعامَةُ حكمِه … دُستُورُه القرآنُ سَجَّل فَضْلَها
والمسلمون غَدَت تزيدُ جُمُوعُهم … في « دارِ أرقَمَ » بَاشَرتْ أعمالَها

كفارُ مكةَ إذْ تَنَاجَوْا أقسَمُوا … أن يُنقِذُوا الأصنامَ مِمَّا نالَها
وغَدَوْا على حردٍ يُحرضُ بعضُهم … بعضًا على مَنْ بات مُحتَقِرًا لها
أتباعُ « أحمدَ » أصبحُوا هدفًا لهم … كم من نفوسٍ قَطَّعُوا أوصالَها
هذا « بلالٌ » أحكمُوا تعذيبَهُ … فَرْدٌ تَحدَّى عُصبةً وضَلالَها
اللهُ مَوْلَى « آلِ ياسر » إذ هُمُو … قد أُزهِقتْ أرواحُهم طُوبَى لَها
كَمْ من شهيدٍ مؤمنٍ ذاقَ الرَّدَى … من طُغْمَةٍ إبليسُ قَادَ عقولَها

حتى أتى أمرُ السماءِ بهجرةٍ ... للمسلمين ليثربٍ ، فمشَوْا لَهَا
خرجوا ثباتٍ مؤمنين بدينهم ... والكافرون ـ وبالأسَى ـ فَطِنُوا لَهَا
فتآمَروا وتجمَّعوا كي يَقتلوا ... « عَلَمَ الهُدَى » في داره او حَوْلَهَا
و « عليٌ » يَكمنُ في فِراشِ « محمدٍ » ... في جُراةٍ كانَ الفِداءُ سبيلَهَا
خرج النبيُّ عليهمُو فاذا بهم ... في غفوةٍ من نومةٍ يُرْثي لَهَا
صَحِبَ النبيَّ « صديقَه » في رحلةٍ ... لازالت الدنيا تُردد فَضْلَهَا

في « غَار ثورٍ » قد حماهُ إلَهُه ... من عصبةٍ للشرك قصَّ حِبَالَها
هذى « الحَمَامَةُ » قد اقامت عُشَّهَا ... بالباب . ما احدٌ إذَنْ قد نَالَهَا
و «العنكبوتُ» نسيجُها يَحكي لهم ... أنَّ الاقامةَ فيه لا مَعنَى لَهَا
والله « ثالثُ » صاحبَيْنِ تآلَفَا ... في الغار يحمي النفس يُصلح بَالَهَا
يا « غارَ ثورٍ » كنت لُغزًا صامتا ... بل آيةً تروى بلا مَثَلٍ لَهَا

وقريشُ ماجَتْ ، بل وجُنَّ جُنونُها ... أغرت « سُراقةَ » أن يكونَ دَليلَهَا
أوصتهُ أن ينسابَ خَلْفَ « محمدٍ » ... ليَرُدَّهُ قَسْرًا فتَشفِي غِلَّهَا
مهلا «سراقةَ» ! إنه «خيرُ الورى» ... فَهْوَ ابنُ بَجْدتِهَا ومن يُرجَى لَهَا
واللهُ عاصمُ « عبده » قد صَانَهُ ... في كل ضائقةٍ يَمرُّ خلالَها
غاصت قوائم مُهْرة لسراقة ... ما خَطْبها ؟ شَدَّ الإلهُ عِقالَها
« أنصت سراقةَ : سوف تمنح اجلاً ... من مُلْكِ كِسْرَى منحةً تَرضَى لها
ستكونُ يومًا ضمن جيشٍ مسلمٍ ... تمشي لنصرتِهِ غدًا تَسعَى لها »
يا دهرُ أنصتْ ! ياصَحارَى سجِّلي ... بُشرى « أمينٍ » واثقٍ قد قالَها
والفارسُ المغوارُ يرجعُ هائمًا ... نفسٌ بها شيطانُها يُمْلي لها
هان الرهانُ . وعاد تألَّمَ نفسُه ... من فعلةٍ هدَّامةٍ ، تَعْسًا لَهَا

هذا « رسولُ الله » جاء ليثربٍ ... والله أوصلَ بالرسولِ حِبالَهَا
صار المُهاجرُ « للمقيم » اخًا لهُ ... والكل أعطَى للرسالة مَالَهَا
والنصرُ أضْحَى حِلْفَ قومٍ بايَعُوا ... ربَّ الحَنيفةِ أن يَظلُّوا حَولَهَا

شمسُ الحقيقةِ أشرقت من يثربٍ ... فأضاءت الدنيا جميعًا كُلَّهَا
والله قَيَّضَ للحنيفةِ هجرةً ... مهما أقولُ فلن أُوفِّ فَضلَهَا
والمسلمون بَدَا بها تاريخُهم ... ذكرَى جهادٍ مثمرٍ يُعزى لها
طوبَى لرائدها محقِّقِ فَضْلِهَا ... طوبى لنفسٍ حَطَّمت أغلالَها
اللهُ مَوْلَى المؤمنين يُعِزُّهم ... لكنَّ دارَ الكفرِ لا مَوْلَى لَهَا
اللهُ أقسَمَ أن يتمَّ نورَه ... للمسلمينَ كامةٍ أوْحَى لها
أوْحَى لَهَا القرآنَ دستورًا لها ... يُثرى ويُصْلِحُ دائمًا أحوالَها



المرأة المسلمة

في كلمة ارسلتها الاخت سعاد صبحي شحاته من الأردن نقتطف منها ما يلي :

يقولون المرأة نصف المجتمع بل هي المجتمع بكامله .

فعلى المرأة تقع مسؤولية تربية الأولاد والبنات الذين هم عماد المجتمع وشباب المستقبل فاذا اعتنت المرأة بتربية اولادها وربتهم تربية اسلامية صحيحة شبوا افرادا صالحين في مجتمع صالح والا كانوا وبالا على مجتمعهم وسببا من اسباب فساده وانهياره .

ولهذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختيار الزوجة الصالحة ، قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » متفق عليه تربت يداك : أي ملئت يداك خيرا .

وقال عليه الصلاة والسلام « الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة » رواه مسلم فأول شيء يفعله المسلم عند اختياره شريكة حياته هو اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين لان الدين باق مع الانسان وملازم له بعكس المال والحسب والجمال . وقد جعل الله تعالى قوامة البيت للرجل دون المرأة لانه اقوى بفطرته على ادارة شؤون البيت قال تعالى « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** » سورة النساء آية/٣٤ .

والمرأة في بيت زوجها تكون مطيعة له الا اذا امرها بمعصية الله تعالى فلا سمع ولا طاعة .

وتعلم أولادها الدين وتقرأ عليهم القرآن وتحفظهم اياه وتعلمهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان احد العلماء يقول تعلمت نصف علمي من امي كانت تقرأ علينا كل يوم من القرآن والحديث .

ويجب عليها أن تعتني ببيتها وتحافظ على نظافته وتهيىء أكبر قدر من الراحة لزوجها وأولادها وتهيء لهم الطعام والشراب وتنظف ملابسهم ولا تفرق بينهم في المعاملة .

قال عليه الصلاة والسلام « المرأة راعية في بيت بعلها وولده » مسلم .

وتحافظ على أمواله وأولاده وعلى نفسها سواء في حضوره أو غيابه ولا تأذن لأحد في بيتها إلا باذن زوجها قال عليه الصلاة والسلام « ألا ان لكم على نسائكم

حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

والمرأة المسلمة لا تحمل زوجها ما لا يطيق من المصروف البيتي ومن الانفاق على لباسها وزينتها بل تعرف ماهية زوجها وتتصرف في مالها ومال زوجها بالحكمة من غير إسراف ولا تقتير .

وليس أغلى على الانسان من عرضه فيجب عليه أن يحافظ عليه أكثر من ماله وجواهره وليس هناك مكان أنسب ولا أفضل للمرأة من البيت تجلس فيه مع أولادها وبناتها .

ولكن إذا اضطرت المرأة للخروج من البيت فتخرج باذن زوجها فقد كانت النساء في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجن لحضور الصلوات وللعلم والجهاد ولزيارة اهلهن فاذا خرجت المرأة لسبب من الأسباب فلا تخرج متعطرة متبرجة بل تخرج محتشمة بلباس الاسلام .

قال تعالى « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** » الآية ٣١ من سورة النور .

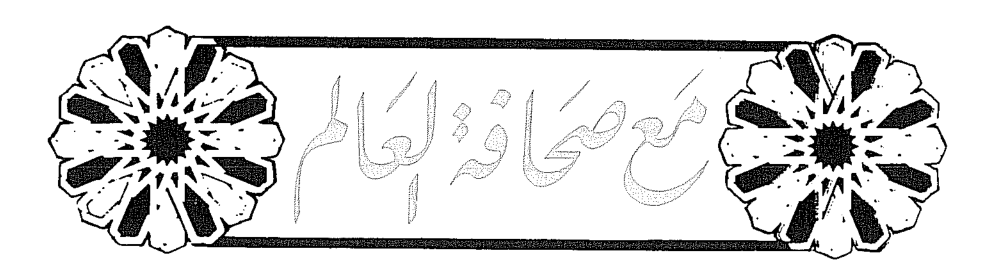
إذا اضطرت المرأة للعمل فتعمل في مكان بعيد عن الاختلاط بالرجال الأجانب وعدم الخضوع واللين في الكلام قال تعالى « **يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** » الاحزاب/ ٣٢ وعلى المرأة أن تبتعد عن الغيبة والنميمة لأن هذا الشيء تقع فيه كثير من النساء فاحذركن واحذر نفسي منه .

اما بالنسبة لما على الزوج من حقوق فعليه أن يعتني بزوجته وأولاده ويؤمن لهم المسكن والملبس والطعام والدواء قال الله تعالى « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » سورة البقرة آية/٢٢٣ .

اما اذا كانت المرأة جاهلة في دينها فعلى الزوج أن يعلمها الدين والصلاة وقراءة القرآن وذكر الله تعالى لانه مسؤول عنها امام الله تعالى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « والرجل راع على أهل بيته » مسلم .

فلماذا يغضب الرجل من زوجته إذا لم تقم بخدمته وطاعته ولا يغضب منها إذا تركت أمر الله تعالى فهذا شيء بعيد عن الصواب وسيحاسب عليه .

فكان أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتعلمون من رسول الله ثم يعودون إلى بيوتهم يعلمون زوجاتهم وأولادهم .



محاولة لوقف انتعاش الحركة الاسلامية

نشرت مجلة الرائد الهندية التي تصدر عن دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ كلمة تحت هذا العنوان للشيخ واضح رشيد الندوي جاء فيها :

في مستهل العام الأخير من القرن الرابع عشر ثارت ضجة في العالم ، وتكثفت تكهنات وتنبؤات حول ما يحمل القرن الخامس عشر للعالم الاسلامي ، وشغل هذا السؤال اذهان الكتاب والمفكرين وعامة الناس ، وكان فيهم المخلصون للاسلام والمسلمين ، وفيهم من كان يحاول ان يجعل هذه المسألة وسيلة للكيد ضد الاسلام والمسلمين .

وقد صادف انقضاء القرن الرابع عشر بوادر يقظة في المسلمين بنمو الادراك فيهم بأنهم اضطهدوا وخدعوا وأهينوا في ستار الثقافة والعلم ، والحضارة والتقدم والحرية ، وأنهم خسروا من قيم الحياة ، ومن شرف الانسان وحرية الذات ، واذيبوا في مصاهر مختلفة وتعرضوا للدعاية الحاقدة والتشويه بقوة السلاح في ظل نظم عميلة ، وطبقة مثقفة مأجورة ، فاقدة الضمير .

كان هذا الشعور قد تطور خلال سنين طويلة من الارهاب والاضطهاد والموقف المعاند للاسلام والمسلمين في سائر أنحاء العالم وحملة الدعاية الكاذبة للنمط الاسلامي للحياة وطبيعة الاسلام ، وتصوير المسلم تصويرا يخيف الانسان بشكله وبنواياه ، وبطريقة حياته ، بحيث أنه لو سمح له بأن يتحكم في أمور الحياة فانه سيعود بها إلى عهد الهمجية ويريق الدماء ، ويسلب حرية الانسان ويمحو آثار الحياة ، وتعود الحياة إلى عهد الجمال والرمال وتلقي سائر الفلسفات والمذاهب الفكرية والعقائدية وذخائرها في البحر أو تحرق .

كان تصوير الاسلام والمسلمين هذا التصوير البشع ، الذي يتناقض مع تاريخ الاسلام ومع حياة المسلمين

تناقض النار والماء ، بأقلام رجال درسوا التاريخ والعلوم الأخرى ، ووصلوا إلى مناصب الاعلام والتربية والتثقيف بقلوب حاقدة ، مفعمة بروح الانتقام لتتلمذهم على جيل أساتذة كانت تحركهم وتحرقهم الدعاية الصليبية والصهيونية والوثنية ، التي نمت وتطورت خلال عهد انحطاط المسلمين وتداعى كيانهم ، وخلال العهد الأخير من الحكم الاسلامي في مختلف أجزاء العالم ، ظل الاسلام والمسلمون خلال هذه الفترة كلها في قفص الاتهام دينامفترى عليه .

فلما تصعدت الجهود لنهضة المسلمين نتيجة لما عانى المسلمون من إرهاب وتذليل ، وقهر وتشويه علمي ، وثقافي بأيدي الحكام الأجانب وأيدي المرتزقة من حكامهم المسلمين ، وحاول المسلمون أن يستعيدوا شرفهم وطالبوا بحقوقهم المدنية المشروعة في البلاد التي يعيشون فيها بموجب دستور البلاد ، وبدأوا نشاطات دستورية لرفع كلمتهم وليعيشوا كوحدة ذات شخصية ، بحقوق دستورية ، ويصونوا لغتهم وثقافتهم ، خافت القوى التي صورت الاسلام والمسلمين تصويرا بشعا ، أن يعود للاسلام مجده ، وأن يصفو جوه ، ويظهر وجهه النقي النزيه ، فتجذب إليه القلوب ، وتميل إليه النفوس ، ويصبح الاسلام دينا ونظاما للحياة ، يقبل عليه الناس بعد ما يئسوا من سائر الأنظمة والفلسفات التي اختلقها الغرب وفرضها على العالم بقوة السيف ، والدعاية والاعلام المضلل والتلفيق . . .

لقد خضعت الانسانية طويلا للصوص الانسانية ، لجبابرة مسحوا وجه الانسانية وداسوا شرفه في كل بقعة من بقاع العالم ، وجعلوه سلعة تباع وتشترى ، وعبدا مملوكا مسلوب الارادة لا يتمتع بحرية العقيدة ، وحرية الثقافة ، يفرض عليه حتى اللغة ويفرض عليه اللباس والعقيدة وتفرض عليه الأفكار ، فلا يستطيع أن يقول ما في قلبه بل يقول ما يعلمه حكامه ومعلموه فيعيش كالببغاوات .

أليس ما يحدث في المعسكر الاشتراكي ، وفي المعسكر الرأسمالي مثالا لاستعباد الانسان ، استعباده جسميا ، واستعباده روحيا وفكريا .

لقد استعبد الانسان اليوم في سائر أنحاء العالم نظم استبدادية بشعاراتها وفلسفاتها ، وظهر زيف هذه الفلسفات وانكشف الوجه الحقيقي لهذه النظم ودعاتها لمن مر بتجربتها .

فلما نما الشعور والاتجاه الاسلامي في العالم ، وظهر على الأفق بريق جديد ، بشائر طلوع فجر جديد بعد ظلام حالك طويل ، وظهرت في بعض أنحاء العالم مؤشرات إلى هذا الاتجاه تجمعت القوى المعادية لصد هذا الزحف واستجمعت قواها وعبأت سائر وسائلها من الكيد ، والقمع ، والقوة ، لتحويل الانتباه ولوقف المسيرة الاسلامية ، ولارجاع عقارب الساعة إلى مطلع القرن الرابع عشر .

الاعلام الاسلامي في مؤتمر جاكرتا

نشرت مجلة الهداية التي تصدر في دولة البحرين كلمة عن مشاكل الاعلام الاسلامي جاء فيها :

لا شك ان انعقاد هذا المؤتمر الاسلامي العظيم وفي هذه الظروف بالذات كان اختيارا موفقا لاسيما والحملات الاعلامية العدائية في عالم الغرب تتصاعد يوما بعد يوم ، تظهر مدى ما يضمره اعداء الاسلام من حقد وطعن في عقيدتنا السمحاء هدفها تشويه مبادئها القومية والتشهير بالمسلمين .

فلقد تضافرت قوى الشر والطغيان من صليبية حاقدة وصهيونية ماكرة او شيوعية فاجرة للتصدي للمد الاسلامي الزاحف والوقوف أمام الحركات الاسلامية المتمثلة في هذا الوعي الاسلامي الذي شمل العالم شرقه وغربه .

اجل : التصدي لكل المحاولات الهدامة والحملات العدائية الظالمة من جهة ومن اجل دعم العمل الاسلامي في كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

وادراكا لاهمية هذا المؤتمر وجدواه فقد بادرت رابطة العالم الاسلامي بوضع الترتيبات والاتفاق مع جمهورية اندونيسيا المسلمة وهي المحاصرة بين قيادات مضادة وتتناوشها الديانات المختلفة والموجهة الى العالم الاسلامي خاصة من قبل اعداء الاسلام الذين يعملون دائما من اجل قلب الحقائق والتشنيع على المسلمين والتشويه على الرأي العالمي بترويج ترهاتهم وارجافاتهم للنيل من الاسلام والمسلمين .

واستجابة لمقررات المؤتمر التمهيدي للصحافة الاسلامية الذي انعقد في قبرص من شهر رجب ١٣٩٩هـ (يونيو ١٩٧٩) والتي نصت على انشاء امانة مؤقتة للصحافة الاسلامية في مكة المكرمة يكون احد مهامها الاعداد للمؤتمر الأول للاعلام الاسلامي .

وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى فقد عقد في جاكرتا المؤتمر الأول للاعلام الاسلامي العالمي الذي بدأ اعماله من صباح يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٠ هجرية الموافق ١ سبتمبر سنة ١٩٨٠م .

ويشاء العلي القدير ان يأتي هذا الاجتماع التاريخي الهام مع قرب مطلع القرن الخامس عشر الهجري وبعد ان اكتمل لوسائل الاعلام كافة امكانيات الاتصال المتقدمة لربط العالم الاسلامي فنيا . وتسهيل انتقال الكلمة والصورة وتحقيق التقارب والتفاهم والتعاون والاتصال .

وامام هذه المؤامرات والتحديات يفرض علينا واجبنا ان نعمل سويا ونتضامن ونقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص وان نكرس الجهود لوضع اسس لاستراتيجية اعلامية اسلامية تقوم على اسس علمية سليمة مستمدة من مبادىء عقيدتنا القويمة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

ابو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مسجد قباء بالمدينة المنورة

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –